

تأملات شيخ الاسلام ابن تيمية

في القرآن الكريم

مقدمة الكتاب

تأملات ابن تيمية في علوم القرآن

رقية محمود الغرايبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه ونثني عليه الخير بما هو أهله ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له

ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا فهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة وبصر به من العمى وارشده به من الغي وفتح به أذاننا صما واعينا عميا وقلوبا غلغا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الفهرس

- 1- أسماء القرآن
- 2- كتب التفسير
- 1- وجوب تصحيح النقل لتقوم الحجة
- 2- المراسيل
- 3- الطرق التي يعلم بها كذب المنقول
- 4- الآية غير مختصة بمن كان نزولها بسببه
- 5- ليس اختلاف تضاد
- 6- الاختلاف في التفسير على نوعين
- 7- أحسن طرق التفسير
- تفسير القرآن بمجرد الرأي حرام
- من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار
- 3- القرآن ثلثه توحيد وثلثه قصص وثلثه أمر ونهي
- 4- البسمة آية من القرآن
- 5- أسماء الحروف (فواتح السور)
- 6- الأحرف السبعة والقراءات السبعة
- 7- ترتيب السور وترتيب آيات السور
- 8- القراءات المنسوبة إلى نافع وعاصم ليست هي الأحرف السبعة
- 9- تحزيب القرآن
- 10- حكم التهليل والتكبير في أوائل السور وفي أواخرها
- 11- حكم من كتب مصحفا على غير رسم المصحف العثماني
- 12- قصص القرآن
- 13- الفرق بين السور المدنية والمكية
- 14- ذكر المنافقين في السور المدنية
- 15- اسباب النزول
- 16- فضائل السور والرد على من قال بخلق القرآن
- 17- الناسخ والمنسوخ
- 18- معرفة ما جاء به الرسول وما أراده بألفاظ القرآن والحديث هو أصل العلم والإيمان
- 19- كلمات القرآن والحديث قواعد عامة
- 20- معرفة الحدود الشرعية من الدين

- 21- اختلاف مقصود اللفظ عند الاطلاق وعند التقييد
- 22- المقصود ببعض الالفاظ تكرر ذكرها
- 23- مُتَشَابِهًا مَثَانِي
- 24- الأقسام في القرآن
- 25- الأمر والنهي في القرآن
- 26- (فكرة عامة عن السور)
- 27- السور القصار
- 28- المطلق والمقيد
- 29- الألفاظ نوعان
- 30- الأرادة الكونية والأرادة الدينية
- 31- ذكر الخاص مع العام
- 32- المعاني على قسمين مفردة ومضافة
- 33- الأسماء ثلاثة أنواع
- 34- معرفة دلالة الألفاظ مطلقا وخصوصا
- 35- تقسيم اللغة الى حقيقة ومجاز
- 36- دلالة العموم
- 37- مسألة القرآن وكلام الله

أسماء القرآن

* أسماء القرآن القرآن الفرقان الكتاب الهدى النور الشفاء البيان الموعظة الرحمة بصائر البلاغ
الكريم المجيد العزيز المبارك التنزيل المنزل الصراط المستقيم حبلى الله الذكر الذكرى تذكرة

{ وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } الحاقه 48 { إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ } 54 { فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ } 55 { المذثر 54-55 }
{ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ } الأنعام 92 و { تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ } يونس 37 { وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ }
{ المائدة 48 } { وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ } يوسف 111 { تَبَيِّنَانَا لِكُلِّ شَيْءٍ } النحل 89 { المنشابه المثاني }
{ مُتَشَابِهًا مَّثَانِي } الزمر 23 { وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ } آل عمران 58 { تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ } يونس 1 محكم
{ الْمَفْصَلِ } { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا } الأنعام 114 { البرهان } { قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّنْ
رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا } النساء 174 { على أحد القولين الحق } { قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ }
{ يونس 108 } { عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ } النحل 103 { أَحْسَنَ الْحَدِيثِ } الزمر 23 { أَحْسَنَ الْقَصَصِ } يوسف 3
{ على قول كلام الله } { فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ } التوبة 6 { العلم } { فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ } آل عمران 61 { العلي الحكيم } { وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ } الزخرف 4 { القيم }
{ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً } { 2 } { فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ } { 3 } { الْبَيِّنَاتِ } 2-3 { أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا }
{ 1 } { قَيِّمًا } { 2 } { الْكَهْفِ } 1-2 { وحي في قوله } { إِنَّهُ هُوَ الْوَحْيِيُّ يُوحَى } { النجم 4 } { حكمة في قوله }
{ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجٌ } { 4 } { حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ } { 5 } { الْقَمَرِ } 4-5 { و حكما في قوله } { أَنْزَلْنَاهُ }
{ حُكْمًا عَرَبِيًّا } { الرَّعْدِ } 37 { و نبأ على قول في قوله } { عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ } { النَّبَأِ } 2 { و نذير على قول }
{ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى } { النجم 56 } { في حديث أبي موسى شافعا مشفعا و شاهدا مصدقا و سماه }
{ النبي صلى الله عليه و سلم } { حجة لك أو عليك } { و في حديث الحارث عن علي عصمة لمن }
{ استمسك به } { وأما وصفه بانه يقص و ينطق و يحكم و يفتى و يبشر و يهدي فقال } { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ }
{ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ } { النمل 76 } { هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ } { الْجاثية 29 } { قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ }
{ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ } { النساء 127 } { أَي يُفْتِيكُمْ أَيْضًا } { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ }
{ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } { الإسراء 9 } { في الآيات الدالة على اتباع }
{ القرآن قوله } { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } { الفاتحة 6 } { فإنه في التفسير المرفوع عن النبي صلى الله }
{ عليه و سلم كتاب الله }¹

* فإن الله أخبر بشهادته لرسوله في غير موضع وسمى ما أنزله شهادة منه في قوله { وَمَنْ أَظْلَمُ }
{ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ } { البقرة 140 } { فدل على أن كلام الله الذي أنزله وأخبر فيه بما أخبر شهادة منه }
{ وهو سبحانه يحكم ويشهد ويفتى ويقص ويبشر ويهدي بكلامه ويصف كلامه بأنه يحكم ويفتى ويقص }
{ ويهدي ويبشر وينذر كما قال } { قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ } { النساء 127 } { قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ }
{ النساء 176 } { وقال } { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } { النمل 76 }
{ وقال } { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ } { يوسف 3 } { وقال } { قُلِ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ }
{ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ } { الأنعام 57 } { وقال } { إِنَّ }
{ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } { الإسراء 9 } { وكذلك سمي الرسول هاديا فقال } { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى }
{ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } { الشورى 52 } { كما سماه بشيرا ونذيرا وسمى القرآن بشيرا ونذيرا فكذلك لما كان هو }
{ يشهد للرسول وكان والمؤمنين بكلامه الذي أنزله وكان كلامه شهادة منه كان كلامه شاهدا منه كما }
{ كان يحكم ويفتى ويقص ويبشر وينذر }²

¹ 1 مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 4-1 ref_1

² 2 مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 68 ref_2

كتب التفسير

*قال ابن عباس التفسير على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها و تفسير لا يعذر أحد بجهالته و تفسير يعلمه العلماء و تفسير لا يعلمه إلا الله من إدعى علمه فهو كاذب

*والقرآن نزل بلغة قريش الموجودة في القرآن فإنها تفسر بلغته المعروفة فيه إذا وجدت لا يعدل عن لغته المعروفة مع وجودها وإنما يحتاج إلى غير لغته في لفظ لم يوجد له نظير في القرآن كقوله { وَيَكُنَّ اللَّهُ { القصص 82 {وَلَاتِ جِنَّ مَنَاصٍ {ص3 {وَكَأْسًا دِهَاقًا {النبأ34 {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا {عبس31 {تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى {النجم22 ونحو ذلك من الألفاظ الغريبة في القرآن¹

وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن سايما و الكلبي و التفاسير المأثورة بالاسانيد كثيرة كتفسير عبد الرزاق و عبد بن حميد ووكيع و ابن أبي شيبة و أحمد بن حنبل و إسحاق بن راهويه و أما التفاسير الثلاثة المسؤول عنها فأسلمها من البدعة و الأحاديث الضعيفة البغوي لكنه مختصر في تفسير الثعلبي و حذف منه الأحاديث الموضوعية و البدع التي فيه و حذف أشياء غير ذلك و أما الواحدي فإنه تلميذ الثعلبي و هو أخبر منه بالعربية لكن الثعلبي فيه سلامة من البدع و إن ذكرها تقليدا لغيره و تفسيره و تفسيري الواحدي البسيط و الوسيط و الوجيز فيها فوائد جلية و فيها غث كثير من المنقولات الباطلة و غيرها و أما الزمخشري فتفسيره محشو بالبدعة و على طريقة المعتزلة من إنكار الصفات و الرؤية و القول بخلق القرآن و أنكر أن الله مرید للكائنات و خالق لأفعال العباد و غير ذلك من أصول المعتزلة و أصولهم خمسة يسمونها التوحيد و العدل و المنزلة بين المنزلتين و إنفاذ الوعيد و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لكن معنى التوحيد عندهم يتضمن نفي الصفات و لهذا سمي ابن التومرت أصحابه الموحدين و هذا إنما هو إلحاد في أسماء الله و آياته و معنى العدل عندهم يتضمن التكذيب بالقدر و هو خلق أفعال العباد و إرادة الكائنات و القدرة على شيء و منهم من ينكر قدم العلم و الكتاب لكن هذا قول أئمتهم و هؤلاء منصب الزمخشري فإن مذهبه مذهب المغيرة بن علي و أبي هاشم و أتباعهم و مذهب أبي الحسين و المعتزلة الذين على طريقته نوعان مشايخية و خشبية و أما المنزلة بين المنزلتين فهي عندهم أن الفاسق لا يسمى مؤمنا بوجه من الوجوه كما لا يسمى كافرا فنزلوه بين منزلتين و إنفاذ الوعيد عندهم معناه أن فساق الملة مخلدون في النار لا يخرجون منها بشفاعة و لا غير ذلك كما تقوله الخوارج و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر يتضمن عندهم جواز الخروج على الأئمة و قتالهم بالسيف و هذه الأصول حشا كتابه بعبارة لا يهتدى أكثر الناس إليها و لا لمقاصده فيها مع ما

¹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 400 مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 88 ref_

فيه من الأحاديث الموضوعية ومن قلة النقل عن الصحابة والتابعين و تفسير القرطبي خير منه بكثير وأقرب إلى طريقة أهل الكتاب والسنة وأبعد عن البدع وإن كان كل من كتب هذه الكتب لا بد أن تشتمل على ما ينقد لكن يجب العدل بينهما وإعطاء كل ذي حق حقه و تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري وأصح نقلاً وبحثاً وأبعد عن البدع وإن اشتمل على بعضها بل هو خير منه بكثير بل لعله أرجح هذه التفاسير لكن تفسير ابن جرير أصح من هذه كلها و ثم تفاسير أخر كثيرة جداً كتفسير ابن الجوزي والماوردي¹

1- وجوب تصحيح النقل لتقوم الحجة

*والموجود بأيدي الامة من الروايات الصادقة والكاذبة والاراء المصيبة والمخطئة لا يحصيه الا الله والكلام فى تفسير اسماء الله وصفاته وكلامه فيه من الغث والسمين ما لا يحصيه الا رب العالمين وانما الشأن فى الحق والعلم والدين وقد كتبت قديما فى بعض كتبى لبعض الاكابر ان العلم ما قام عليه الدليل والنافع منه ما جاء به الرسول فالشأن فى أن نقول علما وهو النقل المصدق والبحث المحقق فان ما سوى ذلك وان زخرف مثله بعض الناس خرف مزوق والا فباطل مطلق وهذه الكتب التى يسميها كثير من الناس كتب التفسير فيها كثير من التفسير منقولات عن السلف مكذوبة عليهم وقول على الله ورسوله بالرأى المجرد بل بمجرد شبهة قياسية او شبهة ادبية ومعلوم ان فى كتب التفسير من النقل عن ابن عباس من الكذب شئ كثير من رواية الكلبي عن ابي صالح وغيره لابد من تصحيح النقل لتقوم الحجة فليراجع كتب التفسير التى يحرر فيها النقل مثل تفسير محمد بن جرير الطبرى الذى ينقل فيه كلام السلف بالاسناد وليعرض عن تفسير مقاتل والكلبي وقبله تفسير بقى بن مخلد الاندلسى وعبدالرحمن بن ابراهيم دحيم الشامى وعبد بن حميد الكشى وغيرهم ان لم يصعد الى تفسير الامام اسحق بن راهوية وتفسير الامام أحمد بن حنبل وغيرهما من الائمة الذين هم اعلم اهل الارض بالتفاسير الصحيحة عن النبى وآثار الصحابة والتابعين كما هم اعلم الناس بحديث النبى وآثار الصحابة والتابعين فى الاصول والفروع وغير ذلك من العلوم فاما ان يثبت اصلا يجعله قاعدة بمجرد رأى فهذا انما ينفق على الجهال بالدلائل الاغشام فى المسائل وبمثل هذه المنقولات التى لا يميز صدقها من كذبها والمعقولات التى لا يميز صوابها من خطئها ضل من ضل من اهل المشرق فى الاصول والفروع والفقه والتصوف كما ان من عادة السلف فى تفسيرهم ان يذكروا بعض صفات المفسر من الاسماء أو بعض أنواعه ولا ينافى ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى بل قد يكونان متلازمين ولا دخول لبقية الانواع فيه وهذا قد قررناه غير مرة فى القواعد المتقدمة ومن تدبره علم أن اكثر اقوال السلف فى التفسير متفقة غير مختلفة مثال ذلك قول بعضهم فى الصراط المستقيم أنه الاسلام قول آخر أنه القرآن وقول آخر أنه السنة والجماعة وقول آخر أنه طريق العبودية فهذه كلها صفات له متلازمة لا متباينة وتسميته بهذه الاسماء بمنزلة تسمية القرآن والرسول بأسمائه بل بمنزلة اسماء الله الحسنى ومثال الثانى قوله تعالى { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } فاطر 32 فذكر منهم صنفا من الاصناف والعبد يعم الجميع فالظالم لنفسه المخل

¹ الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 227-229 ref_

ببعض الواجب والمقتصد القائم به والسابق المتقرب بالنوافل بعد الفرائض وكل من الناس يدخل في هذا بحسب طريقه في التفسير والترجمة ببيان النوع والجنس ليقرب الفهم على المخاطب كما لو قال الاعجمي ما الخبز فقيل له هذا واشير الى الرغيف فالغرض الجنس لا هذا الشخص فهكذا تفسير كثير من السلف وهو من جنس التعليم وأما الذي ا قوله الآن واكتبه وان كنت لم أكتبه فيما تقدم من أجوبتي وانما ا قوله في كثير من المجالس ان جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد الى ساعتي هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته وبيان ان ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه الا الله وكذلك فيما يذكرونه آثرين وذاكرين عنهم شيء كثير وتام هذا أنى لم أجدهم تنازعوا الا في مثل قوله تعالى {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} القلم 42 فروى عن ابن عباس وطائفة ان المراد به الشدة ان الله يكشف عن الشدة في الآخرة وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات للحديث الذي رواه ابو سعيد في الصحيحين ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على ان هذه من الصفات فانه قال {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} القلم 42 نكرة في الاثبات لم يضيفها الى الله ولم يقل عن ساقه فمع عدم التعريف بالاضافة لا يظهر انه من الصفات الا بدليل آخر ومثل هذا ليس بتأويل انما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف ولكن كثير من هؤلاء يجعلون اللفظ على ما ليس مدلولاً له ثم يريدون صرفه عنه ويجعلون هذا تأويلاً وهذا خطأ من وجهين كما قدمناه غير مرة¹

2-المراسيل

*في كتب التفسير أشياء منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أهل العلم بالحديث إنها كذب مثل حديث فضائل سور القرآن الذي يذكره الثعلبي و الواحدي في أول كل سورة و يذكره الزمخشري في آخر كل سورة و يعلمون أن اصح ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل السور أحاديث قل هو الله أحد و لهذا رواها أهل الصحيح فافرد الحفاظ لها مصنفات كالحافظ أبي محمد الخلال وغيره ويعلمون أن الأحاديث المأثورة في فضل فاتحة الكتاب و آية الكرسي وخواتيم البقرة والمعوذتين أحاديث صحيحة فلهم فرقان يفرقون به بين الصدق والكذب و أما أحاديث سبب النزول فغالبا مرسل ليس بمسند ولهذا قال الإمام احمد بن حنبل ثلاث علوم لا إسناد لها وفي لفظ ليس لها اصل التفسير والمغازي والملاحم ويعني أن أحاديثها مرسلة والمراسيل قد تنازع الناس في قبولها وردّها وحسب الأقوال أن منها المقبول ومنها المردود الموقوف فمن علم من حاله انه لا يرسل إلا عن ثقة قبل مرسله ومن عرف انه يرسل عن ثقة وغير الثقة كان إرساله رواية عن لا يعرف حاله فهذا موقوف وما كان من المراسيل مخالفا لما رواه الثقات كان مردودا وإذا جاء المرسل من وجهين كل من الراويين اخذ العلم عن شيوخ الآخر فهذا مما يدل على صدقه فان مثل ذلك لا يتصور في العادة تماثل الخطأ فيه وتعمد الكذب كان هذا مما يعلم انه صدق فان المخبر إنما يؤتي من جهة تعمد الكذب ومن جهة الخطأ فإذا كانت القصة مما يعلم انه لم

¹مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 388-395 ref_

يتواطأ فيه المخبران والعادة تمنع تماثلهما في الكذب عمدا والخطأ مثل أن تكون القصة طويلة فيها أقوال كثيرة رواها هذا مثل ما رواها هذا فهذا يعلم انه صدق وهذا ما يعلم به صدق محمد صلى الله عليه وسلم وموسى عليه السلام فان كلا منهما اخبر عن الله وملائكته وخلقه للعالم وقصة آدم ويوسف وغيرهما من قصص الأنبياء عليهم السلام بمثل ما اخبر به الآخر مع العلم بانه واحدا منهما لم يستفد ذلك من الآخر وانه يمتنع في العادة تماثل الخبرين الباطلين في مثل ذلك فان من اخبر بأخبار كثيرة مفصلة دقيقة عن مخبر معين لو كان مبطلا في خبره لاختلف خبره لامتناع أن مبطلا يخلق ذلك من غير تفاوت لا سيما في أمور لا تهتدي العقول إليها بل ذلك بين كلا إن كلا منهما اخبر بعلم وصدق وهذا مما يعلمه الناس من أحوالهم فلو جاء رجل من بلد إلى آخر واخبر عن حوادث مفصلة حدثت فيه تنتظم أقوالا وأفعالا مختلفة وجاء من علمنا انه لم يوطئه على الكذب فحكي مثل ذلك علم قطعا أن الأمر كان كذلك فان الكذب قد يقع في مثل ذلك لكن على سبيل المواطأة وتلقي بعضهم عن بعض كما يتوارث أهل الباطل المقالات الباطلة مثل مقالة النصارى والجهمية والرافضة ونحوهم فإنها وان كان يعلم بضرورة العقل إنها باطلة لكنها تلقاها بعضهم عن بعض فلما تواطأوا عليها جاز اتفاقهم فيها على الباطل والجماعة الكثيرون يجوز اتفاقهم على جحد الضروريات على سبيل التواطؤ إما عمدا للكذب وإما خطأ في الاعتقاد وإما اتفاقهم على جحد الضروريات من دون هذا وهذا

فممتنع¹

3- الطرق التي يعلم بها كذب المنقول

فصل في الطرق التي يعلم بها كذب المنقول منها أن يروى خلاف ما علم بالتواتر والاستفاضة مثل أن نعلم أن مسيلمة الكذاب ادعى النبوة واتبعه طوائف كثيرة من بني حنيفة فكانوا مرتدين لايمانهم بهذا المنتبئ الكذاب وان أبا لؤلؤة قاتل عمر كان مجوسيا كافرا وان أبا الهرمزان كان مجوسيا اسلم وان أبا بكر كان يصلي بالناس مدة مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ويخلفه بالإمامة بالناس لمرضه وان أبا بكر وعمر دفن في حجرة عائشة مع النبي صلى الله عليه وسلم ومثل ما يعلم من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم التي كان فيها القتال كبدر واحد ثم الخندق ثم خيبر ثم فتح مكة ثم غزوة الطائف والتي لم يكن فيها قتال كغزوة تبوك وغيرها وما نزل من القرآن في الغزوات كنزول الأنفال بسبب بدر ونزول آخر آل عمران بسبب أحد ونزول أولها بسبب نصارى نجران ونزول سورة الحشر بسبب بني النضير ونزول الأحزاب بسبب الخندق ونزول سورة الفتح بسبب صلح الحديبية ونزول براءة بسبب غزوة تبوك وغيرها وأمثال ذلك فإذا روى في الغزوات وما يتعلق بها ما يعلم انه خلاف الواقع علم انه كذب مثل ما يروي هذا الرافضي وأمثاله من الرافضة وغيرهم من الأكاذيب الباطلة الظاهرة في الغزوات كما تقدم التنبيه عليه ومثل أن يعلم نزول القرآن في أي وقت كان كما يعلم أن سورة البقرة وال عمران والنساء والمائدة والأنفال وبراءة نزلت بعد

¹¹¹ منهاج السنة النبوية ج: 7 ص: 440-434 ref_

الهجرة في المدينة وان الأنعام والأعراف ويونس وهود ويوسف والكهف وطه ومريم واقتربت الساعة وهل أتى على الإنسان وغير ذلك نزلت قبل الهجرة بمكة وان المعراج كان بمكة وان الصفة كانت بالمدينة وان أهل الصفة كانوا من جملة الصحابة الذين لم يقاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكونوا ناسا معينين بل كانت الصفة منزلا ينزل بها من لا أهل له من الغرباء القادمين وممن دخل فيهم سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وغيرهما من صالحى المؤمنين وكالعرنيين الذين ارتدوا عن الإسلام فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وألقاهم في الحرة يستسقون فلا يسقون و أمثال ذلك من الأمور المعلومة فإذا روى الجاهل نقيض ذلك علم انه كذب ومن الطرق التي يعلم بها الكذب أن ينفرد الواحد والاثنتان بما يعلم انه لو كان واقعا لتوفرت الهمم والدواعي على نقله فانه من المعلوم انه لو اخبر الواحد ببلد عظيم بقدر بغداد والشام وبغداد والعراق لعلمنا كذبه في ذلك لانه لو كان موجودا لأخبر به الناس وكذلك لو اخبرنا بأنه تولى رجل بين عمر و عثمان أو تولى بين عثمان وعلي أو اخبرنا بان النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤذن له في العيد أو في صلاة الكسوف أو الاستسقاء أو انه كان يقيم بمدينة يوم الجمعة أكثر من جمعة واحدة أو يصلى يوم العيد أكثر من عيد واحد أو انه كان يصلي العيد بمنى يوم العيد أو أن أهل مكة كانوا يتمون الصلاة بعرفة ومزدلفة ومنى خلفه أو انه كان يجمع الصلاتين بمنى كما كان يقصر أو انه فرض صوم شهر آخر غير رمضان أو انه فرض صلاة سادسة وقت الضحى أو نصف الليل أو انه فرض حج بيت آخر غير الكعبة أو أن القران عارضه طائفة من العرب وغيرهم بكلام يشابهه ونحو هذه الأمور لكننا نعلم كذب هذا الكاذب فإننا نعلم انتفاء هذه الأمور بانتفاء لازمها فان هذه لو كانت مما يتوفر الهمم والدواعي على نقلها عامة لبني آدم وخاصة لامتنا شرعا فإذا لم ينقلها أحد من أهل العلم فضلا عن أن تتواتر علم إنها كذب¹

4- الآية غير مختصة بمن كان نزولها بسببه

* كثير من تفسير السلف يذكرون من النوع مثالا لينبهوا به على غيره أو لحاجة المستمع إلى معرفته أو لكونه هو الذي يعرفه كما يذكرون مثل ذلك في مواضع كثيرة كقوله { سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ } الفتح 16 و قوله و { وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ } الجمعة 3 و قوله { فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } المائدة 54 و قوله { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } فاطر 32 وكذلك تفسير { وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ } الفجر 3 و { وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ } البروج 3 و غير ذلك و قوله { وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } الذاريات 21 و أمثال ذلك كثير من تفسيرهم هو من باب المثال و من ذلك قولهم إن هذه الآية نزلت في فلان و فلان فهذا يمثل بمن نزلت فيه نزلت فيه أولا و كان سبب نزولها لا يريدون به أنها آية مختصة به كآية اللعان و آية القذف و آية المحاربة و نحو ذلك لا يقول مسلم إنها مختصة بمن كان نزولها بسببه واللفظ العام و إن قال طائفة إنه يقتصر على سببه فمرادهم على النوع الذي هو سببه لم يريدوا بذلك أنه يقتصر على شخص و احد من ذلك النوع فلا يقول مسلم إن آية الظهر لم يدخل فيها إلا أوس بن الصامت و آية اللعان لم يدخل فيها إلا عاصم بن عدي أو هلال بن أمية و أن ذم الكفار لم يدخل فيه إلا كفار قريش و نحو ذلك

¹ منهاج السنة النبوية ج: 7 ص: 440-434 ref

مما لا يقوله مسلم و لا عاقل فإن محمدا صلى الله عليه و سلم قد عرف بالإضطرار من دينه أنه مبعوث إلى جميع الإنس و الجن و الله تعالى خاطب بالقرآن جميع

الثقلين كما قال {لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} {الأنعام 19} فكل من بلغه القرآن من إنسي و جني فقد أنذره الرسول به و الإنذار هو الإعلام بالمخوف و المخوف هو العذاب ينزل بمن عصى أمره و نهيه فقد أعلم كل من و صل إليه القرآن أنه إن لم يطعه و إلا عذبه الله تعالى و أنه إن أطاعه أكرمه الله تعالى و هو قد مات وإنما طاعته بإتباع ما في القرآن مما أوجبه الله و حرمه و كذلك ما أوجبه الرسول و حرمه بسنته فإن القرآن قد بين وجوب طاعته و بين أن الله أنزل عليه الكتاب و الحكمة و قال لأزواج نبيه {وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ} {الأحزاب 134}

5- ليس اختلاف تضاد

*فالسلف كثيرا ما يعبرون عن المسمى بعباراة تدل على عينه وان كان فيها من الصفة ما ليس في الاسم الآخر كمن يقول أحمد هو الحاشر والمأحى والعاقب والقدوس هو الغفور والرحيم أى أن المسمى واحد لا ان هذه الصفة هي هذه الصفة ومعلوم أن هذا ليس اختلاف تضاد كما يظنه بعض الناس مثال ذلك تفسيرهم للصراط المستقيم فقال بعضهم هو القرآن أى اتباعه لقول النبي فى حديث على الذى رواه الترمذى ورواه أبو نعيم من طرق متعددة هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وقال بعضهم هو الإسلام لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث النواس بن سمعان الذى رواه الترمذى وغيره ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران وفى السورين أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وداع يدعو من فوق الصراط وداع يدعو على رأس الصراط قال فالصراط المستقيم هو الاسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله والداعى على رأس الصراط كتاب الله والداعى فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مؤمن فهذان القولان متفقان لأن دين الاسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر كما أن لفظ صراط يشعر بوصف ثالث وكذلك قول من قال هو السنة والجماعة وقول من قال هو طريق العبودية وقول من قال هو طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وامثال ذلك فهؤلاء كلهم اشاروا الى ذات واحدة لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها الصنف الثانى أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبية المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود فى عمومه وخصوصه مثل سائل أعجمى سأل عن مسمى لفظ الخبز فأرى رغيفا وقيل له هذا فالإشارة الى نوع هذا لا الى هذا الرغيف وحده مثال ذلك ما نقل فى قوله {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} {فاطر 32} فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للمحرمات والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات فالمقتصدون هم أصحاب اليمين والسابقون السابقون أولئك المقربون ثم ان كلا منهم يذكر هذا فى نوع من أنواع الطاعات كقول القائل

¹مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 148-149 ref_

السابق الذى يصلى فى أول الوقت والمقتصد الذى يصلى فى أثنائه والظالم لنفسه الذى يؤخر العصر الى الاصفرار ويقول الآخر السابق والمقتصد والظالم قد ذكرهم فى آخر سورة البقرة فانه ذكر المحسن بالصدقة والظالم يأكل الربا والعاقل بالبيع والناس فى الاموال اما محسن واما عادل واما ظالم فالسابق المحسن باداء المستحبات مع الوجبات والظالم أكل الربا أو مانع الزكاة والمقتصد الذى يؤدى الزكاة المفروضة ولا يأكل الربا وأمثال هذه الأقاويل فكل قول فيه ذكر نوع داخل فى الآية ذكر لتعريف المستمع بتناول الآية له وتنبهه به على نظيره فان التعريف بالمثال قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطلق والعقل السليم يتفطن للنوع كما يتفطن اذا أشير له الى رغبة فقيل له هذا هو الخبز وقد يجىء كثيرا من هذا الباب قولهم هذه الآية نزلت فى كذا لا سيما ان كان المذكور شخصا كأسباب النزول المذكورة فى التفسير كقولهم ان آية الظهر نزلت فى امرأة أوس بن الصامت وان آية اللعان نزلت فى عويمر العجلانى أو هلال بن أمية وأن آية الكلاله نزلت فى جابر بن عبدالله وأن قوله { وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ } المائدة 49 نزلت فى بنى قريظة والنضير وان قوله { وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبرَهُ } الأنفال 16 نزلت فى بدر وان قوله { شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ } المائدة 106 نزلت فى قضية تميم الدارى وعدى بن بداء وقول أبى ايوب ان قوله { وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } البقرة 195 نزلت فىنا معشر الأنصار الحديث ونظائر هذا كثير مما يذكرون أنه نزل فى قوم من المشركين بمكة أو فى قوم من أهل الكتاب اليهود والنصارى أو فى قوم من المؤمنين فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أن حكم الآية مختص بأولئك الاعيان دون غيرهم فان هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الاطلاق والناس وان تنازعوا فى اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه أم لا فلم يقل أحد من علماء المسلمين ان عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين وانما غاية ما يقال أنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ والآية التى لها سبب معين ان كانت أمرا ونهيا فهى متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته وان كانت خبرا بمدح أو ذم فهى متناولة لذلك الشخص وغيره ممن كان بمنزلته أيضا

* ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب ولهذا كان أصح قولى الفقهاء أنه اذا لم يعرف ما نواه الحالف رجع الى سبب يمينه وما هيجها وأثارها وقولهم نزلت هذه الآية فى كذا يراد به تارة أنه سبب النزول ويراد به تارة أن ذلك داخل فى الآية وان لم يكن السبب كما تقول عنى بهذه الآية كذا وقد تنازع العلماء فى قول صاحب نزلت هذه الآية فى كذا هل يجرى مجرى المسند كما يذكر السبب الذى أنزلت لأجله أو يجرى مجرى التفسير منه الذى ليس بمسند فالبخارى يدخله فى المسند وغيره لا يدخله فى المسند وأكثر المساند على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره بخلاف ما اذا ذكر سببا نزلت عقبه فانهم كلهم يدخلون مثل هذا فى المسند وإذا عرف هذا فقول أحدهم نزلت فى كذا لا ينافى قول الآخر نزلت فى كذا اذا كان اللفظ يتناولهما كما ذكرناه فى التفسير بالمثال واذا ذكر أحدهم لها سببا نزلت لأجله وذكر الآخر سببا فقد يمكن صدقهما بأن تكون نزلت عقب تلك الاسباب أو تكون نزلت مرتين مرة لهذا السبب ومرة لهذا السبب وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما فى تنوع التفسير تارة لتنوع الأسماء والصفات وتارة لذكر بعض أنواع المسمى وأقسامه كالتمثيلات هما الغالب فى تفسير سلف الأمة الذى يظن أنه مختلف

* ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ فيه محتملا للأمرين اما لكونه مشتركا فى اللفظ كلفظ { قَسُورَةٍ } المدثر 51 الذى يراد به الرامى ويراد به الأسد ولفظ { عَسَعَسَ } التكوير 17 الذى

يراد به اقبال الليل وادباره وأما لكونه متواطئاً في الأصل لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشبئين كالضمائر في قوله { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى {8} فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى {9} النجم 8-9 وكلفظ {وَالْفَجْرِ {1} وَلَيَالٍ عَشْرٍ {2} وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ {3} الفجر 1-3 وما أشبه ذلك فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف وقد لا يجوز ذلك فالأول اما لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وهذا تارة وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معناه اذ قد جوز ذلك أكثر الفقهاء المالكية والشافعية والحنبلية وكثير من اهل الكلام وإما لكون اللفظ متواطئاً فيكون عاما اذا لم يكن لتخصيصه موجب فهذا النوع اذا صح فيه القولان كان من الصنف الثاني ومن الأقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافاً أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة فان الترادف في اللغة قليل وأما في ألفاظ القرآن فاما نادر واما معدوم وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه بل يكون فيه تقريب لمعناه وهذا من اسباب اعجاز القرآن فاذا قال القائل {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} الطور 9 ان المور الحركة كان تقريبا اذ المور حركة خفيفة سريعة وكذلك اذا قال {بِالْوَحْيِ} الأنبياء 45 الاعلام أو قيل {أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} النساء 163 أنزلنا اليك أو قيل {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} الإسراء 4 أي اعلمنا وأمثال ذلك فهذا كله تقريب لا تحقيق فإن الوحي هو اعلام سريع خفي والقضاء اليهم أخص من الاعلام فإن انزالا إليهم وإيحاء إليهم والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعديه تعديته ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض كما يقولون في قوله {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجْتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ} ص 24 أي مع نعاجه و {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} آل عمران 52 أي مع الله ونحو ذلك والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمن فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها الى نعاجه وكذلك قوله {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْقَتُونَا عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} الإسراء 73 ضمن معنى يزيغونك ويصدونك وكذلك قوله {وَنَصْرَانَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} الأنبياء 77 ضمن معنى نجيناه وخلصناه وكذلك قوله {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} الإنسان 6 ضمن يروى بها ونظائره كثيرة ومن قال {لَا رَيْبَ} البقرة 2 لا شك فهذا تقريب والا فالريب فيه اضطراب وحركة كما قال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وفي الحديث أنه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه أحد فكما أن اليقين ضمن السكون والطمأنينة فالريب ضده ضمن الاضطراب والحركة ولفظ الشك وان قيل أنه يستلزم هذا المعنى لكن لفظه لا يدل عليه وكذلك اذا قيل ذلك الكتاب هذا القرآن فهذا تقريب لأن المشار اليه وان كان واحدا فالاشارة بجهة الحضور غير الاشارة بجهة البعد والغيبة ولفظ الكتاب يتضمن من كونه مكتوبا مضموما ما لا يتضمنه لفظ القرآن من كونه مقروءا مظهرا باديا فهذه الفروق موجودة في القرآن فاذا قال أحدهم {أَنْ تُبْسَلَ} الأنعام 70 أي تحبس وقال الآخر ترتتهن ونحو ذلك لم يكن من اختلاف التضاد وان كان المحبوس قد يكون مرتتها وقد لا يكون اذ هذا تقريب للمعنى كما تقدم وجمع عبارات السلف في مثل هذا نافع جدا فان مجموع عباراتهم ادل على المقصود من عبارة أو عبارتين ومع هذا فلا بد من اختلاف محقق بينهم كما يوجد مثل ذلك في الأحكام ونحن نعلم أن عامة ما يضطر اليه عموم الناس من الاختلاف معلوم بل متواتر عند العامة أو الخاصة كما في عدد الصلوات ومقادير ركوعها ومواقبتها وفرائض الزكاة ونصبها وتعيين شهر رمضان والطواف والوقوف ورمي الجمار والمواقيت وغير ذلك ثم اختلاف الصحابة في الجد والأخوة وفي المشتركة ونحو ذلك لا يوجب ريبا في جمهور مسائل الفرائض بل ما يحتاج اليه عامة الناس هو عمود النسب من الآباء والابناء والكلالة من الأخوة والأخوات ومن نسايمهم كالأزواج فان الله أنزل في الفرائض ثلاث آيات مفصلة ذكر في الأولى الأصول والفروع وذكر في الثانية الحاشية التي تترث بالفرض كالزوجين

وولد الأم وفي الثانية الحاشية الوارثة بالتعصيب وهم الأخوة لأبوين أو لأب واجتماع الجد والأخوة نادر ولهذا لم يقع في الاسلام الا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم

6-الاختلاف في التفسير على نوعين

والاختلاف قد يكون لخفاء الدليل أو لذهول عنه وقد يكون لعدم سماعه وقد يكون للغلط في فهم النص وقد يكون لاعتقاد معارض راجح فالمقصود هنا التعريف بجمل الأمر دون تفاصيله الاختلاف في التفسير على نوعين منه ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك اذ العلم اما نقل مصدق واما استدلال محقق والمنقول اما عن المعصوم واما عن غير المعصوم والمقصود بان جنس المنقول سواء كان عن المعصوم أو غير المعصوم وهذا هو النوع الأول منه ما يمكن معرفة الصحيح منه والضعيف ومنه ما لا يمكن معرفة ذلك فيه وهذا القسم الثاني من المنقول وهو ما لا طريق لنا الى جزم بالصدق منه عامته مما لا فائدة فيه فالكلام فيه من فضول الكلام وأما ما يحتاج المسلمون الى معرفته فان الله نصب على الحق فيه دليلا فمثال ما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه اختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف وفي البعض الذي ضرب به موسى من البقرة وفي مقدار سفينة نوح وما كان خشبها وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ونحو ذلك فهذه الأمور طريق العلم بها النقل فما كان من هذا منقولا نقلا صحيحا عن النبي كاسم صاحب موسى أنه الخضر فهذا معلوم وما لم يكن كذلك بل كان مما يؤخذ عن أهل الكتاب كالمنقول عن كعب ووهب ومحمد بن اسحق وغيرهم ممن يأخذ عن أهل الكتاب فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه الا بحجة كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فاما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه واما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه وكذلك ما نقل عن بعض التابعين وان لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض وما نقل في ذلك عن بعض الصحابة نقلا صحيحا فالنفس اليه أسكن مما نقل عن بعض التابعين لأن احتمال ان يكون سمعه من النبي أو من بعض من سمعه منه أقوى ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين ومع جزم الصحاب فيما يقوله فكيف يقال إنه أخذه عن أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم والمقصود أن مثل هذا الاختلاف الذي لا يعلم صحبه ولا تفيد حكاية الأقوال فيه هو كالمعرفة لما يروى من الحديث الذي لا دليل على صحته وأمثال ذلك وأما القسم الأول الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود فيما يحتاج اليه والله الحمد فكثيرا ما يوجد في التفسير والحديث والمغازي أمور منقولة عن نبينا وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه والنقل الصحيح يدفع ذلك بل هذا موجود فيما مستنده النقل وفيما قد يعرف بأمر أخرى غير النقل فالمقصود أن المنقولات التي يحتاج اليها في الدين قد نصب الله الأدلة على بيان ما فيها من صحيح وغيره ومعلوم أن المنقول في التفسير أكثره كالمنقول في المغازي والملاحم ولهذا قال الامام أحمد ثلاثة أمور ليس لها اسناد التفسير والملاحم والمغازي ويروى ليس لها أصل أى اسناد لأن الغالب عليها المراسيل مثل ما يذكره عروة بن الزبير والشعبي والزهرى وموسى بن عقبة وابن اسحاق ومن بعدهم كيجي بن سعيد الأموى والوليد بن مسلم والواقدي ونحوهم في المغازي فان أعلم الناس بالمغازي أهل المدينة ثم أهل الشام ثم أهل العراق فأهل المدينة أعلم بها لأنها كانت عندهم وأهل الشام كانوا أهل غزو وجهاد فكان لهم من العلم بالجهاد والسير ما ليس لغيرهم ولهذا عظم الناس كتاب أبى اسحاق الفزاري الذي صنفه في ذلك وجعلوا الاوزاعى أعلم بهذا الباب من غيره من علماء

الأمصار وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة لأنهم اصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من اصحاب ابن عباس كطاووس وأبي الشعثاء وسعيد بن جبير وأمثالهم وكذلك أهل الكوفة من اصحاب ابن مسعود ومن ذلك ما تميزوا به على غيرهم وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير وأخذه عنه أيضا ابنه عبدالرحمن وأخذه عن عبدالرحمن عبد الله بن وهب والمراسيل إذا تعددت طرقها وخلت عن المواطأة قصدا أو الاتفاق بغير قصد كانت صحيحة قطعا فان النقل اما أن يكون صدقا مطابقا للخبر واما أن يكون كذبا تعمد صاحبه الكذب أو أخطأ فيه فمتى سلم من الكذب العمد والخطأ كان صدقا بلا ريب فإذا كان الحديث جاء من جهتين أو جهات وقد علم أن المخبرين لم يتواطئا على اختلاقه وعلم أن مثل ذلك لا تقع الموافقة فيه اتفاقا بلا قصد علم أنه صحيح مثل شخص يحدث عن واقعة جرت ويذكر تفاصيل ما فيها من الأقوال والأفعال ويأتى شخص آخر قد علم أنه لم يواطىء الأول فيذكر مثل ما ذكره الأول من تفاصيل الأقوال والأفعال فيعلم قطعا ان تلك الواقعة حق في الجملة فانه لو كان كل منهما كذبها عمدا أو خطأ لم يتفق في العادة أن يأتى كل منهما بتلك التفاصيل التي تمنع العادة اتفاق الاثنتين عليها بلا مواطأة من أحدهما لصاحبه فان الرجل قد يتفق أن ينظم بيتا وينظم الآخر مثله أو يكذب كذبة ويكذب الآخر مثلها اما اذا أنشأ قصيدة طويلة ذات فنون على قافية وروى فلم تجر العادة بأن غيره ينشئ مثلها لفظا ومعنى مع الطول المفرط بل يعلم بالعادة أنه أخذها منه وكذلك اذا حدث حديثا طويلا فيه فنون وحدث آخر بمثله فانه اما أن يكون واطأه عليه أو اخذه منه أو يكون الحديث صدقا وبهذه الطريق يعلم صدق عامة ما نتعدده جهاته المختلفة على هذا الوجه من المنقولات وان لم يكن أحدها كافيا اما لارساله واما لضعف ناقله لكن مثل هذا لا تضبط به الألفاظ والدقائق التي لا تعلم بهذه الطريق فلا يحتاج ذلك الى طريق يثبت بها مثل تلك الألفاظ والدقائق ولهذا ثبتت بالتواتر غزوة بدر وأنها قبل أحد بل يعلم قطعا أن حمزة وعليا وعبيدة برزوا الى عتبة وشيبة والوليد وأن عليا قتل الوليد وان حمزة قتل قرنه ثم يشك في قرنه هل هو عتبة أو شيبة وهذا الأصل ينبغي أن يعرف فانه أصل نافع في الجزم بكثير من المنقولات في الحديث والتفسير والمغازي وما ينقل من اقوال الناس وأفعالهم وغير ذلك ولهذا اذا روى الحديث الذي يتأتى فيه ذلك عن النبي من وجهين مع العلم بأن أحدهما لم يأخذه عن الآخر جزم بأنه حق لا سيما اذا علم أن نقلته ليسوا ممن يتعمد الكذب وانما يخاف على أحدهم النسيان والغلط فان من عرف الصحابة كابن مسعود وأبي بن كعب وابن عمر وجابر وأبي سعيد وأبي هريرة وغيرهم علم يقينا أن الواحد من هؤلاء لم يكن ممن يتعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا عن هو فوقعهم كما يعلم الرجل من حال من جربه وخبره خبرة باطنة طويلة أنه ليس ممن يسرق اموال الناس ويقطع الطريق ويشهد بالزور ونحو ذلك وكذلك التابعون بالمدينة ومكة والشام والبصرة فان من عرف مثل أبي صالح السمان والأعرج وسليمان بن يسار وزيد بن أسلم وأمثالهم علم قطعا أنهم لم يكونوا ممن يتعمد الكذب في الحديث فضلا عن هو فوقعهم مثل محمد بن سيرين والقاسم بن محمد أو سعيد بن المسيب أو عبيدة السلماني أو علقمة أو الأسود أو نحوهم وانما يخاف على الواحد من الغلط فان الغلط والنسيان كثيرا ما يعرض للانسان ومن الحفاظ من قد عرف الناس بعده عن ذلك جدا كما عرفوا حال الشعبي والزهرى وعروة وقتادة والثوري وأمثالهم لا سيما الزهرى في زمانه والثوري في زمانه فانه قد يقول القائل ان ابن شهاب الزهرى لا يعرف له غلط مع كثرة حديثه وسعة حفظه و المقصود أن الحديث الطويل اذا روى مثلا من وجهين مختلفين من غير مواطأة امتنع عليه أن يكون غلطا كما امتنع أن يكون كذبا فان الغلط لا يكون في قصة طويلة متنوعة وانما يكون في بعضها فاذا روى هذا قصة طويلة متنوعة ورواها الآخر مثلما

رواها الأول من غير مواطأة امتنع الغلط في جميعها كما امتنع الكذب في جميعها من غير مواطأة ولهذا انما يقع في مثل ذلك غلط في بعض ما جرى في القصة مثل حديث اشترى النبي البعير من جابر فان من تأمل طريقه علم قطعا أن الحديث صحيح وان كانوا قد اختلفوا في مقدار الثمن وقد بين ذلك البخارى في صحيحه فان جمهور ما في البخارى ومسلم مما يقطع بأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله لأن غالبه من هذا النحو ولأنه قد تلقاه أهل العلم بالقبول والتصديق والأمة لا تجتمع على خطأ فلو كان الحديث كذبا في نفس الأمر والأمة مصدقة له قابلة له لكانوا قد أجمعوا على تصديق ما هو في نفس الأمر كذب وهذا اجماع على الخطأ وذلك ممتنع وان كنا نحن بدون الاجماع نجوز الخطأ أو الكذب على الخبر فهو كتجويزنا قبل أن نعلم الاجماع على العلم الذي ثبت بظاهر أو قياس ظنى أن يكون الحق في الباطن بخلاف ما اعتقدناه فاذا أجمعوا على الحكم جزمنا بأن الحكم ثابت باطنا وظاهرا ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد اذا تلقته الأمة بالقبول تصديقا له أو عملا به أنه يوجب العلم وهذا هو الذى ذكره المصنفون في أصول الفقه من اصحاب أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد الا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من اهل الكلام انكروا ذلك ولكن كثيرا من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء وأهل الحديث والسلف على ذلك وهو قول أكثر الاشعرية كابى اسحق وابن فورك واما ابن الباقلانى فهو الذى أنكر ذلك وتبعه مثل أبى المعالى وأبى حامد وابن عقيل وابن الجوزى وابن الخطيب والأمدى ونحو هؤلاء والأول هو الذى ذكره الشيخ أبو حامد وأبو الطيب وأبو اسحق وأمثاله من أئمة الشافعية وهو الذى ذكره القاضى عبدالوهاب وأمثاله من المالكية كان الاجماع على تصديق الخبر موجبا للقطع به فالاعتبار في ذلك باجماع اهل العلم بالحديث كما أن الاعتبار في الإجماع على الأحكام باجماع أهل العلم بالأمر والنهى والاباحة والمقصود هنا أن تعدد الطرق مع عدم التشاعر أو الإتفاق في العادة يوجب العلم بمضمون المنقول لكن هذا ينتفع به كثيرا في علم أحوال الناقلين وهو الذى ذكره ابو يعلى وابو الخطاب وابو الحسن ابن الزاغونى وأمثالهم من الحنبلية وهو الذى ذكره شمس الدين السرخسى وأمثاله من الحنفية واذا كان الاجماع على تصديق الخبر موجبا للقطع به فالاعتبار في ذلك باجماع اهل العلم بالحديث كما أن الاعتبار في الإجماع على الأحكام باجماع أهل العلم بالأمر والنهى والاباحة والمقصود هنا أن تعدد الطرق مع عدم التشاعر أو الإتفاق في العادة يوجب العلم بمضمون المنقول لكن هذا ينتفع به كثيرا في علم أحوال الناقلين وفي مثل هذا ينتفع بروايه المجهول والسيىء الحفظ وبالحديث المرسل ونحو ذلك ولهذا كان أهل العلم يكتبون مثل هذه الاحاديث ويقولون إنه يصلح للشواهد والاعتبار ما لا يصلح لغيره قال احمد قد أكتب حديث الرجل لا اعتبره ومثل هذا بعبد الله بن لهيعة قاضى مصر فانه كان من اكثر الناس حديثا ومن خيار الناس لكن بسبب إحتراق كتبه وقع في حديثه المتأخر غلط فصار يعتبر بذلك ويستشهد به وكثيرا ما يفترون هو والليث بن سعد والليث حجه ثبت إمام وكما أنهم يستشهدون ويعتبرون بحديث الذى فيه سوء حفظ فانهم أيضا يضعفون من حديث الثقة الصدق الضابط أشياء تبين لهم أنه غلط فيها بأمر يستدلون بها ويسمون هذا علم علل الحديث وهو من أشرف علومهم بحيث يكون الحديث قد رواه ثقة ضابط وغلط فيه وغلطه فيه عرف اما بسبب ظاهر كما عرفوا أن النبي تزوج ميمونة وهو حلال وأنه صلى في البيت ركعتين وجعلوا رواية ابن عباس لتزوجها حراما ولكونه لم يصل مما وقع فيه الغلط وكذلك أنه اعتمر أربع عمر وعلموا أن قول ابن عمر أنه اعتمر في رجب مما وقع فيه الغلط وعلموا أنه تمتع وهو آمن في حجة الوداع وان قول عثمان لعلى كنا يومئذ خائفين مما وقع فيه الغلط وان ما وقع في بعض طرق البخارى أن النار لا تمتلىء حتى ينشئ الله لها خلقا آخر مما وقع فيه الغلط وهذا كثير والناس في هذا الباب طرفان طرف من

أهل الكلام ونحوهم ممن هو بعيد عن معرفة الحديث وأهله لا يميز بين الصحيح والضعيف فيشك في صحة أحاديث أو في القطع بها مع كونها معلومة مقطوعا بها عند أهل العلم به وطرف ممن يدعى اتباع الحديث والعمل به كلما وجد لفظا في حديث قد رواه ثقة أو رأى حديثا باسناد ظاهره الصحة يريد أن يجعل ذلك من جنس ما جزم أهل العلم بصحته حتى إذا عارض الصحيح المعروف أخذ يتكلف له التأويلات الباردة أو يجعله دليلا له في مسائل العلم مع أن أهل العلم بالحديث يعرفون أن مثل هذا غلط وكما أن على الحديث أدلة يعلم بها أنه صدق وقد يقطع بذلك فعليه أدلة يعلم بها أنه كذب ويقطع بذلك مثل ما يقطع بكذب ما يرويه الوضاعون من أهل البدع والغلو في الفضائل مثل حديث يوم عاشوراء وأمثاله مما فيه أن من صلى ركعتين كان له كأجر كذا وكذا نبيا وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدى والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة فإنه موضوع باتفاق أهل العلم و الثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع و الواحدى صاحبه كان أبصر منه بالعربية لكن هو أبعد عن السلامة واتباع السلف والبعوى تفسيره مختصر من الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعية والآراء المبتدعة والموضوعات في كتب التفسير كثيرة مثل الأحاديث الكثيرة الصريحة في الجهر بالبسملة وحديث على الطويل في تصدقه بخاتمه في الصلاة فإنه موضوع باتفاق أهل العلم ومثل ما روى في قوله ولكل قوم هاد أنه على وتبعها اذن واعية اذنك يا على

* وأما النوع الثانى من مستندى الاختلاف وهو ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثنا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان فان التفاسير التى يذكر فيها كلام هؤلاء صرفا لا يكاد يوجد فيها شىء من هاتين الجهتين مثل تفسير عبدالرزاق ووكيع وعبد بن حميد وعبدالرحمن بن ابراهيم دحيم ومثل تفسير الامام أحمد واسحق بن راهويه وبقي بن مخلد وأبى بكر بن المنذر وسفيان بن عيينة وسنيد وابن جرير وابن أبى حاتم وأبى سعيد الأشج وأبى عبدالله بن ماجه وابن مردويه احداهما قوم اعتقدوا معانى ثم أرادوا حمل الفاظ القرآن عليها و الثانية قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر الى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به في الأولون راعوا المعنى الذى رآه من غير نظر الى ما تستحقه الفاظ القرآن من الدلالة والبيان و الآخرون راعوا مجرد اللفظ وما يجوز عندهم أن يريد به العربى من غير نظر الى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام ثم هؤلاء كثيرا ما يغلطون فى احتمال اللفظ لذلك المعنى فى اللغة كما يغلط فى ذلك الذين قبلهم كما أن الأولين كثيرا ما يغلطون فى صحة المعنى الذى فسروا به القرآن كما يغلط فى ذلك الآخرون وان كان نظر الأولين الى المعنى أسبق ونظر الآخرين الى اللفظ أسبق والأولون صنفان تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به وفى كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو اثباته من المعنى باطلا فيكون خطؤهم فى الدليل والمدلول وقد يكون حقا فيكون خطؤهم فى الدليل لا فى المدلول وهذا كما أنه وقع فى تفسير القرآن فإنه وقع أيضا فى تفسير الحديث فالذين أخطأوا فى الدليل والمدلول مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذى عليه الأمة الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة كسلف الأمة وأئمتها وعمدوا الى القرآن فتأولوه على آرائهم تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه ومن هؤلاء فرق الخوارج والروافض والجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرهم وهذا كالمعتزلة مثلا فانهم من أعظم الناس كلاما وجدالا

وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم مثل تفسير عبدالرحمن بن كيسان الاصم شيخ ابراهيم بن اسماعيل بن عليّة الذي كان يناظر الشافعي ومثل كتاب أبي علي الجبائي والتفسير الكبير للقاضي عبدالجبار بن أحمد الهمداني ولعلي بن عيسى الرمانى والكشاف لأبي القاسم الزمخشري فهؤلاء وأمثالهم اعتقدوا مذاهب المعتزلة وأصول المعتزلة خمسة يسمونها هم التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين وانفاذ الوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و توحيدهم هو توحيد الجهمية الذي مضمونه نفى الصفات وغير ذلك قالوا ان الله لا يرى وان القرآن مخلوق وأنه ليس فوق العالم وأنه لا يقوم به علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا مشيئة ولا صفة من الصفات وأما عدلهم فمن مضمونه أن الله لم يشأ جميع الكائنات ولا خلقها كلها ولا هو قادر عليها كلها بل عندهم أن أفعال العباد لم يخلقها الله لا خيرها ولا شرها ولم يرد الا ما أمر به شرعا وما سوى ذلك فانه يكون بغير مشيئته وقد وافقهم على ذلك متأخري الشيعة كالمفيد وأبي جعفر الطوسي وامثالهما ولأبي جعفر هذا تفسير على هذه الطريقة لكن يضم الى ذلك قول الامامية الاثنى عشرية فان المعتزلة ليس فيهم من يقول بذلك ولا من ينكر خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومن أصول المعتزلة مع الخوارج انفاذ الوعيد فى الآخرة وأن الله لا يقبل فى أهل الكبائر شفاعة ولا يخرج منهم أحدا من النار ولا ريب أنه قد رد عليهم طوائف من المرجئة والكرامية والكلابية وأتباعهم فأحسنوا تارة واساءوا أخرى حتى صاروا فى طرفى نقيض كما قد بسط فى غير هذا الموضوع والمقصود أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأيا ثم حملوا الفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا من أئمة المسلمين لا فى رأيهم ولا فى تفسيرهم وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة الا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة وذلك من جهتين تارة من العلم بفساد قولهم وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن اما دليلا على قولهم أو جوابا على المعارض لهم ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحاً ويدس البدع فى كلامه وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف ونحوه حتى إنه يروج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله وقد رأيت من العلماء المفسرين وغيرهم من يذكر فى كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التى يعلم أو يعتقد فسادها ولا يهتدى لذلك ثم أنه لسبب تطرف هؤلاء وضلالهم دخلت الرفضة الامامية ثم الفلاسفة ثم القرامطة وغيرهم فيما هو ابلغ من ذلك وتفاقم الأمر فى الفلاسفة والقرامطة والرفضة فانهم فسروا القرآن بانواع لا يقضى العالم منها عجبه فتفسير الرفضة كقولهم { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ } المسد 1 هما ابو بكر وعمر و { لئن أشركت ليحبطن عملك } الزمر 65 أى بين أبى بكر وعلي فى الخلافة و { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً } البقرة 67 هى عائشة و { فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ } التوبة 12 طلحة والزبير و { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ } الرحمن 19 على وفاطمة و { اللؤلؤ والمرجان } الرحمن 22 الحسن والحسين { وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ } يس 12 فى على بن أبى طالب و { عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ } 1 { عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ } 2 { النبا 1-2 } على بن أبى طالب و { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } المائدة 55 هو على ويذكرون الحديث الموضوع باجماع أهل العلم وهو تصدقه بخاتمته فى الصلاة وكذلك قوله { أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ } البقرة 157 نزلت فى على لما اصيب بحمزة ومما يقارب هذا من بعض الوجوه ما يذكره كثير من المفسرين فى مثل قوله { الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ } آل عمران 17 ان الصابرين رسول الله والصادقين أبو بكر والقانتين عمر والمنفقين عثمان والمستغفرين على وفى مثل قوله { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ } الفتح 29 أبو بكر { أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ } الفتح 29 عمر {

رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ {الفتح29 عثمان { تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا {الفتح29 على وأعجب من ذلك قول بعضهم {وَالْتَيْنِ {التين1 ابو بكر { وَالزَّيْتُونِ {التين1 عمر { وَطُورِ سَيْنِينَ {التين2 عثمان { وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ {التين3 على وأمثال هذه الخرافات التي تتضمن تارة تفسير اللفظ بما لا يدل عليه بحال فان هذه الالفاظ لا تدل على هؤلاء الأشخاص وقوله تعالى { وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا {الفتح29 كل ذلك نعت للذين معه وهى التى يسميها النحاة خبراً بعد خبر و المقصود هنا أنها كلها صفات لموصوف واحد وهم الذين معه ولا يجوز أن يكون كل منها مراداً به شخص واحد وتتضمن تارة جعل اللفظ المطلق العام منحصرًا فى شخص واحد كقوله ان قوله { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا {المائدة55 أريد بها على وحده وقول بعضهم ان قوله { وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ {الزمر33 اريد بها أبو بكر وحده وقوله { لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَل {الحديد10 أريد بها أبو بكر وحده ونحو ذلك و تفسير ابن عطية وأمثاله اتبع للسنة والجماعة واسلم من البدعة من تفسير الزمخشري ولو ذكر كلام السلف الموجود فى التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل فانه كثيرا ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبرى وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرا ثم أنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين وانما يعنى بهم طائفة من اهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم وان كانوا أقرب الى السنة من المعتزلة لكن ينبغى أن يعطى كل ذى حق حقه ويعرف أن هذا من جملة التفسير على المذهب فإن الصحابة والتابعين والأئمة اذا كان لهم فى تفسير الآية قول وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين لهم باحسان صاروا مشاركين للمعتزلة وغيرهم من اهل البدع فى مثل هذا و فى الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم الى ما يخالف ذلك كان مخطئا فى ذلك بل مبتدعا وان كان مجتهدا مغفورا له خطؤه فالمقصود بيان طرق العلم وأدلته وطرق الصواب وحده ونحو ذلك و تفسير ابن عطية وأمثاله اتبع للسنة والجماعة واسلم من البدعة من تفسير الزمخشري ولو ذكر كلام السلف الموجود فى التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل فانه كثيرا ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبرى وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرا ثم أنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين وانما يعنى بهم طائفة من اهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم وان كانوا أقرب الى السنة من المعتزلة لكن ينبغى أن يعطى كل ذى حق حقه ويعرف أن هذا من جملة التفسير على المذهب فإن الصحابة والتابعين والأئمة اذا كان لهم فى تفسير الآية قول وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين لهم باحسان صاروا مشاركين للمعتزلة وغيرهم من اهل البدع فى مثل هذا و فى الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم الى ما يخالف ذلك كان مخطئا فى ذلك بل مبتدعا وان كان مجتهدا مغفورا له خطؤه فالمقصود بيان طرق العلم وأدلته وطرق الصواب

ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه كما أنهم أعلم بالحق الذى بعث الله به رسوله فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ فى الدليل والمدلول جميعا ومعلوم أن كل من خالف قولهم له شبهة يذكرها اما عقلية واما سمعية كما هو مبسوط فى موضعه و المقصود هنا التنبيه على مثار الاختلاف فى التفسير وان من أعظم أسبابه البدع الباطلة التى دعت أهلها الى أن حرفوا الكلم عن مواضعه وفسروا كلام الله

ورسوله صلى الله عليه وسلم بغير ما أريد به وتأولوه على غير تأويله فمن اصول العلم بذلك أن يعلم الانسان القول الذى خالفوه وأنه الحق وأن يعرف أن تفسير السلف يخالف تفسيرهم وأن يعرف أن تفسيرهم محدث مبتدع ثم أن يعرف بالطرق المفصلة فساد تفسيرهم بما نصبه الله من الأدلة على بيان الحق وكذلك وقع من الذين صنفوا فى شرح الحديث وتفسيره من المتأخرين من جنس ما وقع فيما صنفوه من شرح القرآن وتفسيره وأما الذين يخطئون فى الدليل لا فى المدلول فمثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء وغيرهم يفسرون القرآن بمعان صحيحة لكن القرآن لا يدل عليها مثل كثير مما ذكره أبو عبدالرحمن السلمى فى حقائق

التفسير وان كان فيما ذكره ما هو معان باطلة فان ذلك يدخل فى القسم الأول وهو الخطأ فى الدليل والمدلول جميعا حيث يكون المعنى الذى قصدوه فاسدا

7- أحسن طرق التفسير

فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير فالجواب ان اصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل فى مكان فانه قد فسر فى موضع آخر وما اختصر من مكان فقد بسط فى موضع آخر فان أعيانك ذلك فعليك بالسنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له بل قد قال الامام أبو عبدالله محمد بن ادريس الشافعى كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن قال الله تعالى { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا } النساء 105 وقال تعالى { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } النحل 44 وقال تعالى { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } النحل 64 ولهذا قال رسول الله الا انى أوتيت القرآن ومثله معه يعنى السنة

والسنة أيضا تنزل عليه بالوحى كما ينزل القرآن لا أنها تتلى كما يتلى وقد استدل الامام الشافعى وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك والغرض انك تطلب تفسير القرآن منه فان لم تجده فمن السنة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه الى اليمن بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال بسنة رسول الله قال فان لم تجد قال أجتهد رأى قال فضرب رسول الله فى صدره وقال الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله وهذا الحديث فى المساند والسنن باسناد جيد وحينئذ اذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة رجعنا فى ذلك الى أقوال الصحابة فانهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التى اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لا سيما علماءهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين مثل عبدالله بن مسعود قال الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى حدثنا أبو كريب قال انبأنا جابر بن نوح انبأنا الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال قال عبدالله يعنى ابن مسعود والذى لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله الا وأنا اعلم فيمن نزلت واین نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله منى تناوله المطايا لانتيتة وقال الأعمش ايضا عن أبى وائل عن ابن مسعود قال كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن ومنهم الحبر البحر عبدالله بن عباس ابن عم رسول الله وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله له حيث قال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار انبأنا وكيع انبأنا سفیان عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبدالله يعنى

ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس ثم رواه عن يحيى بن داود عن اسحاق الازرق عن سفيان عن الأعمش عن مسلم بن صبيح أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود أنه قال نعم الترجمان للقرآن ابن عباس ثم رواه عن بندار عن جعفر بن عون عن الأعمش به كذلك فهذا اسناد صحيح الى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة وقد مات ابن مسعود في سنة ثلاث وثلاثين على الصحيح وعمر بعده ابن عباس ستا وثلاثين فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود وقال الأعمش عن أبي وائل استخلف على عبدالله بن عباس على الموسم فخطب الناس فقراً في خطبته سورة البقرة وفي رواية سورة النور ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا ولهذا غالب ما يرويه اسماعيل بن عبدالرحمن السدى الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين ابن مسعود وابن عباس ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار رواه البخارى عن عبدالله بن عمرو ولهذا كان عبدالله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الاذن في ذلك ولكن هذه الأحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فانها على ثلاثة أقسام أحدها ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح والثاني ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه والثالث ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجاوز حكايته لما تقدم وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر ديني ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ولون كلهم وعدتهم وعصا موسى من أى الشجر كانت وأسماء الطيور التي أحيهاها الله لابراهيم وتعيين البعض الذى ضرب به القتل من البقرة ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى الى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى {سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا } {الكهف 22} فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعليم ما ينبغى في مثل هذا فانه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث فدل على صحته اذ لو كان باطلا لرده كما ردهما ثم ارشد الى الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فيقال في مثل هذا { قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ } {الكهف 22} فانه ما يعلم بذلك الا قليل من الناس ممن اطلعه الله عليه فهذا قال { فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا } {الكهف 22} أى لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ولا تسألهم عن ذلك فإنهم لا يعلمون من ذلك الا رجم الغيب فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام وان ينبه على الصحيح منها ويبطل الباطل وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فيشتغل به عن الالهة فأمأ من حكى خلافاً في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص اذ قد يكون الصواب في الذى تركه أو يحكى الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضاً فان صحح غير الصحيح عامداً فقد تعدد الكذب أو جاهلاً فقد أخطأ كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً ويرجع حاصلها الى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان وتكثر بما ليس بصحيح فهو كلابس ثوبى زور والله الموفق للصواب اذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك الى أقوال التابعين كمجاهد ابن جبر فانه كان آية في التفسير كما قال محمد بن اسحاق حدثنا

ابان بن صالح عن مجاهد قال عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته الى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها وبه الى الترمذى قال حدثنا الحسين بن مهدي البصرى حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن قتادة قال ما فى القرآن آية الا وقد سمعت فيها شيئاً وبه اليه قال حدثنا ابن ابي عمر حدثنا سفيان بن عيينة عن الأعمش قال قال مجاهد لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم احتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب قال حدثنا طلق بن غنام عن عثمان المكي عن ابن ابي مليكة قال رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه الواحه قال فيقول له ابن عباس اكتب حتى سأله عن التفسير كله ولهذا كان سفيان الثورى يقول اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به وكسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن ابي رباح والحسن البصرى ومسروق بن الاعدع وسعيد بن المسيب وأبي العالية والربيع بن أنس وقتادة والضحاك بن مزاحم وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم فتذكر أقوالهم فى الآية فيقع فى عباراتهم تباين فى الالفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالاً وليس كذلك فان منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره ومنهم من ينص على الشيء بعينه والكل بمعنى واحد فى كثير من الاماكن فليتفطن اللبيب لذلك والله الهادى وقال شعبة بن الحجاج وغيره أقوال التابعين فى الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة فى التفسير يعنى أنها لا تكون حجة على غيرهم مما خالفهم وهذا صحيح اما اذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب فى كونه حجة فان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع فى ذلك الى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة فى ذلك¹

*فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن تبين له المراد وعرف الهدى والرسالة وعرف السداد من الإنحراف والإعوجاج وأما تفسير بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين لاسيا كثير ممن يتكلم فيه بالإحتمالات اللغوية فإن هؤلاء أكثر غلطا من المفسرين المشهورين فإنهم لا يقصدون معرفة معناه كما يقصد ذلك المفسرين وأعظم غلطا من هؤلاء وهؤلاء من لا يكون قصده معرفة مراد الله بل قصده تأويل الآية بما يدفع خصمه عن الإجتجاج بها وهؤلاء يقعون فى أنواع من التحريف ولهذا جوز من جوز منهم أن تتأول الآية بخلاف تأويل السلف وقالوا إذا اختلف الناس فى تأويل الآية على قولين جاز لمن بعدهم إحداث قول ثالث بخلاف ما إذا اختلفوا فى الأحكام على قولين وهذا خطأ فإنهم إذا أجمعوا على أن المراد بالآية إما هذا كان القول بأن المراد غير هذين القولين خلافاً لاجماعهم ولكن هذه طريق من يقصد الدفع لا يقصد معرفة المراد وإلا كيف يجوز أن تضل الأمة عن فهم القرآن ويفهمون منه كلهم غير المراد متأخرون يفهمون المراد فهذا هذا والله أعلم²

**وكثير من الناس يفهمون من القرآن ما لا يدل عليه وهو معنى فاسد ويجعلون ذلك يعارض العقل وقد بينا فى مصنف مفرد درء تعارض العقل والنقل وذكرنا فيه عامة ما يذكرون من العقليات فى معارضة الكتاب والسنة وبيننا أن التعارض لا يقع إلا إذا كان ما سمي معقولا فاسدا وهذا هو

¹مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 424-336_ref

²مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 94_ref

الغالب على كلام أهل البدع أو أن يكون ما أضيف إلى الشرع ليس منه إما حديث موضوع وإما فهم فاسد من نص لا يدل عليه وإما نقل إجماع باطل¹

* وخطاب الله ورسوله للناس عام يتناول جميع المكلفين كقوله { يَا أَيُّهَا النَّاسُ } البقرة 21 { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } البقرة 104 { يَا عِبَادِيَ } العنكبوت 56 { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ } البقرة 40 وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب الناس على منبره بكلام واحد يسمعه كل أحد لكن الناس يتفاضلون في فهم الكلام بحسب ما يخص الله به كل واحد منهم من قوة الفهم وحسن العقيدة ولهذا كان أبو بكر الصديق أعلمهم بمراده كما في الصحيحين عن أبي سعيد أن النبي خطب الناس فقال أن عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة فإختار ذلك العبد ما عند الله قال فبكى أبو بكر وقال نفيك بانفسنا وأموالنا فجعل الناس يعجبون منه ويقولون عجباً لهذا الشيخ بكى أن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة قال فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به فالنبي ذكر عبدا مطلقاً لم يعينه ولكن أبو بكر عرف عينه وما يرويه بعض الناس عن عمر أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما فهذا كذب مختلق وكذلك ما يروى أنه أجاب أبا بكر بجواب وأجاب عائشة بجواب فهذا كذب باتفاق أهل العلم²

8- تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام حدثنا مؤمل حدثنا سفيان حدثنا عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الأعلى الثعلبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وبه إلى الترمذي قال حدثنا عبد بن حميد حدثني حسان بن هلال قال حدثنا سهيل أخو حزم القطعي قال حدثنا أبو عمران الجوني عن جندب قال قال رسول الله من قال في القرآن براهيه فاصاب فقد أخطأ قال الترمذي هذا حديث غريب وقد

تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم وهكذا روى بعض أهل العلم من اصحاب النبي وغيرهم أنهم شددوا في أن يفسر القرآن بغير علم وأما الذي روى عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن وفسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم وقد روى عنهم ما يدل على ما قلنا أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم فمن قال في القرآن براهيه فقد تكلف ما لا علم له به وسلك غير ما امر به فلو أنه اصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ لأنه لم يأت الأمر من باب كمن بين الناس على جهل فهو في النار وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر لكن يكون أخف جرماً ممن أخطأ والله أعلم وهكذا سمي الله تعالى القذفة كاذبين فقال {

¹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 442 ref_

² مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 339 ref_

فَأَيْدٍ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ {النور 13} فالقاذف كاذب ولو كان قد قذف من زنى فى نفس الأمر لأنه أخبر بما لا يحل له الاخبار به وتكلف ما لا علم له به والله أعلم ولهذا تخرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به كما روى شعبة عن سليمان عن عبدالله بن مرة عن أبى معمر قال قال أبو بكر الصديق أى أرض تقلنى وأى سماء تظلمنى اذا قلت فى كتاب الله ما لم أعلم وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا محمود بن يزيد عن العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي ان أبا بكر الصديق سئل عن قوله وفاكهة وأبا فقال أى سماء تظلمنى وأى أرض تقلنى ان أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم منقطع وقال أبو عبيد أيضا حدثنا يزيد عن حميد عن انس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} {عبس 31} فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ثم رجع الى نفسه فقال ان هذا لهو التكلف يا عمر وقال عبد بن حميد حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال كنا عند عمر بن الخطاب وفى ظهر قميصه أربع رقاع فقرأ {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} {عبس 31} فقال ما الأب ثم قال ان هذا لهو التكلف فما عليك أن لا تدريه وهذا كله محمول على أنهما رضى الله عنهما انما أرادا استكشاف علم كيفية الاب والافكونه نبئا من الارض ظاهر لا يجهل لقوله تعالى { فَأَنْبِئْنَا فِيهَا حَبًّا } {27} { وَعِنْبًا وَقَضْبًا } {28} { وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا } {29} { وَحَدَائِقَ غُلْبًا } {30} { وَفَاكِهَةً وَأَبًّا } {31} { عبس 27-31} وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن عليه عن ايوب عن ابن ابي مليكة ان ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها فابى أن يقول فيها اسناده صحيح وقال أبو عبيد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن ايوب عن ابن ابي مليكة قال سأل رجل ابن عباس عن { يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ } {السجدة 5} فقال له ابن عباس فما { يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } {المعارج 4} فقال الرجل انما سألتك لتحديثى فقال ابن عباس هما يومان ذكرهما الله فى كتابه الله اعلم بهما فكره أن يقول فى كتاب الله ما لا يعلم وقال ابن جرير حدثنى يعقوب يعنى ابن ابراهيم حدثنا ابن عليه عن مهدي بن ميمون عن الوليد بن مسلم قال جاء طلق بن حبيب الى جندب بن عبدالله فسأله عن آية من القرآن فقال اخرج عليك أن كنت مسلما لما قمت عنى أو قال ان تجالسنى وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان اذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال انا لا نقول فى القرآن شيئا وقال الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يتكلم الا فى المعلوم من القرآن وقال شعبة عن عمرو بن مرة قال سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال لا تسألنى عن القرآن وسل من يزعم أنه لا خفى عليه منه شيء يعنى عكرمة وقال ابن شاذب حدثنى يزيد بن ابي يزيد قال كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام وكان اعلم الناس فاذا سأله عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع وقال ابن جرير حدثنى أحمد بن عبدة الضبى حدثنا حماد بن زيد حدثنا عبيدالله بن عمر قال لقد أدركت فقهاء المدينة وأنهم ليعظمون القول فى التفسير منهم سالم بن عبدالله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع وقال أبو عبيد حدثنا عبدالله بن صالح عن الليث عن هشام بن عروة قال ما سمعت أبى تأول آية من كتاب الله قط وقال ايوب وابن عون وهشام الدستوائى عن محمد بن سيرين قال سألت عبيدة السلمانى عن آية من القرآن فقال ذهب الذين كانوا يعلمون فيما أنزل من القرآن فاتق الله وعليك بالسداد وقال ابو عبيد حدثنا معاذ عن ابن عون عن عبيدالله بن مسلم بن يسار عن ابيه قال اذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده حدثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال كان اصحابنا يتقون التفسير ويهابونه وقال شعبة عن عبدالله بن ابي السفر قال قال الشعبي والله ما من آية الا وقد سألت الله عنها ولكنها الرواية عن الله وقال ابو عبيد حدثنا هشيم أنبأنا عمر بن أبى زائدة عن الشعبي عن مسروق قال اتقوا التفسير فانما هو الرواية عن الله فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف

محمولة على تخرجهم عن الكلام فى التفسير بما لا علم لهم به فاما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال فى التفسير ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه وهذا هو الواجب على كل أحد فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى { لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ } آل عمران 187 ولما جاء فى الحديث المروى من طرق من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن ابى الزناد قال قال ابن عباس التفسير على أربعة أوجه وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله والله سبحانه وتعالى أعلم

* لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بكتابه الذى هو الهدى والشفاء والنور وجعله أحسن الحديث وأحسن القصص وجعله الصراط المستقيم لأهل العقل والتدبر ولأهل التلاوة والذكر ولأهل الاستماع والحال فالمعتصمون به علما وحالا وتلاوة وسمعا باطنا وظاهرا هم المسلمون حقا خاصة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم لما انحرف من انحرف من أهل الكلام والحروف الى كلام غيره ومن أهل السماع والصوت الى سماع غيره كان الانحراف فى أربع طوائف متجانسة قوم تركوا التعلم منه والنظر فيه والتدبر له الى كلام غيره من كلام الصابئة أو اليهود أو ما هو مولد من ذلك أو مجانس له أو نحو ذلك وهم منحرفة المتكلمة وبازائهم قوم أقاموا حروفه وحفظوه وتلوه من غير فقه فيه ولا فهم لمعانيه ولا معرفة للمقالات التى توافقه أو تخالفه ووجه بيانه لمسائلها ودلائلها وهم ظاهرية القراء والمحدثين ونحوهم وهذان الصنفان نظير من تفقه لا يعرف الحديث أو صاحب حديث لا يتفقه فيه وكذلك متكلم لا يتدبر القرآن أو قارىء لا يعرف من القرآن أنواع الكلام الحق والباطل فهاتان فرقتان علميتان والثالثة قوم تركوا استماع القلوب له والتنعم به وتحرك القلب عن محرركاته وذوق حلاوته ووجود طعمه الى سماع اصوات تغيره من شعر أو ملاحى من اصوات الصابئة أو النصارى أو ما هو مولد عن ذلك ومجانس له أو نحو ذلك وهم منحرفة المتصوفة والمتفكرة وبازائهم قوم يصوتون به ويسمعون قراءته من غير تحرك عنه ولا وجد فيه ولا ذوق لحقائقه ومعانيه وهم ظاهرية العباد والمتطوعة والمتقرئة فهذان الصنفان صاحب حال تحرك الاصوات حاله وليست تلك الحركة والحال عن الصوت بالقرآن وصاحب مقال يميز بين الاقوال وينظر فيها وليس ذلك النظر والمقال عن القرآن وبازائهما صاحب عبادة ظاهرة معه استماع ظاهر القرآن وتلاوته وصاحب علم ظاهر معه حفظ حروف القرآن أو تفسير حروفه من غريبه واعرابه وأسباب نزوله ونحو ذلك فهذه الاقسام الاربعة الذين وقفوا مع ظاهر العلم والعمل المشروعين والذين خاضوا فى باطن العلم والعمل لكن غير المشروعين جاء التفريط والاعتداء منهم ولهذا وقع بينهم التعادى فالاولون يرمون الآخرين بالبدعة والضلالة وقد صدقوا والآخرين ينسبون الاولين الى الجهالة والعجز وقد صدقوا ثم قد يكون مع بعض الاولين كثير من العلم والعمل المشروع كما قد يكون مع بعض الآخرين كثير من العلم الباطن والحال الكامن كما قد روى الحسن البصرى فى مراسيله عن النبى أنه قال العلم علمان علم فى القلب وعلم فى اللسان فعلم القلب هو العلم النافع وعلم اللسان حجة الله على عباده وقال يحيى بن سعيد التيمى أبو حيان فيما رواه الخلال فى جامعه عن الثورى العلماء ثلاثة فعالم بالله ليس عالما بأمر الله وعالم بأمر الله ليس عالما بالله وعالم بالله وبأمر الله قال شيخ الاسلام قدس الله روحه وأما سؤاله عن اجراء القرآن على ظاهره فإنه اذا آمن بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تكيف فقد اتبع سبيل المؤمنين ولفظ الظاهر فى عرف المتأخرين قد صار فيه اشتراك فان

أراد باجرائه على الظاهر الذى هو من خصائص المخلوقين حتى يشبه الله بخلقه فهذا ضال بل يجب القطع بأن الله ليس كمثل شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله فقد قال ابن عباس ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسماء يعنى أن موعود الله فى الجنة من الذهب والحريير والخمر واللبن تخالف حقائقه حقائق هذه الأمور الموجودة فى الدنيا فإله تعالى أبعد عن مشابهة مخلوقاته بما لا يدركه العباد ليست حقيقته كحقيقة شىء منها واما ان أراد باجرائه على الظاهر الذى هو الظاهر فى عرف سلف الأمة لا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يلحد فى أسماء الله تعالى ولا يقرأ القرآن والحديث بما يخالف تفسير سلف الأمة واهل السنة بل يجرى ذلك على ما اقتضته النصوص وتطابق عليه دلائل الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة فهذا مصيب فى ذلك وهو الحق وهذه جملة لا يسع هذا الموضوع تفصيلها والله أعلم¹

9

- وسئل رحمه الله عن قوله من فسر القرآن برأيه

فليتبوا مقعده من النار فاختلف المفسرين فى آية واحدة

ان كان بالرأى فكيف النجاة وان لم يكن بالرأى فكيف وقع

الاختلاف والحق لا يكون فى طرفى نقيض افتونا

فأجاب رحمه الله تعالى ينبغى أن يعلم ان الاختلاف الواقع من المفسرين وغيرهم على وجهين أحدهما ليس فيه تضاد وتناقض بل يمكن أن يكون كل منهما حقا وانما هو اختلاف تنوع او اختلاف فى الصفات أو العبادات وعامة الاختلاف الثابت عن مفسرى السلف من الصحابة والتابعين هو من هذا الباب فان الله سبحانه اذا ذكر فى القرآن اسما مثل قوله {اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة 6 فكل من المفسرين يعبر عن الصراط المستقيم بعبارة يدل بها على بعض صفاته وكل ذلك حق بمنزلة ما يسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء كل اسم منها يدل على صفة من صفاته فيقول بعضهم الصراط المستقيم كتاب الله أو اتباع كتاب الله ويقول الآخر الصراط المستقيم هو الاسلام أو دين الاسلام ويقول الآخر الصراط المستقيم هو السنة والجماعة ويقول الآخر الصراط المستقيم طريق العبودية أو طريق الخوف والرجاء والحب وامتنال المأمور واجتناب المحظور أو متابعة الكتاب والسنة أو العمل بطاعة الله أو نحو هذه الاسماء والعبارات ومعلوم أن المسمى هو واحد وان تنوعت صفاته وتعددت أسماؤه وعباراته كما اذا قيل محمد هو أحمد وهو الحاشر وهو الماحى وهو العاقب وهو خاتم المرسلين وهو نبي الرحمة وهو نبي الملحمة وكذلك اذا قيل القرآن هو الفرقان والنور والشفاء والذكر الحكيم والكتاب الذى أحكمت آياته ثم فصلت وكذلك أسماء الله الحسنى هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم وهو الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن

¹مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 424-336 ref_

المهيمن العزيز الجبار المتكبر هو الله الخالق البارئ المصور فهو سبحانه واحد صمد وأسمائه الحسنی تدل كلها على ذاته ويدل هذا من صفاته على ما لا يدل عليه الآخر فهي متفقة في الدلالة على الذات متنوعة في الدلالة على الصفات فالاسم يدل على الذات والصفة المعينة بالمطابقة ويدل على أحدهما بطريق التضمن وكل اسم يدل على الصفة التي دل عليها بالالتزام لأنه يدل على الذات المتكني به جميع الصفات فكثير من التفسير والترجمة تكون من هذا الوجه ومنه قسم آخر وهو أن يذكر المفسر والمترجم معنى اللفظ على سبيل التعيين والتمثيل لا على سبيل الحد والحصر مثل أن يقول قائل من العجم ما معنى الخبز فيشار له الى رغيف وليس المقصود عينه وانما الإشارة الى تعيين هذا الشخص وهذا كما اذا سئلوا عن قوله { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } فاطر32 أو عن قوله { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } النحل128 أو عن الصالحين أو الظالمين ونحو ذلك من الاسماء العامة الجامعة التي قد يتعسر أو يتعذر على المستمع أو المتكلم ضبط مجموع معناه اذ لا يكون محتاجا الى ذلك فيذكر له من أنواعه وأشخاصه ما يحصل به غرضه وقد يستدل به على نظائره فإن الظالم لنفسه هو تارك المأمور فاعل المحذور و المقتصد هو فاعل الواجب وتارك المحرم و السابق هو فاعل الواجب والمستحب وتارك المحرم والمكروه فيقول المجيب بحسب حاجة السائل الظالم الذي يفوت الصلاة والذي لا يسبغ الوضوء أو الذي لا يتم الأركان ونحو ذلك و المقتصد الذي يصلى في الوقت كما أمر و السابق بالخيرات الذي يصلى الصلاة بواجباتها ومستحباتها ويأتي بالناوئل المستحبة معها وكذلك يقول مثل هذا في الزكاة والصوم والحج وسائر الواجبات وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال التفسير على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله فمن ادعى علمه فهو كاذب والصحابة اخذوا عن الرسول لفظ القرآن ومعناه كما أخذوا عنه السنة وان كان من الناس من غير السنة فمن الناس من غير بعض معاني القرآن اذ لم يتمكن من تغيير لفظه و أيضا فقد يخفى على بعض العلماء معاني القرآن كما خفى عليه بعض السنة فيقع خطأ المجتهدين من هذا الباب والله اعلم¹

القرآن ثلثه توحيد وثلثه قصص وثلثه أمر ونهي

*والقرآن ثلثه توحيد وثلثه قصص وثلثه أمر ونهي لأنه كلام الله والكلام إما إنشاء وإما إخبار والإخبار إما عن الخالق وإما عن المخلوق فصار ثلاثة أجزاء جزء أمر ونهي وإباحة وهو الإنشاء وجزء إخبار عن المخلوقين وجزء إخبار عن الخالق²

[عد الى الفهرس](#)

¹مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 381 ref_

²منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 290 ref_

البسمة آية من القرآن

*الحمد لله اتفق المسلمون على أن بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن في قوله {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} النمل 30 وتنازعا فيها في أوائل السور حيث كتبت على ثلاثة أقوال أحدها إنها ليست من القرآن وإنما كتبت تبركا بها وهذا مذهب مالك وطائفة من الحنفية ويحكى هذا رواية عن أحمد ولا يصح عنه وإن كان قولاً في مذهبه والثاني إنها من كل سورة إما آية وإما بعض آية وهذا مذهب الشافعي رضي الله عنه والثالث إنها من القرآن حيث كتبت آية من كتاب الله من أول كل سورة وليست من السورة وهذا مذهب ابن المبارك وأحمد بن حنبل رضي الله عنه وغيرهما وذكر الرازي أنه مقتضى مذهب أبي حنيفة عنده وهذا أعدل الأقوال فإن كتابتها في المصحف بقلم القرآن تدل على أنها من القرآن وكتابتها مفردة مفصولة عما قبلها وما بعدها تدل على أنها ليست من السورة ويدل على ذلك ما رواه أهل السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن سورة من القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك وهذا لا ينافي ذلك فإن في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أغفى إغفاءة فقال لقد نزلت علي آفا سورة وقرأ إنا أعطيناك الكوثر لأن ذلك لم يذكر فيه أنها من السورة بل فيه أنها تقرأ في أول السورة وهذا سنة فإنها تقرأ في أول كل سورة وإن لم تكن من السورة ومثله حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم رواه أبو داود ففيه أنها نزلت للفصل وليس فيه أنها آية منها وتبارك الذي بيده الملك الملك 1 ثلاثون آية بدون البسمة ولأن العادين لآيات القرآن لم يعد أحد منهم البسمة من السورة لكن هؤلاء تنازعا في الفاتحة هل هي آية منها دون غيرها على قولين هما روايتان عن أحمد أحدهما إنها من الفاتحة دون غيرها وهذا مذهب طائفة من أهل الحديث أظنه قول أبي عبيد واحتج هؤلاء بالآثار التي رويت في أن البسمة من الفاتحة وعلى قول هؤلاء تجب قراءتها في الصلاة وهؤلاء يوجبون قراءتها وإن لم يجهروا بها والثاني إنها ليست من الفاتحة كما أنها ليست من غيرها وهذا أظهر فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها له ولعبي ما سأل يقول العبد { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الفاتحة 2 يقول الله حمدني عبدي يقول العبد { الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } الفاتحة 3 يقول الله أنتى علي عبدي يقول العبد { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } الفاتحة 4 يقول الله حمدني عبدي يقول العبد { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 يقول الله فهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل يقول العبد { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } 6 { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } 7 إلى آخرها يقول الله فهؤلاء لعبي ولعبي ما سأل فلو كانت من الفاتحة لذكرها كما ذكر غيرها وقد روي ذكرها في حديث موضوع رواه عبد الله ابن زياد بن سمعان فذكره مثل الثعلبي في تفسيره ومثل من جمع أحاديث الجهر وأنها كلها ضعيفة أو موضوعة ولو كانت منها لما كان للرب ثلاث آيات ونصف وللعبد ثلاث ونصف وظاهر الحديث أن القسمة وقعت على الآيات فإنه قال فهؤلاء لعبي وهؤلاء إشارة إلى جمع فعلم أن من قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 إلى آخرها ثلاث آيات على قول من لا يعد البسمة آية

منها ومن عدها آية منها جعل هذا آيتين وأيضا فإن الفاتحة سورة من سور القرآن والبسمة مكتوبة في أولها فلا فرق بينها وبين غيرها من السور في مثل ذلك وهذا من أظهر وجوه الاعتبار وأيضا فلو كانت منها لتليت في الصلاة جهرا كما تتلى سائر آيات السورة وهذا مذهب من يرى الجهر بها كالشافعي وطائفة من المكيين والبصريين فإنهم قالوا إنها آية من الفاتحة يجهر بها كسائر آيات الفاتحة واعتمد على آثار منقولة بعضها عن الصحابة وبعضها عن النبي صلى الله عليه وسلم فأما المأثور عن الصحابة كابن الزبير ونحوه ففيه صحيح وفيه ضعيف وأما المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو ضعيف أو موضوع كما ذكر ذلك حفاظ الحديث كالدارقطني وغيره ولهذا لم يرو أهل السنن والمسانيد المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهر بها حديثا واحدا وإنما يروي أمثال هذه الأحاديث من لا يميز من أهل التفسير كالثعلبي ونحوه وكبعض من صنف في هذا الباب من أهل الحديث كما يذكره طائفة من الفقهاء في كتب الفقه وقد حكي القول بالجهر عن أحمد وغيره بناء على إحدى الروايتين عنه من أنها من الفاتحة فيجهر بها كما يجهر بسائر الفاتحة وليس هذا مذهبه بل يخافت بها عنده وإن قال هي من الفاتحة لكن يجهر بها عنده لمصلحة راجحة مثل أن يكون المصلون لا يقرأونها بحال فيجهر بها ليعلمهم أن قراءتها سنة كما جهر ابن عباس بالفاتحة على الجنابة وكما جهر عمر بن الخطاب بالاستفتاح وكما نقل عن أبي هريرة أنه قرأ بها ثم قرأ بأمر الكتاب وقال أنا أشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم رواه النسائي وهو أجود ما احتجوا به وكذلك فسر بعض أصحاب أحمد خلافه أنه كان يجهر بها إذا كان المأمومون ينكرون على من لم يجهر بها وأمثال ذلك فإن الجهر بها والمخافتة سنة فلو جهر بها المخافتة صحت صلاته بلا ريب وجمهور العلماء كأبي حنيفة ومالك وأحمد والأوزاعي يرون الجهر لكن منهم من يقرأها سرا كأبي حنيفة وأحمد وغيرهما ومنهم من لا يقرأها سرا ولا جهرا كمالك وحجة الجمهور ما ثبت في الصحيح من أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وفي لفظ لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا آخرها والله أعلم¹

* كان القراء منهم من يقرأ بها في أول السورة (الفاتحة) ومنهم من لا يقرأ بها فدل على أن كلا الأمرين سائغ لكن من قرأ بها كان قد أتى بالأفضل وكذلك من كرر قراءتها في أول كل سورة كان أحسن ممن ترك قراءتها لأنه قرأ ما كتبه الصحابة في المصحف فلو قدر أنهم كتبوها على وجه التبرك لكان ينبغي أن تقرأ على وجه التبرك وإلا فكيف يكتبون في المصحف ما لا يشرع قراءته وهم قد جردوا المصحف عما ليس من القرآن حتى أنهم لم يكتبوا التأمين ولا أسماء السور ولا التخميس والتعشير ولا غير ذلك مع أن السنة للمصلي أن يقول عقب الفاتحة آمين فكيف يكتبون ما لا يشرع أن يقوله وهم لم يكتبوا ما يشرع أن يقوله المصلي من غير القرآن فإذا جمع بين الأدلة الشرعية دلت على أنها من كتاب الله وليست من السورة والحديث الصحيح عن أنس ليس فيه نفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بل لفظه صليت خلف النبي وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم أو فلم يكونوا يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم ورواية من روى فلم يكونوا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا آخرها إنما تدل على نفي الجهر لأن أنسا لم ينف إلا ما علم وهو لا يعلم ما كان يقوله النبي صلى الله عليه وسلم هنا

¹ الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 230-233 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 481-491 ومجموع الفتاوى ج: 22 ص: 438-444 ومجموع الفتاوى ج: 22 ص: 406 القواعد النورانية ج: 1 ص: 20-23

سرا ولا يمكن أن يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يسكت بل يصل التكبير بالقراءة فإنه قد ثبت في الصحيحين أن أبا هريرة قال له أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ماذا تقول ومن تأول حديث أنس على نفي قراءتها سرا فهو مقابل لقول من قال مراد أنس أنهم كانوا يفتتحون بفاتحة الكتاب قبل غيرها من السور وهذا أيضا ضعيف فإن هذا من العلم العام الذي ما زال الناس يفعلونه وقد كان الحجاج بن يوسف وغيره من الأمراء الذين صلى خلفهم أنس يقرأون الفاتحة قبل السورة ولم ينازع في ذلك أحمد ولا سئل عن ذلك أحد لا أنس ولا غيره ولا يحتاج أن يروي أنس هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ومن روى عن أنس أنه شك هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ البسمة أو لا يقرأها فروايتها توافق الروايات الصحيحة لأن أنسا لم يكن يعلم هل قرأها سرا أم لا وإنما نفي الجهر ومن هذا الباب الذي اتفق العلماء على أنه يجوز فيه الأمران فعل الرواتب في السفر فإنه من شاء فعلها ومن شاء تركها باتفاق الأئمة والصلاة التي يجوز فعلها وتركها قد يكون فعلها أحيانا أفضل لحاجة الانسان إليها وقد يكون تركها أفضل إذا كان مشغلا عن النافلة بما هو أفضل منها لكن النبي صلى الله عليه وسلم في السفر لم يكن يصلي من الرواتب إلا ركعتي الفجر والوتر قال أحمد أجمع الناس على أنها نزلت في الصلاة¹

*والذين يستحبون بعض المشروع ويكرهون بعضه فإن الله سبحانه يقيم طائفة تقول هذا وطائفة تقول هذا وطائفة تقول هذا ويتنازعون فإن بسبب النزاع تظهر كل طائفة من السنة ما قالت به وتركته الأخرى كالمختلفين في البسمة هل تجب ويجهر بها أم تكره قراءتها سرا وجهرا يحتاج أولئك أن يظهروا ما يدل على أنها ليست من السور ولا تجب قراءتها وكلا القولين حق وسورة اقرأ هي أول ما نزل من القرآن وقد إحتج بها كل من الطائفتين وفيها حجة لما معه من الحق فالذين قالوا ليست من السورة قالوا إن جبريل لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمره بقراءتها بل أمره أن يقرأ { بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } ولو كانت هي أول السورة لأمره بها وهذا ثابت في الصحيحين من حديث عائشة والذين قالوا بقراءتها قد قال { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } { العلق 1 } فهذا أمر لكل قارئ أن يقرأ باسم ربه فإذا قيل أذبح بسم الله وكل بسم الله وإركب بسم الله فمعناه ذكر اسم الله إذا فعلت ذلك فلما قال اقرأ باسم ربك كان أمرا للقارئ أن يذكر اسم الله فيقول باسم الله وهذا أولى من ذكر اسم ربه عند الذبح والأكل والشرب وهنا قد أمر بالاستعادة أيضا عند القراءة وهو إذا قال بسم الله الرحمن الرحيم فقد إمتثل ما أمر به فذكر اسم ربه إذا قرئ وإنما لم يذكرها جبريل إبتدا لأنه بعد لم يتعلم شيئا من القرآن لكن علمه هذا وأمره فيه يذكر اسم ربه إذا قرأ فكان بعد هذا إذا قرأ السورة يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم كما ثبت في صحيح مسلم أنه قال قد أنزل على أنفا سورة ثم قرأ { بسم الله الرحمن الرحيم } { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ {1} فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ {2} } { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ {3} } الكوثر 1-3 ولكن هذه تدل على أنها تتبع للقرآن المقصود لما فيها من ذكر الله ولهذا كتبت في المصاحف مفردة عن السورة لم تخطب بها فهي قرآن مكتوب في المصاحف لكن أنزل تبعا لغيره والمقصود غيره فلماذا أفردت في الكتابة والتلاوة ففي الكتابة تكتب مفردة وفي التلاوة كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يجهر بها ولم يجعلها من القرآن المفروض في الحديث الصحيح بقوله يقول

¹الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 481 و مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 276-279 ref_

الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين نصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى فإذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى على عبدى فإذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى إلى آخر الحديث وهذا قول جمهور العلماء فى البسمة أنها آية من القرآن مفردة وليست من السورة وأنه يقرأ بها فى الصلاة سرا فلا تخرج من القرآن وتهجر لا تشبهه بالقرآن المقصود فتجهر وهى تشبه الإستعاذة من بعض الوجوه لكن الإستعاذة ليست بقرآن ولم تكتب فى المصاحف وإنما فيه الأمر بالإستعاذة وهذا قرآن والفاحة سبع آيات بالإتفاق وقد ثبت ذلك بقوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله وسلم أنه قال فاتحة الكتاب هى السبع المثانى وقد كان كثير من السلف يقول البسمة آية منها ويقرأها وكثير من السلف لا يجعلها منها ويجعل الآية السابعة أنعمت عليهم كما دل على ذلك حديث أبى هريرة الصحيح وكلا القولين حق فهى منها من وجه وليست منها من وجه والفاحة سبع آيات من وجه تكون البسمة منها فتكون آية ومن وجه لا تكون منها فالآية السابعة أنعمت عليهم لأن البسمة أنزلت تبعا للسور

والمقصود أن يبتدأ القرآن بذكر إسم الله فهى أنزلت فى أول السورة تبعا لم تنزل فى أواخر السور وكتبت فى المصاحف مفردة لكن تبعا لما بعدها لا لما قبلها ولهذا قال النبى قد أنزلت على أنفا سورة وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطينا الكوثر وفى السنن كان النبى لا يعلم فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم فمن جهة كونها تابعة للسورة تجعل منها ومن جهة كون المقصود أن يقرأ بسم الله كما يفعل سائر الأفعال بإسم الله والقرآن المقصود غيرها لم تكن آية من السورة ولهذا قال النبى أنى لا لأعلم سورة من القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك والقراء منهم من يفصل بها بين السورتين ومنهم من لا يفصل لكون القرآن كله كلام الله فلا يفصلون بها بين السورتين كمن سمي إذا أكل ثم أكل أنواعا من الطعام ومنهم من يسمى فى أول كل سورة وهذا أحسن لمتابعته لخط المصحف وهو بمنزلة رفع طعام ووضع طعام فالتسمية عنده أفضل ذلك من ذبح شاة بعد شاة فالتسمية على كل شاة أفضل وأما تلاوتها فى أول الفاتحة فهو إبتداء بها للقرآن ولهذا اختلف كلام أحمد هل قراءتها فى أول الفاتحة واجبة فرض لا تصح الصلاة إلا به على روايتين وذكر عنه روايتان فى الإستعاذة والإستفتاح بالبسمة أولى بالوجوب ثم وجوبها قد بينت على أنها من الفاتحة وقد يقال بوجوبها وإن لم تكن من الفاتحة كما يوجب الإستعاذة والإستفتاح ولهذا لا يجعل الجهر بها تبعا لوجوبها بل يوجبها ويستحب المخافتة بها ولو كانت من الفاتحة من كل وجه لكان الجهر ببعض الفاتحة دون بعض بعيدا عن الأصول فإذا جعلت منها وجه دون وجه إتفقت الأدلة والأصول وأعطى كل شىء من ذلك صفة ولم يقل أنها من القرآن فى أول الفاتحة ولو كقول من لم يجعلها من القرآن فى حال إلا فى سورة النمل وقد قال طائفة أنها من القرآن فى قراءة دون قراءة لتواتر هذه القراءات فيقال المتواتر هو الأمر الوجودى وهو ما سمعوه من القرآن من الصحابة وبلغوه عن الرسول والقرآن فى زمانه لم يكتب ولا كان ترتيب السور على هذا الوجه أمرا واجبا مأمورا به من عند الله بل الأمر مفوض فى ذلك الى إختيار المسلمين ولهذا كان لجماعة من الصحابة لكل منهم إصطلاح فى ترتيب سور غير إصطلاح الآخر وحينئذ فيكون الذين لا يقرأونها أقرأهم الرسول ولم يبسم وأولئك أقرأهم وبسمل فهذا يدل على جواز الأمرين وإن كان أحدهما أفضل لا يدل على أنها فى أحد الحرفين ليست من القرآن وأنه نهى عن قراءتها فإن هذا جمع بين النقيضين كيف يسوغ قراءتها والنهى عن قراءتها بل هذا يدل على جواز الأمرين كالحروف التى ثبتت فى قراءتها دون قراءة مثل من تحتها ومثل

إن الله هو الغنى فالرسول يجوز إثبات ذلك ويجوز حذفه كلاهما جائز في شرعه وبهذا يتبين أن من قال من الفقهاء أنها واجبة على قراءة من أثبتها أو مكروهة على قراءة من لم يثبتها فقد غلط بل القرآن يدل على جواز الأمرين ومن قرأ بإحدى القراءات لا يقال أنه كلما قرأ يجب أن يقرأ بها ومن ترك ما قرأ به غيره لا يقول إن قراءة أولئك مكروهة بل كل ذلك جائز بالإتفاق وإن رجح كل قوم شيئاً وبهذا يتبين أن من أنكر كونها من القرآن بالكلية إلا في سورة النمل وقطع بخطأ من إثبتها بناء على أن القرآنية لا تثبت إلا بالقطع فهو مخطيء في ذلك ويقال له ولا تنفى إلا بالقطع أيضاً ثم يقال له من أثبتها يقطع بأنها ثابتة ويقطع بخطأ من نفاها بل التحقيق أن كون الشيء قطعياً أو غير قطعياً أمر اضافي والقراءات تدل على جواز الأمرين ولكن القراءة بها أفضل وهذا قول جمهور العلماء يجوزون هذا ويرجحون قراءتها ويخفونها عن غيرها من القرآن لأنها تابعة لغيرها والله أعلم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا ونعم الوكيل¹

أسماء الحروف (فواتح السور)

* وليس في القرآن من حروف الهجاء التي هي أسماء الحروف إلا نصفها وهي أربعة عشر حرفاً وهي نصف أجناس الحروف نصف المجهورة والمهموسة والمستعلية والمطبقة والشديدة والرخوة وغير ذلك من أجناس الحروف وهو أشرف النصفين والنصف الآخر لا يوجد في القرآن إلا في ضمن الأسماء أو الأفعال أو حروف المعاني التي ليست باسم ولا فعل فلا يجوز أن نعتقد أن حروف المعجم بأسمائها جميعها موجودة في القرآن لكن نفس حروف المعجم التي هي أبعاض الكلام موجودة في القرآن بل قد اجتمعت في آيتين إحداهما في آل عمران و الثانية في سورة الفتح {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً} آل عمران 154 الآية و {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ} الفتح 29 الآية²

* أن المتشابه الحروف المقطعة في أوائل السور يروى هذا عن ابن عباس و على هذا القول فالحروف المقطعة ليست كلاماً تاماً من الجمل الإسمية و الفعلية و إنما هي أسماء موقوفة و لهذا لم تعرب فإن الأعراب إنما يكون بعد العقد و التركيب و إنما نطق بها موقوفة كما يقال أ ب ت ث و لهذا تكتب بصورة الحرف لا بصورة الإسم الذي ينطق به فإنها في النطق أسماء و لهذا لما سأل الخليل أصحابه عن النطق بالزاي من زيد قالوا ز ا قال نطقتم بالإسم و إنما النطق بالحرف زه فهي في اللفظ أسماء و في الخط حروف مقطعة ألم لا تكتب ألف لام ميم كما يكتب قول النبي صلى الله عليه و سلم من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات أما إنني لا أقول ألم حرف و لكن ألف حرف و لام حرف و ميم حرف و الح لغة الرسول صلى الله عليه و سلم و أصحابه يتناول الذي يسميه النحاة أسماً و فعلاً و حرفاً و لهذا قال سيبويه في تقسيم الكلام إسم و فعل و حرف جاء لمعنى ليس بإسم و لا فعل فإنه لما كان معروفاً من اللغة أن الإسم حرف و الفعل حرف خص هذا القسم الثالث الذي يطلق النحاة عليه الحرف أنه جاء لمعنى ليس بإسم و لا فعل و هذه حروف المعاني التي يتألف منها الكلام و أما حروف الهجاء

¹ مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 349 ref_

² مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 448-449 ref_

فتلك إنما تكتب على صورة الحرف المجرد و ينطق بها غير معربة و لا يقال فيها معرب و لا مبنى لأن ذلك إنما يقال في المؤلف فإذا كان على هذا القول كل ما سوى هذه محكم حصل المقصود فإنه ليس المقصود إلا معرفة كلام الله و كلام رسوله صلى الله عليه و سلم ثم يقال هذه الحروف قد تكلم في معناها أكثر الناس فإن كان معناها معروفا فقد عرف معنى المتشابه وإن لم يكن معروفا و هي المتشابهة كان ما سواها معلوم المعنى و هذا المطلوب وأيضا فإن الله تعالى قال { مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ } آل عمران 7 و هذه الحروف ليست آيات عند جمهور العلماء و إنما يعدها آيات الكوفيون و سبب نزول هذه الآية الصحيح يدل على أن غيرها أيضا متشابهة و لكن هذا القول يوافق ما نقل عن اليهود من طلب علم المدد من حروف الهجاء¹

الأحرف السبعة والقراءات السبعة

* لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن أنزل عليها ليست هي قراءات القراء السبعة المشهورة بل أول من جمع قراءات هؤلاء هو الإمام أبو بكر بن مجاهد وكان على رأس المائة الثالثة ببغداد فإنه أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين والعراقيين والشام إذ هذه الأمصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة من القرآن وتفسيره والحديث والفقهاء في الأعمال الباطنة والظاهرة وسائر العلوم الدينية فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن لا اعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم ولهذا قال من قال من أئمة القراء لولا أن ابن مجاهد سبقني إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة وأمام قراء البصرة في زمانه في رأس المائتين ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده بل قد يكون معناها متفقا أو متقاربا كما قال عبد الله بن مسعود إنما هو كقول أحدكم أقبل وهلم وتعال وقد يكون معنى أحدها ليس هو معنى الآخر لكن كلا المعنيين حق وهذا اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض وهذا كما جاء في الحديث المرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف إن قلت غفورا رحيمًا أو قلت عزيزا حكيمًا ف الله كذلك ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب بآية رحمة وهذا كما في القراءات المشهورة إلا أن يخافا ألا يقيما وإلا أن يخافا ألا يقيما وإن كان مكرهم لتزول ولتزل منه الجبال وبل عجبت وبل عجبت ونحو ذلك ومن القراءات ما يكون المعنى فيها متفقا من وجه متباين من وجه كقوله يخدعون ويخدعون ويكذبون ويكذبون ولمستم ولمستم وحتى يطهرن ويطهرن ونحو ذلك وهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملا لا يجوز ترك موجب إحداها لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض بل كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وأما ما اتحد لفظه ومعناه وإنما يتنوع صفة النطق به كالهزات والمدات والإمالات ونقل الحركات والإظهار والإدغام والإختلاس وترقيق اللامات

¹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 420-421 ref_

والراءات أو تغليظها ونحو ذلك مما تسمى القراءات الأصول فهذا أظهر وأبين في أنه ليس فيه تناقض ولا تضاد مما تتوع فيه اللفظ أو المعنى إذا هذه الصفات المتنوعة في أداء اللفظ لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً ولا يعد ذلك فيما اختلف لفظه واتحد معناه أو اختلف معناه من المترادف ونحوه ولهذا كان دخول هذا في حرف واحد من الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها مما يتتوع فيه اللفظ أو المعنى وإن وافق رسم المصحف وهو ما يختلف فيه النقط أو الشكل ولذلك لم يتتازع علماء الإسلام المتبوعين من السلف والأئمة في أنه لا يتعين أن يقرأ بهذه القراءات المعينة في جميع أمصار المسلمين بل من ثبت عنده قراءة الأعمش شيخ حمزة أو قراءة يعقوب ابن إسحق الحضرمي ونحوهما كما ثبت عنده قراءة حمزة والكسائي فله أن يقرأ بها بلا نزاع بين العلماء المعترين المعدودين من أهل الإجماع والخلاف بل أكثر العلماء الأئمة الذين أدركوا قراءة سفيان ابن عيينة وأحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وغيرهم يختارون قراءة أبي جعفر بن القعقاع وشيبة بن نصاح المدنيين وقراءة البصريين كشيوخ يعقوب بن إسحق وغيرهم على قراءة حمزة والكسائي وللعلماء في ذلك من الكلام ما هو معروف عند العلماء ولهذا كان أئمة أهل العراق الذين ثبتت عندهم قراءات العشرة أو الأحد عشر كثبوت هذه السبعة يجمعون ذلك في الكتب ويقرأونه في الصلاة وخارج الصلاة وذلك متفق عليه بين العلماء لم ينكره أحد منهم وأما الذي ذكره القاضي عياض ومن نقل من كلامه من الإنكار على ابن شنبوذ الذي كان يقرأ بالشواذ في الصلاة في أثناء المائة الرابعة وجرت له قضية مشهورة فإنما كان ذلك في القراءات الشاذة الخارجة عن المصحف كما سنبينه ولم ينكر أحد من العلماء قراءة العشرة ولكن من لم يكن عالماً بها أو لم تثبت عنده كمن يكون في بلد من بلاد الإسلام بالمغرب أو غيره ولم يتصل به بعض هذه القراءات فليس له أن يقرأ إلا بعلمه فإن القراءة كما قال زيد بن ثابت سنة يأخذها الآخر عن الأول كما أن ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنواع الاستفتاحات في الصلاة ومن أنواع صفة الأذان والإقامة وصفة صلاة الخوف وغير ذلك كله حسن يشرع العمل به لمن علمه وأما من علم نوعاً لم يعلم غيره فليس له أن يعدل عما علمه إلى ما لم يعلم وليس له أن ينكر على من علم ما لم يعلمه من ذلك ولا أن يخالفه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا وأما القراءة الشاذة الخارجة عن رسم المصحف العثماني مثل قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء رضي الله عنهما والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى الليل 13 كما قد ثبت ذلك في الصحيحين ومثل قراءة عبد الله فصيام ثلاثة أيام منتابعات وكقراءته إن كانت الأزقية واحدة ونحو ذلك فهذه إذا ثبتت عن بعض الصحابة فهل يجوز أن يقرأ بها في الصلاة على قولين للعلماء هما روايتان مشهورتان عن الإمام أحمد وروايتان عن مالك إحداهما يجوز ذلك لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرأون بهذه الحروف في الصلاة والثانية لا يجوز ذلك وهو قول أكثر العلماء لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإن ثبت فإنها منسوخة بالعرضة الآخرة فإنه قد ثبت في الصحاح عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل عليه السلام كان يعارض النبي صلى الله عليه وسلم في كل عام مرة فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه به مرتين والعرضة الأخيرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره وهي التي أمر الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بكتابتها في المصاحف ثم أمر عثمان في خلافته بكتابتها في المصاحب وإرسالها إلى الأمصار وجمع الناس عليها باتفاق من الصحابة علي وغيره وهذا النزاع لا بد أن يبيني على الأصل الذي سأل عنه السائل وهو أن القراءات السبعة هل هي حرف من الحروف السبعة أم لا فالذي عليه جمهور العلماء من السلف والأئمة أنها حرف من الحروف السبعة بل يقولون إن مصحف عثمان هو أحد الحروف السبعة وهو متضمن للعرضة الآخرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل

والأحاديث والآثار المشهورة المستفيضة تدل على هذا القول وذهب طوائف من الفقهاء والقراء وأهل الكلام إلى أن هذا المصحف مشتمل على الأحرف السبعة وقرر ذلك طوائف من أهل الكلام كالقاضي أبي بكر الباقلاني وغيره بناء على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة وقد اتفقوا على نقل هذا المصحف الإمام العثماني وترك ما سواه حيث أمر عثمان بنقل القرآن من المصحف التي كان أبو بكر وعمر كتبوا القرآن فيها ثم أرسل عثمان بمشاورة الصحابة إلى كل مصر من أمصار المسلمين بمصحف وأمر بترك ما سوى ذلك قال هؤلاء ولا يجوز أن ينهي عن القراءة ببعض الأحرف السبعة ومن نصر قول الأولين يجيب تارة بما ذكر محمد بن جرير وغيره من أن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة وإنما كان جائزا لهم مرخصا لهم فيه وقد جعل إليهم الاختيار في أي حرف اختاروه كما أن ترتيب السور لم يكن واجبا عليهم منصوصا بل مفوضا إلى اجتهادهم ولهذا كان ترتيب مصحف عبد الله على غير ترتيب مصحف زيد وكذلك مصحف غيره¹

ترتيب السور وترتيب آيات السور

* وأما ترتيب آيات السور فهو منزل منصوص عليه فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم كما قدموا سورة على سورة لأن ترتيب الآيات مأمور به نصا وأما ترتيب السور فمفوض إلى اجتهادهم قالوا فكذلك الأحرف السبعة فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف وتتقاتل إذا لم يجتمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك اجتماعا سائغا وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة ولم يكن في ذلك ترك لواجب ولا فعل لمحذور ومن هؤلاء من يقول بأن الترخيص في الأحرف السبعة كان في أول الإسلام لما في المحافظة على حرف واحد من المشقة عليهم أولا فلما تذلت ألسنتهم بالقراءة وكان اتفاقهم على حرف واحد يسيرا عليهم وهو أوفق لهم أجمعوا على الحرف الذي كان في العريضة الآخرة ويقولون إن نسخ ما سوى ذلك وهؤلاء يوافق قولهم قول من يقول إن حروف أبي بن كعب وابن مسعود وغيرهما مما يخالف رسم هذا المصحف منسوخة من قال عن ابن مسعود أنه يجوز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه وإنما قال قد نظرت إلى القراء فرأيت قراءتهم متقاربة وإنما هو كقول أحدكم أقبل وهلم وتعال فاقرأوا كما علمتم أو كما قال فمن جوز القراءة بما يخرج عن المصحف مما ثبت عن الصحابة قال يجوز ذلك لأنه من الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها ومن لم يجوزه فله ثلاثة مآخذ تارة يقول ليس هو من الحروف المنسوخة وتارة يقول هو من الحروف المنسوخة وتارة يقول هو مما انعقد إجماع الصحابة على الإعراض عنه وتارة يقول لم ينقل إلينا نقلا يثبت بمثله القرآن وهذا هو الفرق بين المتقدمين والمتأخرين ولهذا كان في المسألة قول ثالث وهو اختيار جدي أبي البركات أنه إن قرأ بهذه القراءات في القراءة الواجبة وهي الفاتحة عند القدرة عليها لم تصح صلاته لأنه لم يتيقن أنه أدى الواجب من القراءة لعدم ثبوت القرآن بذلك وإن قرأ بها فيما لا يجب لم تبطل صلاته لأنه لم يتيقن أنه أتى في الصلاة بمبطل لجواز أن يكون ذلك من الحروف السبعة التي أنزل عليها وهذا القول ينبني على أصل وهو أن ما لم يثبت كونه من الحروف السبعة فهل يجب القطع بكونه ليس منها فالذي عليه جمهور العلماء أنه لا يجب

¹ الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 373-381 ref_

القطع بذلك إذ ليس ذلك مما أوجب علينا أن يكون العلم به في النفي والإثبات قطعياً وذهب فريق من أهل الكلام إلى وجوب القطع بنفيه حتى قطع بعض هؤلاء كالقاضي أبي بكر بخطأ الشافعي وغيره ممن أثبت البسمة من القرآن في غير سورة النمل لزعهم أن ما كان من موارد الاجتهاد في القرآن فإنه يجب القطع بنفيه والصواب القطع بخطأ هؤلاء وإن البسمة آية من كتاب الله حيث كتبها الصحابة في المصحف إذ لم يكتبوا فيه إلا القرآن وجرده عما ليس منه كالتخميم والتعشير وأسماء السور ولكن مع ذلك لا يقال هي من السورة التي بعدها كما ليست من السورة التي قبلها بل هي كما كتبت آية أنزلها الله في أول كل سورة وإن لم تكن من السورة وهذا أعدل الأقوال الثلاثة في هذه المسألة وسواء قيل بالقطع في النفي أو الإثبات فذلك لا يمنع كونها من موارد الاجتهاد التي لا تكفير ولا تفسيق فيها للنافي ولا للمثبت بل قد يقال ما قاله طائفة من العلماء إن كل واحد من القولين حق وأنها آية من القرآن في بعض القراءات وهي قراءة الذين يفصلون بها بين السورتين وليست آية في بعض القراءات وهي قراءة الذين يصلون لا يفصلون بها وأما قول السائل ما السبب الذي أوجب الاختلاف بين القراء فيما احتمله خط المصحف فهذا مرجعه إلى النقل واللغة العربية لتسوية الشارع لهم القراءة بذلك كله إذ ليس لأحد أن يقرأ برأيه المجرد بل القراءة سنة متبعة وهم إذا اتفقوا على اتباع القرآن المكتوب في المصحف الإمامي وقد قرأ بعضهم بالياء وبعضهم بالتاء لم يكن واحد منهما خارجاً عن المصحف ومما يوضح ذلك أنهم يتفقون في بعض المواضع على ياء أو تاء ويتنوعون في بعض كان اتفقوا في قوله تعالى { وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } البقرة 85 في موضع وتنوعوا في موضعين وقد بينا أن القراءتين كالأيتين فزيادة القراءات لزيادة الآيات لكن إذا كان الخط واحداً واللفظ محتملاً كان ذلك أخصر في الرسم والاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب لا على حفظ المصاحف كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن ربي قال لي قم في قريش فأنذرهم فقلت أي رب إذا يئثغوا رأسي أي يشدخوا فقال إني مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظاناً فابعث جنداً أبعث مثليهم وقاتل بمن أطاعك من عساک وأنفق أنفق عليك فأخبر أن كتابه لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرأه في كل حال كما جاء في نعت أمتهم أناجيلهم في صدورهم بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرأونه كله إلا نظراً لا عن ظهر قلب وقد ثبت في الصحيح أنه جمع القرآن كله على عهد النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة كالأربعة الذين من الأنصار وكعبد الله بن عمرو فبين بما ذكرناه

القراءات المنسوبة إلى نافع وعاصم ليست هي الأحرف السبعة

1.1

ن

ا

ا

فا

۱-۴-۱۱
۱-۴-۱۲
۱-۴-۱۳
۱-۴-۱۴
۱-۴-۱۵
۱-۴-۱۶
۱-۴-۱۷
۱-۴-۱۸
۱-۴-۱۹
۱-۴-۲۰
۱-۴-۲۱
۱-۴-۲۲
۱-۴-۲۳
۱-۴-۲۴
۱-۴-۲۵
۱-۴-۲۶
۱-۴-۲۷
۱-۴-۲۸
۱-۴-۲۹
۱-۴-۳۰
۱-۴-۳۱
۱-۴-۳۲
۱-۴-۳۳
۱-۴-۳۴
۱-۴-۳۵
۱-۴-۳۶
۱-۴-۳۷
۱-۴-۳۸
۱-۴-۳۹
۱-۴-۴۰
۱-۴-۴۱
۱-۴-۴۲
۱-۴-۴۳
۱-۴-۴۴
۱-۴-۴۵
۱-۴-۴۶
۱-۴-۴۷
۱-۴-۴۸
۱-۴-۴۹
۱-۴-۵۰

א
ב
ג
ד
ה
ו
ז
ח
ט
י
יא
יב
יג
יד
טו
טז
יז
יח
יט
כ
כא
כב
כג
כד
כה
כו
כז
כח
כט
ל
לא
לב
לג
לד
לה
לו
לז
לח
לט
מ
מא
מב
מג
מד
מה
מו
מז
מח
מט
נ
נא
נב
נג
נד
נה
נו
נז
נח
נט
ס
סא
סב
סג
סד
סה
סו
סז
סח
סט
ע
עא
עב
עג
עד
עה
עו
עז
עח
עט
פ
פא
פב
פג
פד
פה
פו
פז
פח
פט
צ
צא
צב
צג
צד
צה
צו
צז
צח
צט
ק
קא
קב
קג
קד
קה
קו
קז
קח
קט
ר
רא
רב
רג
רד
רה
רו
רז
רח
רט
ש
שא
שב
שג
שד
שה
שו
שז
שח
שט
ת
תא
תב
תג
תד
תה
תו
תז
תח
תט
י
יא
יב
יג
יד
טו
טז
יז
יח
יט
כ
כא
כב
כג
כד
כה
כו
כז
כח
כט
ל
לא
לב
לג
לד
לה
לו
לז
לח
לט
מ
מא
מב
מג
מד
מה
מו
מז
מח
מט
נ
נא
נב
נג
נד
נה
נו
נז
נח
נט
ס
סא
סב
סג
סד
סה
סו
סז
סח
סט
ע
עא
עב
עג
עד
עה
עו
עז
עח
עט
פ
פא
פב
פג
פד
פה
פו
פז
פח
פט
צ
צא
צב
צג
צד
צה
צו
צז
צח
צט
ק
קא
קב
קג
קד
קה
קו
קז
קח
קט
ר
רא
רב
רג
רד
רה
רו
רז
רח
רט
ש
שא
שב
שג
שד
שה
שו
שז
שח
שט
ת
תא
תב
תג
תד
תה
תו
תז
תח
תט

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

الكتاب المقدس هو الكتاب الذي يحتوي على كل ما يحتاجه الإنسان من أجل الخلاص، وهو مكتوب باللغة العبرانية واليونانية.

י. י. א. ב. ג. ד. ה. ו. ז. ח. ט. י. יא. יב. יג. יד. טו. טז. יז. יח. יט. כ. כא. כב. כג. כד. כה. כו. כז. כח. כט. ל. לא. לב. לד. לו. לז. לח. לט. מ. מא. מב. מד. מע. מע. עז. עח. עט. פ. פא. פב. פד. פע. פז. פח. פט. צ. צא. צב. צד. צה. צז. צח. צט. ק. קא. קב. קד. קה. קו. קז. קח. קט. קכ. קכא. קכב. קכד. קכה. קכו. קכז. קכח. קכט. קל. קלא. קלב. קלד. קלה. קלו. קלז. קלח. קלט. קמ. קמא. קמב. קמד. קמה. קמו. קמז. קמח. קמט. קנ. קנא. קנב. קנד. קנה. קנו. קנז. קנח. קנט. קס. קסא. קסב. קסד. קסה. קסו. קסז. קסח. קסט. קפ. קפא. קפב. קפד. קפה. קפו. קפז. קפח. קפט. קצ. קצא. קצב. קצד. קצה. קצו. קצז. קצח. קצט. קצק. קצקא. קצקב. קצקד. קצקה. קצקו. קצקז. קצקח. קצקט. קצקכ. קצקכא. קצקכב. קצקכד. קצקכה. קצקכו. קצקכז. קצקכח. קצקכט. קצקל. קצקלא. קצקלב. קצקלד. קצקלה. קצקלו. קצקלז. קצקלח. קצקלט. קצקמ. קצקמא. קצקמב. קצקמד. קצקמה. קצקמו. קצקמז. קצקמח. קצקמט. קצקנ. קצקנא. קצקנב. קצקנד. קצקנה. קצקנו. קצקנז. קצקנח. קצקנט. קצקס. קצקסא. קצקסב. קצקסד. קצקסה. קצקסו. קצקסז. קצקסח. קצקסט. קצקפ. קצקפא. קצקפב. קצקפד. קצקפה. קצקפו. קצקפז. קצקפח. קצקפט. קצקצ. קצקצא. קצקצב. קצקצד. קצקצה. קצקצו. קצקצז. קצקצח. קצקצט. קצקצק. קצקצקא. קצקצקב. קצקצקד. קצקצקה. קצקצקו. קצקצקז. קצקצקח. קצקצקט.

o l l. b f l l. l. f l l. l. c b l l. b o l l. f l l. p z c b c b o l l. l

א
ב
ג
ד
ה
ו
ז
ח
ט
י
יא
יב
יג
יד
טו
טז
יז
יח
יט
כ
כא
כב
כג
כד
כה
כו
כז
כח
כט
ל
לא
לב
לג
לד
לה
לו
לז
לח
לט
מ
מא
מב
מג
מד
מה
מו
מז
מח
מט
נ
נא
נב
נג
נד
נה
נו
נז
נח
נט
ס
סא
סב
סג
סד
סה
סו
סז
סח
סט
ע
עא
עב
עג
עד
עה
עו
עז
עח
עט
פ
פא
פב
פג
פד
פה
פו
פז
פח
פט
צ
צא
צב
צג
צד
צה
צו
צז
צח
צט
ק
קא
קב
קג
קד
קה
קו
קז
קח
קט
ר
רא
רב
רג
רד
רה
רו
רז
רח
רט
ש
שא
שב
שג
שד
שה
שו
שז
שח
שט
ת
תא
תב
תג
תד
תה
תו
תז
תח
תט
י
יא
יב
יג
יד
טו
טז
יז
יח
יט
כ
כא
כב
כג
כד
כה
כו
כז
כח
כט
ל
לא
לב
לג
לד
לה
לו
לז
לח
לט
מ
מא
מב
מג
מד
מה
מו
מז
מח
מט
נ
נא
נב
נג
נד
נה
נו
נז
נח
נט
ס
סא
סב
סג
סד
סה
סו
סז
סח
סט
ע
עא
עב
עג
עד
עה
עו
עז
עח
עט
פ
פא
פב
פג
פד
פה
פו
פז
פח
פט
צ
צא
צב
צג
צד
צה
צו
צז
צח
צט
ק
קא
קב
קג
קד
קה
קו
קז
קח
קט
ר
רא
רב
רג
רד
רה
רו
רז
רח
רט
ש
שא
שב
שג
שד
שה
שו
שז
שח
שט
ת
תא
תב
תג
תד
תה
תו
תז
תח
תט

1-6 2-8 3-10 4-12 5-14 6-16 7-18 8-20 9-22 10-24 11-26 12-28 13-30 14-32 15-34 16-36 17-38 18-40 19-42 20-44 21-46 22-48 23-50 24-52 25-54 26-56 27-58 28-60 29-62 30-64 31-66 32-68 33-70 34-72 35-74 36-76 37-78 38-80 39-82 40-84 41-86 42-88 43-90 44-92 45-94 46-96 47-98 48-100

א
ב
ג
ד
ה
ו
ז
ח
ט
י
יא
יב
יג
יד
טו
טז
יז
יח
יט
כ
כא
כב
כג
כד
כה
כו
כז
כח
כט
ל
לא
לב
לג
לד
לה
לו
לז
לח
לט
מ
מא
מב
מג
מד
מה
מו
מז
מח
מט
נ
נא
נב
נג
נד
נה
נו
נז
נח
נט
ס
סא
סב
סג
סד
סה
סו
סז
סח
סט
ע
עא
עב
עג
עד
עה
עו
עז
עח
עט
פ
פא
פב
פג
פד
פה
פו
פז
פח
פט
צ
צא
צב
צג
צד
צה
צו
צז
צח
צט
ק
קא
קב
קג
קד
קה
קו
קז
קח
קט
ר
רא
רב
רג
רד
רה
רו
רז
רח
רט
ש
שא
שב
שג
שד
שה
שו
שז
שח
שט
ת
תא
תב
תג
תד
תה
תו
תז
תח
תט
י
יא
יב
יג
יד
טו
טז
יז
יח
יט
כ
כא
כב
כג
כד
כה
כו
כז
כח
כט
ל
לא
לב
לג
לד
לה
לו
לז
לח
לט
מ
מא
מב
מג
מד
מה
מו
מז
מח
מט
נ
נא
נב
נג
נד
נה
נו
נז
נח
נט
ס
סא
סב
סג
סד
סה
סו
סז
סח
סט
ע
עא
עב
עג
עד
עה
עו
עז
עח
עט
פ
פא
פב
פג
פד
פה
פו
פז
פח
פט
צ
צא
צב
צג
צד
צה
צו
צז
צח
צט
ק
קא
קב
קג
קד
קה
קו
קז
קח
קט
ר
רא
רב
רג
רד
רה
רו
רז
רח
רט
ש
שא
שב
שג
שד
שה
שו
שז
שח
שט
ת
תא
תב
תג
תד
תה
תו
תז
תח
תט

1 - 1 4 9 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100

o: c k: b L: - 7 - b L: 6 o: b: u: k: L: - [i - e - u - u: L: - C: b o: u: L: - b

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

2011 2012 2013 2014 2015 2016 2017 2018 2019 2020 2021 2022 2023 2024 2025

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100

1. $C_L = 1.5 \times 10^{-4}$ mole/litre
 $C_H = 1.5 \times 10^{-4}$ mole/litre
 $C_{H_2} = 1.5 \times 10^{-4}$ mole/litre
 $C_{H_2O} = 1.5 \times 10^{-4}$ mole/litre
 $C_{H_2O_2} = 1.5 \times 10^{-4}$ mole/litre
 $C_{H_2O_2} = 1.5 \times 10^{-4}$ mole/litre
 $C_{H_2O_2} = 1.5 \times 10^{-4}$ mole/litre

א. ב. ג. ד. ה. ו. ז. ח. ט. י. יא. יב. יג. יד. טו. טז. יז. יח. יט. כ. כא. כב. כג. כד. כה. כו. כז. כח. כט. ל. לא. לב. לג. לד. לה. לו. לז. לח. לט. מ. מא. מב. מג. מד. מה. מו. מז. מח. מט. נ. נא. נב. נג. נד. נה. נו. נז. נח. נט. ס. סא. סב. סג. סד. סה. סו. סז. סח. סט. ע. עא. עב. עג. עד. עה. עו. עז. עח. עט. פ. פא. פב. פג. פד. פה. פו. פז. פח.פט. צ. צא. צב. צג. צד. צה. צו. צז. צח. צט. ק. קא. קב. קג. קד. קה. קו. קז. קח. קט. קכ. קכא. קכב. קכג. קכד. קכה. קכו. קכז. קכח. קכט. קל. קלא. קלב. קלג. קלד. קלה. קלו. קלז. קלח. קלט. קמ. קמא. קמב. קמג. קמד. קמה. קמו. קמז. קמח. קמט. קנ. קנא. קנב. קנג. קנד. קנה. קנו. קנז. קנח. קנט. קס. קסא. קסב. קסג. קסד. קסה. קסו. קסז. קסח. קסט. קפ. קפא. קפב. קפג. קפד. קפה. קפו. קפז. קפח. קפט. קצ. קצא. קצב. קצג. קצד. קצה. קצו. קצז. קצח. קצט. קק. קקא. קקב. קקג. קקד. קקה. קקו. קקז. קקח. קקט. קכ. קכא. קכב. קכג. קכד. קכה. קכו. קכז. קכח. קכט. קל. קלא. קלב. קלג. קלד. קלה. קלו. קלז. קלח. קלט. קמ. קמא. קמב. קמג. קמד. קמה. קמו. קמז. קמח. קמט. קנ. קנא. קנב. קנג. קנד. קנה. קנו. קנז. קנח. קנט. קס. קסא. קסב. קסג. קסד. קסה. קסו. קסז. קסח. קסט. קפ. קפא. קפב. קפג. קפד. קפה. קפו. קפז. קפח. קפט. קצ. קצא. קצב. קצג. קצד. קצה. קצו. קצז. קצח. קצט. קק. קקא. קקב. קקג. קקד. קקה. קקו. קקז. קקח. קקט. קכ. קכא. קכב. קכג. קכד. קכה. קכו. קכז. קכח. קכט. קל. קלא. קלב. קלג. קלד. קלה. קלו. קלז. קלח. קלט. קמ. קמא. קמב. קמג. קמד. קמה. קמו. קמז. קמח. קמט. קנ. קנא. קנב. קנג. קנד. קנה. קנו. קנז. קנח. קנט. קס. קסא. קסב. קסג. קסד. קסה. קסו. קסז. קסח. קסט. קפ. קפא. קפב. קפג. קפד. קפה. קפו. קפז. קפח. קפט. קצ. קצא. קצב. קצג. קצד. קצה. קצו. קצז. קצח. קצט. קק. קקא. קקב. קקג. קקד. קקה. קקו. קקז. קקח. קקט.

ה
ו
ז
ח
ט
י
יא
יב
יג
יד
טו
טז
יז
יח
יט
כ
כא
כב
כג
כד
כה
כו
כז
כח
כט
ל
לא
לב
לג
לד
לה
לו
לז
לח
לט
מ
מא
מב
מג
מד
מה
מו
מז
מח
מט
נ
נא
נב
נג
נד
נה
נו
נז
נח
נט
ס
סא
סב
סג
סד
סה
סו
סז
סח
סט
ע
עא
עב
עג
עד
עה
עו
עז
עח
עט
פ
פא
פב
פג
פד
פה
פו
פז
פח
פט
צ
צא
צב
צג
צד
צה
צו
צז
צח
צט
ק
קא
קב
קג
קד
קה
קו
קז
קח
קט
ר
רא
רב
רג
רד
רה
רו
רז
רח
רט
ש
שא
שב
שג
שד
שה
שו
שז
שח
שט
ת
תא
תב
תג
תד
תה
תו
תז
תח
תט
י
יא
יב
יג
יד
טו
טז
יז
יח
יט
כ
כא
כב
כג
כד
כה
כו
כז
כח
כט
ל
לא
לב
לג
לד
לה
לו
לז
לח
לט
מ
מא
מב
מג
מד
מה
מו
מז
מח
מט
נ
נא
נב
נג
נד
נה
נו
נז
נח
נט
ס
סא
סב
סג
סד
סה
סו
סז
סח
סט
ע
עא
עב
עג
עד
עה
עו
עז
עח
עט
פ
פא
פב
פג
פד
פה
פו
פז
פח
פט
צ
צא
צב
צג
צד
צה
צו
צז
צח
צט
ק
קא
קב
קג
קד
קה
קו
קז
קח
קט
ר
רא
רב
רג
רד
רה
רו
רז
רח
רט
ש
שא
שב
שג
שד
שה
שו
שז
שח
שט
ת
תא
תב
תג
תד
תה
תו
תז
תח
תט

و
بي
أر
ر
و
أر
م
ن
ر
أر
و
أر
م
و
أر
و
أر
م
و

— ۱۰۰ —
— ۱۰۱ —
— ۱۰۲ —
— ۱۰۳ —
— ۱۰۴ —
— ۱۰۵ —
— ۱۰۶ —
— ۱۰۷ —
— ۱۰۸ —
— ۱۰۹ —
— ۱۱۰ —
— ۱۱۱ —
— ۱۱۲ —
— ۱۱۳ —
— ۱۱۴ —
— ۱۱۵ —
— ۱۱۶ —
— ۱۱۷ —
— ۱۱۸ —
— ۱۱۹ —
— ۱۲۰ —
— ۱۲۱ —
— ۱۲۲ —
— ۱۲۳ —
— ۱۲۴ —
— ۱۲۵ —
— ۱۲۶ —
— ۱۲۷ —
— ۱۲۸ —
— ۱۲۹ —
— ۱۳۰ —
— ۱۳۱ —
— ۱۳۲ —
— ۱۳۳ —
— ۱۳۴ —
— ۱۳۵ —
— ۱۳۶ —
— ۱۳۷ —
— ۱۳۸ —
— ۱۳۹ —
— ۱۴۰ —
— ۱۴۱ —
— ۱۴۲ —
— ۱۴۳ —
— ۱۴۴ —
— ۱۴۵ —
— ۱۴۶ —
— ۱۴۷ —
— ۱۴۸ —
— ۱۴۹ —
— ۱۵۰ —
— ۱۵۱ —
— ۱۵۲ —
— ۱۵۳ —
— ۱۵۴ —
— ۱۵۵ —
— ۱۵۶ —
— ۱۵۷ —
— ۱۵۸ —
— ۱۵۹ —
— ۱۶۰ —
— ۱۶۱ —
— ۱۶۲ —
— ۱۶۳ —
— ۱۶۴ —
— ۱۶۵ —
— ۱۶۶ —
— ۱۶۷ —
— ۱۶۸ —
— ۱۶۹ —
— ۱۷۰ —
— ۱۷۱ —
— ۱۷۲ —
— ۱۷۳ —
— ۱۷۴ —
— ۱۷۵ —
— ۱۷۶ —
— ۱۷۷ —
— ۱۷۸ —
— ۱۷۹ —
— ۱۸۰ —
— ۱۸۱ —
— ۱۸۲ —
— ۱۸۳ —
— ۱۸۴ —
— ۱۸۵ —
— ۱۸۶ —
— ۱۸۷ —
— ۱۸۸ —
— ۱۸۹ —
— ۱۹۰ —
— ۱۹۱ —
— ۱۹۲ —
— ۱۹۳ —
— ۱۹۴ —
— ۱۹۵ —
— ۱۹۶ —
— ۱۹۷ —
— ۱۹۸ —
— ۱۹۹ —
— ۲۰۰ —

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

2011年12月27日

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100

٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

1. ב 4. ב 9. ב 10. ב 11. ב 12. ב 13. ב 14. ב 15. ב 16. ב 17. ב 18. ב 19. ב 20. ב 21. ב 22. ב 23. ב 24. ב 25. ב 26. ב 27. ב 28. ב 29. ב 30. ב 31. ב 32. ב 33. ב 34. ב 35. ב 36. ב 37. ב 38. ב 39. ב 40. ב 41. ב 42. ב 43. ב 44. ב 45. ב 46. ב 47. ב 48. ב 49. ב 50. ב 51. ב 52. ב 53. ב 54. ב 55. ב 56. ב 57. ב 58. ב 59. ב 60. ב 61. ב 62. ב 63. ב 64. ב 65. ב 66. ב 67. ב 68. ב 69. ב 70. ב 71. ב 72. ב 73. ב 74. ב 75. ב 76. ב 77. ב 78. ב 79. ב 80. ב 81. ב 82. ב 83. ב 84. ב 85. ב 86. ב 87. ב 88. ב 89. ב 90. ב 91. ב 92. ב 93. ב 94. ב 95. ב 96. ב 97. ב 98. ב 99. ב 100. ב

— ۱۸ C:۱۱ C:۱۲ C:۱۳ C:۱۴ C:۱۵ C:۱۶ C:۱۷ C:۱۸ C:۱۹ C:۲۰ C:۲۱ C:۲۲ C:۲۳ C:۲۴ C:۲۵ C:۲۶ C:۲۷ C:۲۸ C:۲۹ C:۳۰ C:۳۱ C:۳۲ C:۳۳ C:۳۴ C:۳۵ C:۳۶ C:۳۷ C:۳۸ C:۳۹ C:۴۰ C:۴۱ C:۴۲ C:۴۳ C:۴۴ C:۴۵ C:۴۶ C:۴۷ C:۴۸ C:۴۹ C:۵۰ C:۵۱ C:۵۲ C:۵۳ C:۵۴ C:۵۵ C:۵۶ C:۵۷ C:۵۸ C:۵۹ C:۶۰ C:۶۱ C:۶۲ C:۶۳ C:۶۴ C:۶۵ C:۶۶ C:۶۷ C:۶۸ C:۶۹ C:۷۰ C:۷۱ C:۷۲ C:۷۳ C:۷۴ C:۷۵ C:۷۶ C:۷۷ C:۷۸ C:۷۹ C:۸۰ C:۸۱ C:۸۲ C:۸۳ C:۸۴ C:۸۵ C:۸۶ C:۸۷ C:۸۸ C:۸۹ C:۹۰ C:۹۱ C:۹۲ C:۹۳ C:۹۴ C:۹۵ C:۹۶ C:۹۷ C:۹۸ C:۹۹ C:۱۰۰

1-1 1-2 1-3 1-4 1-5 1-6 1-7 1-8 1-9 1-10 1-11 1-12 1-13 1-14 1-15 1-16 1-17 1-18 1-19 1-20 1-21 1-22 1-23 1-24 1-25 1-26 1-27 1-28 1-29 1-30 1-31 1-32 1-33 1-34 1-35 1-36 1-37 1-38 1-39 1-40 1-41 1-42 1-43 1-44 1-45 1-46 1-47 1-48 1-49 1-50 1-51 1-52 1-53 1-54 1-55 1-56 1-57 1-58 1-59 1-60 1-61 1-62 1-63 1-64 1-65 1-66 1-67 1-68 1-69 1-70 1-71 1-72 1-73 1-74 1-75 1-76 1-77 1-78 1-79 1-80 1-81 1-82 1-83 1-84 1-85 1-86 1-87 1-88 1-89 1-90 1-91 1-92 1-93 1-94 1-95 1-96 1-97 1-98 1-99 1-100

מ
ג
ד
ה
ו
ז
ח
ט
י
יא
יב
יג
יד
טו
טז
יז
יח
יט
כ
כא
כב
כג
כד
כה
כו
כז
כח
כט
ל
לא
לב
לג
לד
לה
לו
לז
לח
לט
מ
מא
מב
מג
מד
מה
מו
מז
מח
מט
נ
נא
נב
נג
נד
נה
נו
נז
נח
נט
ס
סא
סב
סג
סד
סה
סו
סז
סח
סט
ע
עא
עב
עג
עד
עה
עו
עז
עח
עט
פ
פא
פב
פג
פד
פה
פו
פז
פח
פט
צ
צא
צב
צג
צד
צה
צו
צז
צח
צט
ק
קא
קב
קג
קד
קה
קו
קז
קח
קט
ר
רא
רב
רג
רד
רה
רו
רז
רח
רט
ש
שא
שב
שג
שד
שה
שו
שז
שח
שט
ת
תא
תב
תג
תד
תה
תו
תז
תח
תט

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ
إِلَّا بِرَحْمَتِهِ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ لَكُنُوزٌ عَظِيمَةٌ
وَالصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالزَّكَاةُ وَالْحَقُّ وَالْعَصْرُ
إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ لَكُنُوزٌ عَظِيمَةٌ
وَالصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالزَّكَاةُ وَالْحَقُّ وَالْعَصْرُ
إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ لَكُنُوزٌ عَظِيمَةٌ
وَالصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالزَّكَاةُ وَالْحَقُّ وَالْعَصْرُ
إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ لَكُنُوزٌ عَظِيمَةٌ

○ 1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

1- C: b b C L L - L T T V C: T T C - b b - b b C - b b b b

۱۱۰
۱۱۱
۱۱۲
۱۱۳
۱۱۴
۱۱۵
۱۱۶
۱۱۷
۱۱۸
۱۱۹
۱۲۰
۱۲۱
۱۲۲
۱۲۳
۱۲۴
۱۲۵
۱۲۶
۱۲۷
۱۲۸
۱۲۹
۱۳۰
۱۳۱
۱۳۲
۱۳۳
۱۳۴
۱۳۵
۱۳۶
۱۳۷
۱۳۸
۱۳۹
۱۴۰
۱۴۱
۱۴۲
۱۴۳
۱۴۴
۱۴۵
۱۴۶
۱۴۷
۱۴۸
۱۴۹
۱۵۰

هـ ل ك ج ح د ه و ز ح ط ي ق ر س ص ط ع ف ق هـ ح ط ي ق ر س ص ط ع ف ق هـ ح ط ي ق ر س ص ط ع ف ق

C: - b L* P - L. L. G - C B: L - G L. - N C: il L. L. L - L. L. L L C - B:

→ 2 1. 1. 1. 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100

6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100

١٥٠
١٤٩
١٤٨
١٤٧
١٤٦
١٤٥
١٤٤
١٤٣
١٤٢
١٤١
١٤٠
١٣٩
١٣٨
١٣٧
١٣٦
١٣٥
١٣٤
١٣٣
١٣٢
١٣١
١٣٠
١٢٩
١٢٨
١٢٧
١٢٦
١٢٥
١٢٤
١٢٣
١٢٢
١٢١
١٢٠
١١٩
١١٨
١١٧
١١٦
١١٥
١١٤
١١٣
١١٢
١١١
١١٠
١٠٩
١٠٨
١٠٧
١٠٦
١٠٥
١٠٤
١٠٣
١٠٢
١٠١
١٠٠
٩٩
٩٨
٩٧
٩٦
٩٥
٩٤
٩٣
٩٢
٩١
٩٠
٨٩
٨٨
٨٧
٨٦
٨٥
٨٤
٨٣
٨٢
٨١
٨٠
٧٩
٧٨
٧٧
٧٦
٧٥
٧٤
٧٣
٧٢
٧١
٧٠
٦٩
٦٨
٦٧
٦٦
٦٥
٦٤
٦٣
٦٢
٦١
٦٠
٥٩
٥٨
٥٧
٥٦
٥٥
٥٤
٥٣
٥٢
٥١
٥٠
٤٩
٤٨
٤٧
٤٦
٤٥
٤٤
٤٣
٤٢
٤١
٤٠
٣٩
٣٨
٣٧
٣٦
٣٥
٣٤
٣٣
٣٢
٣١
٣٠
٢٩
٢٨
٢٧
٢٦
٢٥
٢٤
٢٣
٢٢
٢١
٢٠
١٩
١٨
١٧
١٦
١٥
١٤
١٣
١٢
١١
١٠
٩
٨
٧
٦
٥
٤
٣
٢
١

o b l r b o c - l b l - r l b l c i b r n c i l b e l b o l b

א
ב
ג
ד
ה
ו
ז
ח
ט
י
יא
יב
יג
יד
טו
טז
יז
יח
יט
כ
כא
כב
כג
כד
כה
כו
כז
כח
כט
ל
לא
לב
לג
לד
לה
לו
לז
לח
לט
מ
מא
מב
מג
מד
מה
מו
מז
מח
מט
נ
נא
נב
נג
נד
נה
נו
נז
נח
נט
ס
סא
סב
סג
סד
סה
סו
סז
סח
סט
ע
עא
עב
עג
עד
עה
עו
עז
עח
עט
פ
פא
פב
פג
פד
פה
פו
פז
פח
פט
צ
צא
צב
צג
צד
צה
צו
צז
צח
צט
ק
קא
קב
קג
קד
קה
קו
קז
קח
קט
ר
רא
רב
רג
רד
רה
רו
רז
רח
רט
ש
שא
שב
שג
שד
שה
שו
שז
שח
שט
ת
תא
תב
תג
תד
תה
תו
תז
תח
תט
י
יא
יב
יג
יד
טו
טז
יז
יח
יט
כ
כא
כב
כג
כד
כה
כו
כז
כח
כט
ל
לא
לב
לג
לד
לה
לו
לז
לח
לט
מ
מא
מב
מג
מד
מה
מו
מז
מח
מט
נ
נא
נב
נג
נד
נה
נו
נז
נח
נט
ס
סא
סב
סג
סד
סה
סו
סז
סח
סט
ע
עא
עב
עג
עד
עה
עו
עז
עח
עט
פ
פא
פב
פג
פד
פה
פו
פז
פח
פט
צ
צא
צב
צג
צד
צה
צו
צז
צח
צט
ק
קא
קב
קג
קד
קה
קו
קז
קח
קט
ר
רא
רב
רג
רד
רה
רו
רז
רח
רט
ש
שא
שב
שג
שד
שה
שו
שז
שח
שט
ת
תא
תב
תג
תד
תה
תו
תז
תח
תט

ג
ד
ה
ו
ז
ח
ט
י
יא
יב
יג
יד
טו
טז
יז
יח
יט
כ
כא
כב
כג
כד
כה
כו
כז
כח
כט
ל
לא
לב
לג
לד
לה
לו
לז
לח
לט
מ
מא
מב
מג
מד
מה
מו
מז
מח
מט
נ
נא
נב
נג
נד
נה
נו
נז
נח
נט
ס
סא
סב
סג
סד
סה
סו
סז
סח
סט
ע
עא
עב
עג
עד
עה
עו
עז
עח
עט
פ
פא
פב
פג
פד
פה
פו
פז
פח
פט
צ
צא
צב
צג
צד
צה
צו
צז
צח
צט
ק
קא
קב
קג
קד
קה
קו
קז
קח
קט
ר
רא
רב
רג
רד
רה
רו
רז
רח
רט
ש
שא
שב
שג
שד
שה
שו
שז
שח
שט
ת
תא
תב
תג
תד
תה
תו
תז
תח
תט
י
יא
יב
יג
יד
טו
טז
יז
יח
יט
כ
כא
כב
כג
כד
כה
כו
כז
כח
כט
ל
לא
לב
לג
לד
לה
לו
לז
לח
לט
מ
מא
מב
מג
מד
מה
מו
מז
מח
מט
נ
נא
נב
נג
נד
נה
נו
נז
נח
נט
ס
סא
סב
סג
סד
סה
סו
סז
סח
סט
ע
עא
עב
עג
עד
עה
עו
עז
עח
עט
פ
פא
פב
פג
פד
פה
פו
פז
פח
פט
צ
צא
צב
צג
צד
צה
צו
צז
צח
צט
ק
קא
קב
קג
קד
קה
קו
קז
קח
קט
ר
רא
רב
רג
רד
רה
רו
רז
רח
רט
ש
שא
שב
שג
שד
שה
שו
שז
שח
שט
ת
תא
תב
תג
תד
תה
תו
תז
תח
תט

١- ٢- ٣- ٤- ٥- ٦- ٧- ٨- ٩- ١٠- ١١- ١٢- ١٣- ١٤- ١٥- ١٦- ١٧- ١٨- ١٩- ٢٠- ٢١- ٢٢- ٢٣- ٢٤- ٢٥- ٢٦- ٢٧- ٢٨- ٢٩- ٣٠- ٣١- ٣٢- ٣٣- ٣٤- ٣٥- ٣٦- ٣٧- ٣٨- ٣٩- ٤٠- ٤١- ٤٢- ٤٣- ٤٤- ٤٥- ٤٦- ٤٧- ٤٨- ٤٩- ٥٠- ٥١- ٥٢- ٥٣- ٥٤- ٥٥- ٥٦- ٥٧- ٥٨- ٥٩- ٦٠- ٦١- ٦٢- ٦٣- ٦٤- ٦٥- ٦٦- ٦٧- ٦٨- ٦٩- ٧٠- ٧١- ٧٢- ٧٣- ٧٤- ٧٥- ٧٦- ٧٧- ٧٨- ٧٩- ٨٠- ٨١- ٨٢- ٨٣- ٨٤- ٨٥- ٨٦- ٨٧- ٨٨- ٨٩- ٩٠- ٩١- ٩٢- ٩٣- ٩٤- ٩٥- ٩٦- ٩٧- ٩٨- ٩٩- ١٠٠-

6 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100

١٠٠
١٠١
١٠٢
١٠٣
١٠٤
١٠٥
١٠٦
١٠٧
١٠٨
١٠٩
١١٠
١١١
١١٢
١١٣
١١٤
١١٥
١١٦
١١٧
١١٨
١١٩
١٢٠
١٢١
١٢٢
١٢٣
١٢٤
١٢٥
١٢٦
١٢٧
١٢٨
١٢٩
١٣٠
١٣١
١٣٢
١٣٣
١٣٤
١٣٥
١٣٦
١٣٧
١٣٨
١٣٩
١٤٠
١٤١
١٤٢
١٤٣
١٤٤
١٤٥
١٤٦
١٤٧
١٤٨
١٤٩
١٥٠
١٥١
١٥٢
١٥٣
١٥٤
١٥٥
١٥٦
١٥٧
١٥٨
١٥٩
١٦٠
١٦١
١٦٢
١٦٣
١٦٤
١٦٥
١٦٦
١٦٧
١٦٨
١٦٩
١٧٠
١٧١
١٧٢
١٧٣
١٧٤
١٧٥
١٧٦
١٧٧
١٧٨
١٧٩
١٨٠
١٨١
١٨٢
١٨٣
١٨٤
١٨٥
١٨٦
١٨٧
١٨٨
١٨٩
١٩٠
١٩١
١٩٢
١٩٣
١٩٤
١٩٥
١٩٦
١٩٧
١٩٨
١٩٩
٢٠٠

٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100

محلہ - ۱ - بی اے : ۲۰۲۱ - ۲۰۲۲

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100

וְהָיָה כִּי יִשְׁמַע יְהוָה בְּקוֹל הַבְּתוּלָה וְהָיָה יְהוָה עִמָּהּ וְהָיָה יְהוָה עִמָּהּ וְהָיָה יְהוָה עִמָּהּ

* والقرآن الذى بين لوحى المصحف متواتر فان هذه المصاحف المكتوبة اتفق عليها الصحابة ونقلوها قرآنا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهى متواترة من عهد الصحابة نعلم علما ضروريا انها ما غيرت والقراءة المعروفة عن السلف الموافقة للمصحف تجوز القراءة بها بلا نزاع بين الأئمة ولا فرق عند الأئمة بين قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف وبين قراءة حمزة والكسائى وأبى عمرو ونعيم ولم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها ان القراءة مختصة بالقراء السبعة فإن هؤلاء إنما جمع قراءاتهم أبو بكر ابن مجاهد بعد ثلاثمائة سن من الهجرة واتبعه الناس على ذلك وقصد ان ينتخب قراءة سبعة من قراء الأمصار لم يقل هو ولا أحد من الأئمة انما خرج عن هذه السبعة فهو باطل ولا أن قول النبي أنزل القرآن على سبعة أحرف أريد به قراءة هؤلاء السبعة ولكن هذه السبعة اشتهرت فى أمصار لا يعرفون غيرها كأرض المغرب فأولئك لا يقرؤون غيرها لعدم معرفتهم باشتهار غيرها فأما من اشتهرت عندهم هذه كما اشتهر غيرها مثل أرض العراق وغيرها فلم أن يقرأوا بهذا وهذا والقراءة الشاذة مثل ما خرج عن مصحف عثمان كقراءة من قرأ الحى القيام

¹الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 373-381 ref_

و صراط من انعمت عليهم و إن كانت إلا زقية واحدة والليل إذا يغشى والنهار إذ تجلى والذكر ولانثى وأمثال ذلك فهذه إذا قرىء بها في الصلاة ففيها قولان مشهوران للعلماء هما روايتان عن الامام أحمد أحدهما تصح الصلاة بها لأن الصحابة الذين قرأوا بها كانوا يقرؤونها في الصلاة ولا ينكر عليهم والثاني لا لأنها لم تتواتر إلينا وعلى هذا القول فهل يقال انها كانت قرآنا فنسخ ولم يعرف من قرأ الابا لناسخ أو لم تنسخ ولكن كانت القراءة بها جائزة لمن ثبتت عنده دون من لم تثبت أو لغير ذلك هذا فيه نزاع مبسوط في غير هذا الموضوع وأما من قرأ بقراءة أبي جعفر ويعقوب ونحوهما فلا تبطل الصلاة بها باتفاق الأئمة ولكن بعض المتأخرين من المغاربة ذكر في ذلك كلاما وافقه عليه بعض من لم يعرف أصل هذه المسألة¹

تنقيط القرآن وشكله

*المصاحف التي كتبها الصحابة لم يشكلوا حروفا ولم ينقطوها فانهم كانوا عربا لا يلحنون ثم بعد ذلك في أواخر عصر الصحابة لما نشأ اللحن صاروا ينقطون المصاحف ويشكلونها وذلك جائز عند أكثر العلماء وهو إحدى الروايتين عن احمد وكرهه بعضهم والصحيح انه لا يكره لأن الحاجة داعية إلى ذلك ولا نزاع بين العلماء أن حكم الشكل والنقط حكم الحروف المكتوبة فان النقط تميز بين الحروف والشكل يبين الاعراب لأنه كلام من تمام الكلام ويروى عن أبي بكر وعمر أنهما قالوا إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه فإذا قرأ القارئ الحمد لله رب العالمين كانت الضمة والفتحة والكسرة من تمام لفظ القرآن²

*القرآن مكتوب في مصاحف المسلمين مقروء بألسنتهم محفوظ بقلوبهم وهو كله كلام الله والصحابة كتبوا المصاحف لما كتبوها بغير شكل ولا نقط لأنهم كانوا عربا لا يلحنون ثم لما حدث اللحن نقط الناس المصاحف وشكلوها فان كتبت بلا شكل ولا نقط جاز وإن كتبت بنقط وشكل جاز ولم يكره في أظهر قولي العلماء وهو إحدى الروايتين عن أحمد وحكم النقط الشكل حكم الحروف فان الشكل يبين إعراب القرآن كما يبين النقط الحروف والمداد الذي يكتب به الحروف ويكتب به الشكل والنقط مخلوق وكلام الله العربي الذي أنزله وكتب في المصاحف بالشكل والنقط وبغير شكل ونقط ليس بمخلوق وحكم الاعراب حكم الحروف لكن الاعراب لا يستقل بنفسه بل هو تابع للحروف المرسومة فلهذا لا يحتاج لتجريدتهما وإفرادهما بالكلام بل القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله معانيه وحروفه وإعرابه والله تكلم بالقرآن العربي الذي أنزله على محمد والناس يقرءونه بأفعالهم وأصواتهم والمكتوب في مصاحف المسلمين هو كلام الله وهو القرآن العربي الذي أنزل على نبيه سواء كتب

بشكل ونقط أو بغير شكل ونقط والمداد الذي كتب به القرآن ليس بقديم بل هو مخلوق والقرآن الذي كتب في المصحف بالمداد هو كلام الله منزل غير مخلوق والمصاحف يجب احترامها باتفاق المسلمين لأن كلام الله مكتوب فيها

¹ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 569-570 ref_

² مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 576 ref_

واحترام النقط والشكل إذا كتب المصحف مشكلا منقوفا كاحترام الحروف باتفاق علماء المسلمين
كما ان حرمة إعراب القرآن كحرمة حروفه المنقوطة باتفاق المسلمين ولهذا قال أبو بكر وعمر
رضى الله عنهما حفظ إعراب القرآن أحب اليينا من حفظ بعض حروفه¹

***وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم أنزل
القرآن على سبعة أحرف ما المراد بهذه السبعة وهل هذه
القراءات المنسوبة الى نافع وعاصم وغيرهما هي الأحرف
السبعة أو واحد منها وما السبب الذي أوجب الاختلاف بين
القراء فيما احتمله خط المصحف وهل تجوز القراءة برواية
الاعمش وابن محيظ وغيرهما من القراءات الشاذة أم لا
وإذا جازت القراءة بها فهل تجوز الصلاة بها أم لا أفئونا
مأجورين**

فأجاب الحمد لله رب العالمين هذه مسألة كبيرة قد تكلم فيها اصناف العلماء من الفقهاء
والقراء وأهل الحديث والتفسير والكلام وشرح الغريب وغيرهم حتى صنف فيها التصنيف المفرد
ومن آخر ما أفرد في ذلك ما صنفه الشيخ أبو محمد عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم الشافعي
المعروف بابن أبي شامة صاحب شرح الشاطبية

فأما ذكر اقاويل الناس وأدلتهم وتقرير الحق فيها مبسوطا فيحتاج من ذكر الأحاديث الواردة في
ذلك وذكر الفاظها وسائر الأدلة الى ما لا يتسع له هذا المكان ولا يليق بمثل هذا الجواب ولكن نذكر
النكت الجامعة التي تنبه على المقصود بالجواب فنقول لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن
الأحرف السبعة التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان القرآن أنزل عليها ليست هي
قراءات القراء السبعة المشهورة بل اول من جمع قراءات هؤلاء هو الامام ابو بكر بن مجاهد
وكان على رأس المائة الثالثة ببغداد فانه احب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين والعراقين
والشام اذ هذه الامصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة من القرآن وتفسيره والحديث والفقاه
من الأعمال الباطنة والظاهرة وسائر العلوم الدينية فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من ائمة
قراء هذه الامصار ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن لا لاعتقاده أو اعتقاد
غيره من العلماء أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا

¹مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 586 ref_

يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم ولهذا قال من قال من أئمة القراء لولا ان ابن مجاهد سبقني الى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي امام جامع البصرة وامام قراء البصرة في زمانه في رأس المائتين ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده بل قد يكون معناها متفقا أو متقاربا كما قال عبدالله بن مسعود انما هو كقول أحدكم أقبل وهلم وتعال وقد يكون معنى أحدهما ليس هو معنى الآخر لكن كلا المعنيين حق وهذا اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض وهذا كما جاء في الحديث المرفوع عن النبي في هذا حديث أنزل القرآن على سبعة احرف ان قلت غفورا رحيمًا أو قلت عزيزا حكيمًا فانه كذلك ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب بآية رحمة وهذا كما في القراءات المشهورة ربنا باعد وبعاد إلا أن يخافا ألا يقيما والا أن يخافا الا يقيما وان كان مكرهم لتزول وليزول منه الجبال و بل عجبت وبل عجبت ونحو ذلك ومن القراءات ما يكون المعنى فيها متفقا من وجه متباينا من وجه كقوله يخدعون ويخدعون ويكذبون ويكذبون ولمستم ولمستم و حتى يطهرن ويطهرن ونحو ذلك فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الايمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملا لا يجوز ترك موجب احدهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك

تعارض بل كما قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وأما ما اتحد لفظه ومعناه وانما يتنوع صفة النطق به كالهزات والمدات والامالات ونقل الحركات والاظهار والادغام والاختلاس وترقيق اللامات والرات أو تغليظها ونحو ذلك مما يسمى القراءات الاصول فهذا أظهر وأبين في أنه ليس فيه تناقض ولا تضاد مما تنوع فيه اللفظ أو المعنى اذ هذه الصفات المتنوعة في أداء اللفظ لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا ولا يعد ذلك فيما اختلف لفظه واتحد معناه أو اختلف معناه من المترادف ونحوه ولهذا كان دخول هذا في حرف واحد من الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها من اولى ما يتنوع فيه اللفظ أو المعنى وان وافق رسم المصحف وهو ما يختلف فيه النقط أو الشكل ولذلك لم يتنازع علماء الاسلام المتبوعين من السلف والأئمة في أنه لا يتعين أن يقرأ بهذه القراءات المعينة في جميع امصار المسلمين بل من ثبت عنده قراءة الاعمش شيخ حمزة أو قراءة يعقوب بن اسحق الحضرمي ونحوهما كما ثبت عنده قراءة حمزة والكسائي فله أن يقرأ بها بلا نزاع بين العلماء المعترين المعدودين من أهل الاجماع والخلاف بل أكثر العلماء الأئمة الذين ادركوا قراءة حمزة كسفيان بن عيينة وأحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وغيرهم يختارون قراءة أبي جعفر بن القعقاع وشيبة بن نصاح المدنيين وقراءة البصريين كشيوخ يعقوب بن اسحق وغيرهم على قراءة حمزة والكسائي وللعلماء الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف عند العلماء ولهذا كان أئمة أهل العراق الذين ثبتت عندهم قراءات العشرة أو الاحد عشر كتبت هذه السبعة يجمعون ذلك في الكتب ويقرؤونه في الصلاة وخارج الصلاة وذلك متفق عليه بين العلماء لم ينكره أحد منهم وأما الذى ذكره القاضى عياض ومن نقل من كلامه من الانكار على ابن شنبوذ الذى كان يقرأ بالشواذ في الصلاة في أثناء المائة الرابعة وجرت له قصة مشهورة فإنما كان ذلك في القراءات الشاذة الخارجة عن المصحف كما سنبينه ولم ينكر أحد من العلماء قراءة العشرة ولكن من يكن عالما بها أو لم تثبت عنده كمن يكون في بلد من بلاد الاسلام بالمغرب أو غيره ولم يتصل به بعض هذه القراءات فليس له أن يقرأ بما لا يعلمه فان القراءة كما قال زيد بن ثابت سنة يأخذها الآخر عن الأول كما أن ما ثبت عن النبي من أنواع الاستفتاحات في الصلاة ومن أنواع صفة الاذان والاقامة وصفة صلاة الخوف وغير ذلك كله حسن يشرع العمل به لمن علمه واما من علم نوعا ولم

يعلم غيره فليس له أن يعدل عما علمه الى ما لم يعلمه وليس له أن ينكر على من علم ما لم يعلمه من ذلك ولا أن يخالفه كما قال النبي لا تختلفوا فان كان قبلكم اختلافوا فهلوكوا وأما القراءة الشاذة الخارجة عن رسم المصحف العثماني مثل قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء رضى الله عنهما والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى والذكر والانثى كما قد ثبت ذلك فى الصحيحين ومثل قراءة عبدالله فصيام ثلاثة أيام متتابعات وكقراءته ان كانت الازقية واحدة ونحو ذلك فهذه اذا ثبتت عن بعض الصحابة فهل يجوز أن يقرأ بها فى الصلاة على قولين للعلماء هما روايتان مشهورتان عن الامام أحمد وروايتان عن مالك إحداهما يجوز ذلك لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرؤون بهذه الحروف فى الصلاة والثانية لا يجوز ذلك وهو قول أكثر العلماء لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي وان ثبتت فانها منسوخة بالعرضة الآخرة فانه قد ثبت فى الصحاح عن عائشة وابن عباس رضى الله عنهم أن جبريل عليه السلام كان يعارض النبي بالقرآن فى كل عام مرة فلما كان العام الذى قبض فيه عارضه به مرتين والعرضة الآخرة هى قراءة زيد بن ثابت وغيره وهى التى أمر الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلى بكتابتها فى المصاحف وكتبها أبو بكر وعمر فى خلافة ابى بكر فى صحف أمر زيد بن ثابت بكتابتها ثم أمر عثمان فى خلافته بكتابتها فى المصاحف وارسالها الى الامصار وجمع الناس عليها باتفاق من الصحابة على وغيره وهذا النزاع لا بد أن يبنى على الأصل الذى سأل عنه السائل وهو أن القراءات السبعة هل هى حرف من الحروف السبعة أم لا فالذى عليه جمهور العلماء من السلف والأئمة انها حرف من الحروف السبعة بل يقولون ان مصحف عثمان هو أحد الحروف السبعة وهو متضمن للعرضة الآخرة التى عرضها النبي على جبريل والاحاديث والآثار المشهورة المستفيضة تدل على هذا القول وذهب طوائف من الفقهاء والقراء وأهل الكلام الى أن هذا المصحف مشتمل على الأحرف السبعة وقرر ذلك طوائف من أهل الكلام

كالقاضى أبى بكر الباقلانى وغيره بناء على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شىء من الاحرف السبعة وقد اتفقوا على نقل هذا المصحف الامام العثماني وترك ما سواه حيث أمر عثمان بنقل القرآن من الصحف التى كان أبو بكر وعمر كتبها القرآن فيها ثم أرسل عثمان بمشاورة الصحابة الى كل مصر من أمصار المسلمين بمصحف وأمر بترك ما سوى ذلك قال هؤلاء ولا يجوز أن ينهى عن القراءة ببعض الاحرف السبعة ومن نصر قول الاولين يجيب تارة بما ذكر محمد بن جرير وغيره من أن القراءة على الاحرف السبعة لم يكن واجبا على الأمة وانما كان جائزا لهم مرخصا لهم فيه وقد جعل اليهم الاختيار فى أى حرف اختاروه كما أن ترتيب السور لم يكن واجبا عليهم منصوصا بل مفوضا الى اجتهادهم ولهذا كان ترتيب مصحف عبدالله على غير ترتيب مصحف زيد وكذلك مصحف غيره وأما ترتيب آيات السور فهو منزل منصوص عليه فلم يكن لهم ان يقدموا آية على آية فى الرسم كما قدموا سورة على سورة لأن ترتيب الآيات مأمور به نصا وأما ترتيب السور فمفوض الى اجتهادهم قالوا فكذلك الاحرف السبعة فلما رأى الصحابة أن الأمة تفرق وتختلف وتتقاتل اذا لم يجتمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك

اجتماعا سائغا وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة ولم يكن فى ذلك ترك لواجب ولا فعل محذور ومن هؤلاء من يقول بان الترخيص فى الاحرف السبعة كان فى أول الاسلام لما فى المحافظة على حرف واحد من المشقة عليهم أولا فلما تذلت ألسنتهم بالقراءة وكان اتفاقهم على حرف واحد يسيرا عليهم وهو أرفق بهم أجمعوا على الحرف الذى كان فى العرضة الآخرة ويقولون أنه نسخ ما سوى ذلك وهؤلاء يوافق قولهم قول من يقول أن حروف أبى بن كعب وابن مسعود

وغيرهما مما يخالف رسم هذا المصحف منسوخة وأما من قال عن ابن مسعود أنه كان يجوز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه وإنما قال قد نظرت الى القراء فرأيت قراءتهم متقاربة وإنما هو كقول أحدكم اقبل وهلم وتعال فاقروا كما علمتم أو كما قال ثم من جوز القراءة بما يخرج عن المصحف مما ثبت عن الصحابة قال يجوز ذلك لأنه من الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها ومن لم يجوزه فله ثلاثة ماخذ تارة يقول ليس هو من الحروف السبعة وتارة يقول هو من الحروف المنسوخة وتارة يقول هو مما انعقد اجماع الصحابة على الاعراض عنه وتارة يقول لم ينقل اليها نقلا يثبت بمثله القرآن وهذا هو الفرق بين المتقدمين والمتأخرين ولهذا كان في المسألة قول ثالث وهو اختيار جدى أبى البركات أنه ان قرأ بهذه القراءات فى القراءة الواجبة وهى الفاتحة عند القدرة عليها لم تصح صلاته لأنه لم يتيقن أنه ادى الواجب من القراءة لعدم ثبوت القرآن بذلك وان قرأ بها فيما لا يجب لم تبطل صلاته لأنه لم يتيقن أنه أتى فى الصلاة بمبطل لجواز أن يكون ذلك من الحروف السبعة التى أنزل عليها وهذا القول ينبى على أصل وهو أن ما لم يثبت كونه من الحروف السبعة فهل يجب القطع بكونه ليس منها فالذى عليه جمهور العلماء أنه لا يجب القطع بذلك اذ ليس ذلك مما أوجب علينا أن يكون العلم به فى النفى والاثبات قطعيا وذهب فريق من أهل الكلام الى وجوب القطع بنفيه حتى قطع بعض هؤلاء كالقاضى ابى بكر بخطأ الشافعى وغيره ممن أثبت البسمة آية من القرآن فى غير سورة النمل لزعمهم أن ما كان من موارد الاجتهاد فى القرآن فانه يجب القطع بنفيه والصواب القطع بخطأ هؤلاء وان البسمة آية من كتاب الله حيث كتبها الصحابة فى المصحف اذ لم يكتبوا فيه الا القرآن وجرده عما ليس منه كالتخسيس والتعشير وأسماء السور ولكن مع ذلك لا يقال هى من السورة التى بعدها كما أنها ليست من السورة التى قبلها بل هى كما كتبت آية انزلها الله فى أول كل سورة وان لم تكن من السورة وهذا اعدل الاقوال الثلاثة فى هذه المسألة وسواء قيل بالقطع فى النفى أو الاثبات فذلك لا يمنع كونها من موارد الاجتهاد التى لا تكفير ولا تفسيق فيها للنافى ولا للمثبت بل قد يقال ما قاله طائفة من العلماء ان كل واحد من القولين حق وأنها آية من القرآن فى بعض القراءات وهى قراءة الذين يفصلون بها بين السورتين وليست آية فى بعض القراءات وهى قراءة الذين يصلون ولا يفصلون بها بين السورتين

*وأما قول السائل ما السبب الذى أوجب الاختلاف بين القراء فيما احتمله خط المصحف فهذا مرجعه الى النقل واللغة العربية لتسويغ الشارع لهم القراءة بذلك كله اذ ليس لأحد أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه بل القراءة سنة متبعة وهم اذا اتفقوا على اتباع القرآن المكتوب فى المصحف الامامى وقد قرأ بعضهم بالياء وبعضهم بالتاء لم يكن واحد منهما خارجا عن المصحف ومما

يوضح ذلك أنهم يتفقون فى بعض المواضع على ياء أو تاء ويتنوعون فى بعض كما اتفقوا فى قوله تعالى { وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } فى موضع وتنوعوا فى موضعين وقد بينا ان القراءتين كالأيتين فزيادة القراءات كزيادة الآيات لكن اذا كان الخط واحدا واللفظ محتملا كان ذلك أحضر فى الرسم والاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب لا على المصاحف كما فى الحديث الصحيح عن النبى أنه قال ان ربي قال لى أن قم فى قريش فأنذرهم فقلت أى رب اذا يثلغوا رأسى أى يشدخوا فقال انى مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظانا فابعث جندا أبعث مثليهم وقاتل بمن أطاعك من عساك وانفق أنفق عليك فأخبر أن كتابه لا يحتاج فى حفظه الى صحيفة تغسل بالماء بل يقرؤه فى كل حال كما جاء فى نعت أمته أناجيلهم فى صدورهم بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه الا فى الكتب ولا يقرأونه كله الا نظرا لا عن ظهر قلب وقد ثبت فى الصحيح أنه جمع القرآن كله على عهد النبى صلى الله عليه وسلم

جماعة من الصحابة كالاربعة الذين من الانصار وكعبدالله بن عمرو فقتبين بما ذكرناه أن القراءات المنسوبة الى نافع وعاصم ليست هي الاحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها وذلك باتفاق علماء السلف والخلف وكذلك ليست هذه القراءات السبعة هي مجموع حرف واحد من الاحرف السبعة التي انزل القرآن عليها باتفاق العلماء المعترين بل القراءات الثابتة عن أئمة القراء كالاعمش ويعقوب وخلف وأبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح ونحوهم هي بمنزلة القراءات الثابتة عن هؤلاء السبعة عند من ثبت ذلك عنده كما ثبت ذلك وهذا أيضا مما لم يتنازع فيه الأئمة المتبوعون من أئمة الفقهاء والقراء وغيرهم وانما تنازع الناس من الخلف في المصحف العثماني الامام الذي اجمع عليه أصحاب رسول الله والتابعون لهم باحسان والامة بعدهم هل هو بما فيه من القراءات السبعة وتمام العشرة وغير ذلك هل هو حرف من الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها أو هو مجموع الاحرف السبعة على قولين مشهورين والاول قول أئمة السلف والعلماء والثاني قول طوائف من اهل الكلام والقراء وغيرهم وهم متفقون على أن الأحرف السبعة لا يخالف بعضها بعضا خلافا يتضاد فيه المعنى ويتناقض بل يصدق بعضها بعضا كما تصدق الآيات بعضها بعضا

وسبب تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف هو تجويز الشارع وتسويغه ذلك لهم اذ مرجع ذلك الى السنة والاتباع لا الى الرأي والابتداع أما اذا قيل ان ذلك هي الاحرف السبعة فظاهر وكذلك بطريق الاولى اذا قيل ان ذلك حرف من الأحرف السبعة فانه اذا كان قد سوغ لهم أن يقرؤوه على سبعة أحرف كلها شاف كاف مع تنوع الأحرف في الرسم فلأن يسوغ ذلك مع اتفاق ذلك في الرسم وتنوعه في اللفظ أولى وأحرى وهذا من اسباب تركهم المصاحف أول ما كتبت غير مشكولة ولا منقوطة لكون صورة الرسم محتملة للأمرين كالتاء والياء والفتح والضم وهم يضبطون باللفظ كلا الامرين ويكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيها بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المنقولين المعقولين المفهومين فان أصحاب رسول الله تلقوا عنه ما أمره الله بتبليغه اليهم من القرآن لفظه ومعناه جميعا كما قال أبو عبدالرحمن السلمى وهو الذى روى عن عثمان رضى الله عنه عن النبي أنه قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه كما رواه البخارى فى صحيحه وكان يقرىء القرآن اربعين سنة قال حدثنا الذين كانوا يقرؤنا عثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبي عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ولهذا دخل فى معنى قوله خيركم من تعلم القرآن وعلمه تعليم حروفه ومعانيه جميعا بل تعلم معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه وذلك هو الذى يزيد الايمان كما قال جندب بن عبدالله وعبدالله بن عمر وغيرهما تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا وأنتم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الايمان وفى الصحيحين عن حذيفة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين رأيت احدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الامانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ونزل القرآن وذكر الحديث بطوله ولا تتسع هذه الورقة لذكر ذلك وانما المقصود التنبيه على أن ذلك كله مما بلغه رسول الله الى الناس وبلغنا أصحابه عنه الايمان والقرآن حروفه ومعانيه وذلك مما أوحاه الله اليه كما قال تعالى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الشورى 52 وتجويز القراءة فى الصلاة وخارجها بالقراءات الثابتة الموافقة لرسم المصحف كما ثبتت هذه القراءات وليست شاذة حينئذ والله أعلم

أما نفس معرفة القراءة وحفظها فسنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول فمعرفة القرآن التي كان النبي يقرأ بها أو يقرهم على القراءة بها أو يأذن لهم وقد أقرها بها سنة والعارف في القراءات الحافظ لها له مزية على من لم يعرف ذلك ولا يعرف الاقراءة واحدة وأما جمعها في الصلاة أو في التلاوة فهو بدعة مكروهة وأما جمعها لأجل الحفظ والدرس فهو من الاجتهاد الذي فعله طوائف في القراءة وأما الصحابة

تحزيب القرآن

*وقال شيخ الإسلام في تحزيب القرآن وفي كم يقرأ وفي مقدار الصيام والقيام المشروع

عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال أنكحني أبى امرأة ذات حسب فكان يتعاهد ابنته فيسألها عن بعلمها فتقول نعم الرجل لم يظأ لنا فراشا ولم يفتش لنا كنفنا منذ أتيناها فلما طال ذلك عليه ذكر ذلك للنبي فقال القن به فلقيته بعد فقال كيف تصوم قلت كل يوم قال متى أو كيف تختم قلت كل ليلة قال صم من كل شهر ثلاثة أيام وقرأ القرآن في كل شهر قلت انى أطيق أكثر من ذلك قال صم ثلاثة أيام من كل جمعة قلت انى أطيق أكثر من ذلك قال أفطر يومين وصم يوما قال قلت انى أطيق أكثر من ذلك قال صم افضل الصوم صوم داود صيام يوم وافطار يوم وقرأ القرآن في كل سبع ليال مرة قال فليتنى قبلت رخصة رسول الله وذلك انى كبرت وضعفت فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل فاذا أراد أن يتقوى أفطر أياما وأحصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئا فارق عليه النبي وقال بعضهم في ثلاث وفي خمس وأكثرهم على سبع وفي لفظ اقرأ القرآن في شهر قلت انى أجد قوة قال فاقراه في سبع ولا تزد على ذلك رواه بكماله البخارى وهذا لفظه وروى مسلم الحديث بنحوه واللفظ الآخر مثله وفي رواية ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة فقلت نعم يا نبي الله وفيه قال اقرأ القرآن في كل شهر قال قلت يا نبي الله انى أطيق أفضل من ذلك قال فاقراه في كل عشر قال قلت يا نبي الله انى أطيق أفضل من ذلك قال فاقراه في سبع ولا تزد على ذلك قال فشددت فشدد على وقال لى النبي إنك لا تدري لعلك يطول بك عمرك قال فصرت الى الذى قال النبي وعن عبدالله بن عمرو عن النبي قال اقرأ القرآن في كل ثلاث رواه أحمد وأبو داود قلت هذه الرواية نبه عليها البخارى وقال بعضهم في ثلاث وهو معنى ما روى عن سعد بن المنذر الانصارى أنه قال يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث قال نعم وكان يقرؤه حتى توفى رواه أحمد من طريق ابن لهيعة وذكر أن بعضهم قال في خمس وأكثرهم على سبع فالصحيح عندهم فى حديث عبدالله بن عمرو أنه انتهى به النبي الى سبع كما أنه أمره ابتداء بقراءته فى الشهر فجعل الحد ما بين الشهر الى الاسبوع وقد روى أنه أمره ابتداء أن يقرأه فى اربعين وهذا فى طرف السعة يناظر التثليث فى طرف الاجتهاد وأما رواية من روى من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقه فلا تنافى رواية التسبيع فان هذا ليس أمرا لعبدالله بن عمرو ولا فيه أنه جعل قراءته فى ثلاث دائما سنة مشروعة وانما فيه الاخبار بأن من قرأه فى أقل من ثلاث لم يفقه ومفهومه مفهوم العدد وهو مفهوم صحيح أن من قرأه فى ثلاث فصاعدا فحكمه نقيض ذلك والتناقض يكون بالمخالفة ولو من بعض الوجوه فإذا كان من يقرؤه فى ثلاث أحيانا قد يفقهه حصل مقصود الحديث ولا يلزم اذا شرع فعل ذلك أحيانا لبعض الناس أن تكون المداومة على ذلك مستحبة ولهذا لم يعلم فى

الصحابة على عهده من دوام على ذلك أعنى على قراءته دائماً فيما دون السبع ولهذا كان الامام أحمد رحمه الله يقرؤه في كل سبع والمقصود بهذا الفصل أنه اذا كان التحزيب المستحب ما بين أسبوع إلى شهر وإن كان قد روى ما بين ثلاث الى أربعين فالصحابة انما كانوا يحزبونه سورا تامة لا يحزبون السورة الواحدة كما روى أوس بن حذيفة قال قدمنا على رسول الله في وفد ثقيف قال فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة ونزل رسول الله بنى مالك في قبة له قال وكان كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا قائماً على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام وأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قریش ثم يقول لا سواء كنا مستضعفين مستذلين بمكة فلما خرجنا الى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه فقلنا لقد أبطأت عنا الليلة قال إنه طراً على حزبي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمه قال أوس سألت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل واحد رواه أبو داود وهذا لفظه وأحمد وابن ماجه وفي رواية للامام أحمد قالوا نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل من ق حتى يختم ورواه الطبراني في معجمه فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله يحزب القرآن فقالوا كان رسول الله يحزبه ثلاثاً وخمسا فذكره وهذا الحديث يوافق معنى حديث عبدالله بن عمرو في أن المسنون كان عندهم قراءته في سبع ولهذا جعلوه سبعة أحزاب ولم يجعلوه ثلاثة ولا خمسة وفيه أنهم حزبوه بالسور وهذا معلوم بالتواتر فانه قد علم أن أول ما جرىء القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين وثلاثين وستين هذه التي تكون رؤوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السورة وأثناء القصة ونحو ذلك كان في زمن الحجاج وما بعده وروى أن الحجاج أمر بذلك ومن العراق فشا ذلك ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك وإذا كانت التجزئة بالحروف محدثة من عهد الحجاج بالعراق فمعلوم أن الصحابة قبل ذلك على عهد النبي وبعده كان لهم تحزيب آخر فانهم كانوا يقدرون تارة بالآيات فيقولون خمسون آية ستون آية وتارة بالسور لكن تسبيعه بالآيات لم يروه أحد ولا ذكره أحد فتعين التحزيب بالسور فإن قيل فترتيب سور القرآن ليس هو أمرا واجبا منصوصا عليه وإنما هو موكول الى الناس ولهذا اختلف ترتيب مصاحف الصحابة رضى الله عنهم ولهذا في كراهة تنكيس السور روايتان عن الامام أحمد إحداهما يكره لأنه خلاف المصحف العثماني المتفق عليه والثانية لا يكره كما يلقنه الصبيان اذ قد ثبت عن النبي أنه قرأ بالبصرة ثم النساء ثم آل عمران قيل لا ريب أن قراءة سورة بعد سورة لا بد أن يكون مرتبا أكثر ما في الباب أن الترتيب يكون أنواعا كما أنزل القرآن على أحرف وعلى هذا فهذا التحزيب يكون تابعا لهذا الترتيب ويجوز أيضا ان يكون هذا التحزيب مع كل ترتيب فانه ليس في الحديث تعيين السور وهذا الذى كان عليه الصحابة هو الأحسن لوجوه أحدها أن هذه التحزيبات المحدثة تتضمن دائما الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه فيحصل القارىء في اليوم الثانى مبتدئا بمعطوف كقوله تعالى {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} النساء 24 وقوله {وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} الأحزاب 31 وأمثال ذلك ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض حتى كلام المتخاطبين حتى يحصل الابتداء في اليوم الثانى بكلام المجيب كقوله تعالى {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} الكهف 72 ومثل هذه الوقوف لا يسوغ في المجلس الواحد اذا طال الفصل بينهما بأجنبى ولهذا لو ألحق بالكلام عطف أو استثناء أو شرط ونحو ذلك بعد طول الفصل بأجنبى لم يسغ باتفاق العلماء ولو تأخر القبول عن الايجاب بمثل

ذلك بين المتخاطبين لم يسغ ذلك بلا نزاع ومن حكى عن أحمد خلاف ذلك فقد أخطأ كما أخطأ من نقل عن ابن عباس في الأول خلاف ذلك وذلك أن المنقول عن أحمد أنه فيما إذا كان المتعاقدان غائبين أو أحدهما غائب والآخر حاضرا فينقل الإيجاب أحدهما الى الآخر فيقبل في مجلس البلاغ وهذا جائز بخلاف ما إذا كانا حاضرين والذي في القرآن نقل كلام حاضرين متجاورين فكيف يسوغ أن يفرق هذا التفريق لغير حاجة بخلاف ما إذا فرق في التلقين لعدم حفظ المتلقن ونحو ذلك الثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت عاداته الغالبة وعادة أصحابه أن يقرأ في الصلاة بسورة كق ونحوها وكما كان عمر رضى الله عنه يقرأ بيونس و يوسف و النحل ولما قرأ بسورة المؤمنين في الفجر أدركته سعة فركع أثنائها وقال إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأخفف لما أعلم من وجد أمه به

وأما القراءة بأواخر السور وأوساطها فلم يكن غالبا عليهم ولهذا يتورع في كراهة ذلك وفيه النزاع المشهور في مذهب أحمد وغيره ومن أعدل الأقوال قول من قال يكره اعتياد ذلك دون فعله أحيانا لئلا يخرج عما مضت به السنة وعادة السلف من الصحابة والتابعين وإذا كان كذلك فمعلوم أن هذا التحزيب والتجزئة فيه مخالفة السنة أعظم مما في قراءة آخر السورة ووسطها في الصلاة وبكل حال فلا ريب أن التجزئة والتحزيب الموافق لما كان هو الغالب على تلاوتهم أحسن و المقصود أن التحزيب بالسورة التامة أولى من التحزيب بالتجزئة الثالث أن التجزئة المحدثه لا سبيل فيها الى التسوية بين حروف الأجزاء وذلك لأن الحروف في النطق تخالف الحروف في الخط في الزيادة والنقصان يزيد كل منهما على الآخر من وجه دون وجه وتختلف الحروف من وجه وبيان ذلك بأمور أحدها أن ألفات الوصل ثابتة في الخط وهي في اللفظ تثبت في القطع وتحذف في الوصل فالعادي ان حسبها انتقض عليه حال القارئ اذا وصل وهو الغالب فيها وان اسقطها انتقض عليه بحال القارئ القاطع وبالخط الثاني أن الحرف المشدد حرفان في اللفظ أولهما ساكن وهذا معروف بالحس واتفق الناس وهما متماتلان في اللفظ وأما في الخط فقد يكونان حرفا واحدا مثل إياك و إياك وقد يكونان حرفين مختلفين مثل الرحمن الرحيم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم و حينئذ و قد سمع فالعادي ان حسب اللفظ فالادغام انما يكون في حال الوصل دون حال القطع ويلزمه أن يجعل الأول من جنس الثاني وهذا مخالف لهذا الحرف المعاد بها وان حسب الخط كان الأمر أعظم اضطرابا فانه يلزمه أن يجعل ذلك تارة حرفا وتارة حرفين مختلفين وهذا وإن كان هو الذي يتجهى فالنطق بخلافه الثالث أن تقطيع حروف النطق من جنس تقطيع العروضيين وأما حروف الخط فيخالف هذا من وجوه كثيرة والناس في العادة انما يتهجون الحروف مكتوبة لا منطوقة وبينهما فرق عظيم الرابع أن النطق بالحروف ينقسم الى ترتيل وغير ترتيل ومقادير المدات والاصوات من القراء غير منضبطة وقد يكون في أحد الحزبين من حروف المد أكثر مما في الآخر فلا يمكن مراعاة التسوية في النطق ومراعاة مجرد الخط لا فائدة فيه فان ذلك لا يوجب تسوية زمان القراءة وإذا كان تحزيبه بالحروف انما هو تقريب لا تحديد كان ذلك من جنس تجزئته بالسور هو ايضا تقريب فان بعض الاسباع قد يكون أكثر من بعض في الحروف وفي ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض والافتتاح بما فتح الله به السورة والاختتام بما ختم به وتكميل المقصود من كل سورة ما ليس في ذلك التحزيب وفيه أيضا من زوال المفسد الذي في ذلك التحزيب ما تقدم التنبيه على بعضها فصار راجحا بهذا الاعتبار

ومن المعلوم أن طول العبادة وقصرها يتنوع بتنوع المصالح فتستحب إطالة القيام تارة وتخفيفه أخرى في الفرض والنفل بحسب الوجوه الشرعية من غير أن يكون المشروع هو التسوية بين مقادير ذلك في جميع الأيام فعلم أن التسوية في مقادير العبادات البدنية في الظاهر لا اعتبار به إذا قارنه مصلحة معتبرة ولا يلزم من التساوى في القدر التساوى في الفضل بل قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وثبت في الصحيح أن فاتحة الكتاب لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها وثبت في الصحيح أن آية الكرسي أعظم آية في القرآن وأمثال ذلك فإذا قرأ القارئ في اليوم الأول البقرة وآل عمران والنساء بكمالها وفي اليوم الثاني إلى آخر براءة وفي اليوم الثالث إلى آخر النمل كان ذلك أفضل من أن يقرأ في اليوم الأول إلى قوله { بليغاً } النساء 63 وفي اليوم الثاني إلى قوله { إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ } الأعراف 170 فعلى هذا إذا قرأه كل شهر كما أمر به النبي عبدالله بن عمرو أولاً عملاً على قياس تحزيب الصحابة فالسورة التي تكون نحو جزء أو أكثر بنحو نصف أو اقل ببسيرة يجعلها حزبا كآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف وأما البقرة فقد يقال يجعلها حزبا وإن كانت بقدر حزبين وثلث لكن الأشبه أنه يقسمها حزبين للحاجة لأن التحزيب لا بد أن يكون متقاربا بحيث يكون الحزب مثل الأجزاء ومثله مرة ودون النصف وأما إذا كان مرتين وشيئا فهذا تضعيف وزيادة وعلى هذا فإلى الأعراف سبعة أجزاء والانفال جزء وبراءة جزء فان هذا أولى من جعلها جزءا لأن ذلك يفضي إلى أن يكون نحو الثلث في ثمانية والذي رجحناه يقتضى أن يكون نحو الثلث في تسعة وهذا أقرب إلى العدل وتحزيب الصحابة أوجب أن يكون الحزب الأول أكثر ويكون إلى آخر العنكبوت العشر الثاني سورتين سورتين وأما يونس وهود فجزءان أيضا أو جزء واحد لأنهما أول ذوات الر ويكون على هذا الثلث الأول سورة سورة والثاني سورتين لكن الأول أقرب إلى أن يكون قريب الثلث الأول في العشر الأول فان الزيادة على الثلث بسورة أقرب من الزيادة بسورتين وايضا فيكون عشرة أحزاب سورة سورة وهذا أشبه بفعل الصحابة ويوسف والرعد جزء وكذلك إبراهيم والحجر وكذلك النحل وسبحان وكذلك الكهف ومريم وكذلك طه والأنبياء وكذلك الحج والمؤمنون وكذلك النور والفرقان وكذلك ذات طس الشعراء والنمل والقصص وذات الم العنكبوت والروم ولقمان والسجدة جزء والأحزاب وسبأ وفاطر جزء ويس و الصافات و ص جزء والزمر وغافر و حم السجدة جزء والخمس البواقي من آل حم جزء والثلث الأول أشبه بتشابه أوائل السور والثاني أشبه بمقدار جزء من تجزئة الحروف وهو المرجح ثم القتال و الفتح و الحجرات و ق و الذاريات جزء ثم الأربعة الأجزاء المعروفة وهذا تحزيب مناسب مشابه لتحزيب الصحابة رضى الله عنهم وهو مقارب لتحزيب الحروف واحدى عشرة سورة حزب حزب اذ البقرة كسورتين فيكون احدى عشر سورة وهي نصيب احدى عشرة ليلة والله أعلم

[عد إلى الفهرس](#)

حكم التهليل والتكبير في أوائل السور و في أواخرها

* وسئل رحمه الله عن جماعة اجتمعوا في ختمة وهم يقرؤون لعاصم وأبي عمرو فاذا وصلوا الى سورة الضحى لم يهللوا ولم يكبروا الى آخر الختمة ففعلهم ذلك هو الأفضل أم لا وهل الحديث الذي ورد في التهليل والتكبير صحيح بالتواتر أم لا فأجاب الحمد لله نعم اذا قرؤوا بغير حرف ابن كثير كان تركهم لذلك هو الأفضل بل المشروع المسنون فان هؤلاء الأئمة من القراء لم يكونوا يكبرون لا في أوائل السور ولا في أواخرها فإن جاز لقائل أن يقول ان ابن كثير نقل التكبير عن رسول الله جاز لغيره أن يقول ان هؤلاء نقلوا تركه عن رسول الله اذ من الممتنع أن تكون قراءة الجمهور التي نقلها أكثر من قراءة ابن كثير قد اضاعوا فيها ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أهل التواتر لا يجوز عليهم كتمان ما تتوفر الهمم والدواعي الى نقله فمن جوز على جماهير القراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأهم بتكبير زائد فعصوا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا ما أمرهم به استحق العقوبة البليغة التي تردعه وأمثاله عن مثل ذلك وأبلغ من ذلك البسمة فان من القراء من يفصل بها ومنهم من لا يفصل بها وهي مكتوبة في المصاحف ثم الذين يقرؤون بحرف من لا يبسم لا يبسمون ولهذا لا ينكر عليهم ترك البسمة اخوانهم من القراء الذين يبسمون فكيف ينكر ترك التكبير على من يقرأ قراءة الجمهور وليس التكبير مكتوبا في المصاحف وليس هو في القرآن باتفاق المسلمين ومن ظن أن التكبير من القرآن فانه يستتاب فان تاب والا قتل بخلاف البسمة فانها من القرآن حيث كتبت في مذهب الشافعي وهو مذهب أحمد المنصوص عنه في غير موضع وهو مذهب ابي حنيفة عند المحققين من اصحابه وغيرهم من الأئمة لكن مذهب ابي حنيفة وأحمد وغيرهما أنها من القرآن حيث كتبت البسمة وليست من السورة ومذهب مالك ليست من القرآن الا في سورة النمل وهو قول في مذهب ابي حنيفة وأحمد ومع هذا فالنزاع فيها من مسائل الاجتهاد فمن قال هي من القرآن حيث كتبت أو قال ليست هي من القرآن الا في سورة النمل كان قوله من الأقوال التي ساغ فيها الاجتهاد وأما التكبير فمن قال أنه من القرآن فانه ضال باتفاق الأئمة والواجب أن يستتاب فان تاب والا قتل فكيف مع هذا ينكر على من تركه ومن جعل تارك التكبير مبتدعا أو مخالفا للسنة أو عاصيا فانه الى الكفر أقرب منه الى الإسلام والواجب عقوبته بل ان أصر على ذلك بعد وضوح الحجة وجب قتله ولو قدر أن النبي صلى الله عليه وسلم امر بالتكبير لبعض من أقرأه كان غاية ذلك يدل على جوازه أو استحبابه فانه لو كان واجبا لما أهمله جمهور القراء ولم يتفق أئمة المسلمين على عدم وجوبه ولم ينقل أحد من أئمة الدين أن التكبير واجب وإنما غاية من يقرأ بحرف ابن كثير أن يقول انه مستحب وهذا خلاف البسمة فان قراءتها واجبة عند من يجعلها من القرآن ومع هذا فالقراء يسوغون ترك قراءتها لمن لم ير الفصل بها فكيف لا يسوغ ترك التكبير لمن ليس داخلا في قراءته وأما ما يدعيه بعض القراء من التواتر في جزئيات الامور فليس هذا موضع تفصيله

حكم من كتب مصحفا على غير رسم المصحف العثماني

* وسئل عن من يقول عن الامام مالك أنه قال من كتب مصحفا على غير رسم المصحف العثماني فقد أثم أو قال كفر فهل هذا صحيح وأكثر المصاحف اليوم على غير المصحف العثماني فهل يحل لأحد كتابته على غير المصحف العثماني بشرط ألا يبدل لفظا ولا يغير معنى أم لا فأجاب أما هذا النقل عن مالك في تكفير من فعل ذلك فهو كذب على مالك سواء أريد به رسم الخط أو رسم اللفظ فان مالكا كان يقول عن أهل الشورى ان لكل منهم مصحفا يخالف رسم مصحف عثمان

وهم أجل من أن يقال فيهم مثل هذا الكلام وهم علي بن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد
وعبدالرحمن بن عوف مع عثمان وأيضا فلو قرأ رجل بحرف من حروفهم التي تخرج عن مصحف
عثماني ففيه روايتان عن مالك وأحمد وأكثر العلماء يحتجون بما ثبت من ذلك عنهم فكيف يكفر فاعل
ذلك¹

*** وأما اتباع رسم الخط بحيث يكتبه بالكوفي فلا يجب**
عند أحد من المسلمين وكذلك اتباعه فيما كتبه بالواو والألف
هو حسن لفظ رسم خط الصحابة وأما تكفير من كتب
ألفاظ المصحف بالخط الذي اعتاده فلا أعلم أحدا قال بتكفير
من فعل ذلك لكن متابعة خطهم أحسن هكذا نقل عن مالك
وغيره والله أعلم وسئل عن قوم يقرؤون القرآن ويلحنون
فيه فأنكر عليهم منكر فقال قائل منهم كل لحنة بعشر حسنات
فأجاب الحمد لله إذا قدروا على تصحيح صححوا وإن عجزوا
عن ذلك فلا بأس بذلك حسب استطاعتهم وسئل عن
رجل يتلو القرآن مخافة النسيان ورجاء الثواب فهل يوجب
على قراءته للدراسة ومخافة النسيان أم لا وقد ذكر رجل
ممن ينسب إلى العلم أن القارئ إذا قرأ للدراسة مخافة
النسيان أنه لا يوجب فهل قوله صحيح أم لا فأجاب بل إذا
قرأ القرآن لله تعالى فإنه يثاب على ذلك بكل حال ولو قصد
بقراءته أنه يقرؤه لئلا ينساه فإن نسيان القرآن من الذنوب
فإذا قصد بالقرآن أداء الواجب عليه من دوام حفظه للقرآن
واجتناب ما نهى عنه من إهماله حتى ينساه فقد قصد طاعة
الله فكيف لا يثاب وفي الصحيحين عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال استذكروا القرآن فهو أشد تفلتا

¹ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 383 ref_

من صدور الرجال من النعم من عقلها وقال
عرضت على سيئات أمتي فرأيت من مساويء أعمالها
الرجل يؤتيه الله آية من القرآن فينام عنها حتى ينساها
وفي صحيح مسلم عن النبي أنه قال ما اجتمع قوم
في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه الا
غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وحفت بهم الملائكة
وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه
والله أعلم 1

قصص القرآن

*فان نصوص الكتاب والسنة اللذين هما دعوة محمد يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظي والمعنوي او بالعموم المعنوي وعهود الله في كتابه وسنة رسوله تنال آخر هذه الأمة كما نالت اولها وانما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا فنشبه حالنا بحالهم ونقيس اواخر الامم بأوائلها فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين كما قال تعالى لما قص قصة يوسف مفصلة واجمل قصص الانبياء ثم قال {لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ} يوسف 111 اي هذه القصص المذكورة في الكتاب ليست بمنزلة ما يفترى من القصص المكذوبة كنحو ما يذكر في الحروب من السير المكذوبة وقال تعالى لما ذكر قصة فرعون { فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْرِةِ وَالْأُولَىٰ } {25} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ } {26} النازعات 25-26²

*وقد ذكر الله سبحانه قصة موسى في عدة مواضع من القرآن يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الآخر كما يسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر وليس في هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي إذا قيل محمد وأحمد والهاشمي والعاقب والمقفي ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة وكذلك القرآن إذا قيل فيه قرآن وفرقان وبيان وهدى وبصائر وشفاء ونور ورحمة وروح فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر وكذلك أسماء الرب تعالى إذا قيل الملك القدوس السلام المؤمن المهيم العزير

¹ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 421 ref_

² مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 432 ref_

الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الذى فى الاسم الآخر فالذات واحدة والصفات متعددة فهذا فى الاسماء المفردة وكذلك فى الجمل التامة يعبر عن القصة بجمل تدل على معان فيها ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معان أخر وان كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفات متعددة ففى كل جملة من الجمل معنى ليس فى الجمل الأخر وليس فى القرآن تكرار أصلا وأما ما ذكره بعض الناس من انه كرر القصص مع إمكان الاكتفاء بالواحدة وكان الحكمة فيه ان وفود العرب كانت ترد على رسول الله فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن فيكون ذلك كافيا وكان يبعث الى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الآيات والقصص مثناة متكررة لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى قوم فأراد الله أن يشهر هذه القصص فى أطراف الأرض وأن يلقبها إلى كل سمع فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره وأبو الفرج اقتصر على هذا الجواب فى قوله مثنى لما قيل لم تثبت وبسط هذا له موضع آخر فان التثنية هي التنويع والتجنيس وهي استيفاء الأقسام ولهذا يقول من يقول من السلف الأقسام والأمثال¹

*فإن القرآن له شأن إختص به لا يشبهه كلام البشر لا كلام نبي ولا غيره وإن كان نزل بلغة العرب فلا يقدر مخلوق أن يأتى بسورة ولا ببعض سورة مثله فليس فى القرآن تكرار للفظ بعينه عقب الأول قط وإنما فى سورة الرحمن خطابه بذلك بعد كل آية لم يذكر متواليا وهذا النمط أرفع من الأول وكذلك قصص القرآن ليس فيها تكرارا كما ظنه بعضهم²

الفرق بين السور المدنية والمكية

*والسور المكية نزلت بالأصول الكلية المشتركة التي اتفقت عليها الرسل التي لا بد منها وهي الإسلام العام الذي لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين ديناً غيره وأما السور لمدينة ففيها هذا وفيها ما يختص به محمد من الشريعة والمنهاج فإن دين الأنبياء واحد كما ثبت فى الصحيح عن النبي أنه قال إنا معشر الأنبياء ديننا واحد³

*من المعلوم بالاضطرار والمتواتر من الأخبار أن المهاجرين هاجروا من مكة وغيرها إلى المدينة وهاجر طائفة منهم كعمر وعثمان وجعفر بن أبي طالب هجرتين هجرة إلى الحبشة وهجرة إلى المدينة وكان الإسلام إذ ذاك قليلا والكفار مستولون على عامة الأرض وكانوا يؤذون بمكة ويلقون من أقاربهم وغيرهم من المشركين من الأذى ما لا يعلمه إلا الله وهم صابرون على الأذى متجرعون لمرارة البلوى وفارقوا الأوطان وهجروا الخلال لمحبة الله ورسوله والجهاد فى سبيله كما وصفهم الله تعالى بقوله {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ

¹ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 168 ref_

² مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 537 ref_

³ الجواب الصحيح ج: 5 ص: 341 ref_

وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ { الحشر 8 وهذا كله فعلوه طوعا واختيارا من تلقاء أنفسهم لم يكرههم عليه مكره ولا الجاهم إليه أحد فانه لم يكن للإسلام إذ ذاك من القوة ما يكره به أحد على الإسلام وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذاك هو ومن اتبعه منهيين عن القتال مأمورين بالصفح والصبر فلم يسلم أحد إلا باختياره ولا هاجر أحد إلا باختياره ولهذا قال احمد بن حنبل وغيره من العلماء انه لم يكن من المهاجرين من نفاق و إنما كان النفاق في قبائل الأنصار لما ظهر الإسلام بالمدينة ودخل فيه من قبائل الأوس والخزرج ولما صار للمسلمين دار يمتنعون بها ويقاثلون دخل في الإسلام من أهل المدينة وممن حولهم من الأعراب من دخل خوفا وتقية وكانوا منافقين كما قال تعالى { وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ { التوبة 101 ولهذا إنما ذكر النفاق في السور المدنية و إما السور المكية فلا ذكر فيها للمنافقين فان من اسلم قبل الهجرة بمكة لم يكن فيهم منافق و الذين هاجروا لم يكن فيهم منافق بل كانوا مؤمنين بالله و رسوله محبين لله و لرسوله و كان الله و رسوله احب إليهم من أولادهم و أهلهم و أموالهم 1

*فإن الذي اتفقت عليه الكتب والرسول هو الذي لا بد للخلق منه في كل زمان ومكان وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح كما قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ { البقرة 62 وعامة السورة المكية كالأنعام والأعراف وآل حم وآل طس وآل الرهي من الأصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والصدق والعدل والإخلاص وتحريم الظلم والفواحش والشرك والقول على الله بلا علم 2

*فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى عنه وما أعده لأولياته من كرامته وما وعد به أعداءه من عذابه ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنی وصفاته العلیا التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك الا بالرسول الذين أرسلهم الله الى عباده فالمؤمنون بالرسول المتبعون لهم هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكرمهم فى الدنيا والآخرة وأما المخالفون للرسول فإنهم ملعونون وهم عن ربهم ضالون محجوبون قال ابن عباس تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ومثل هذا فى القرآن كثير وهذا مما أجمع عليه جميع أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى فإنهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أمره وخبره قال تعالى { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ { الحج 75 ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل والسور التي أنزلها الله بمكة مثل الأنعام والأعراف وذوات الر و حم و طس ونحو ذلك هي متضمنة لأصول الدين كالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر وقد قص الله قصص الكفار الذين كذبوا الرسل وكيف أهلكهم ونصر رسله والذين آمنوا قال تعالى { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ { 171 } إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ { 172 } وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ { 173 } الصافات 171-

¹ منهاج السنة النبوية ج: 7 ص: 475 ref_

² الجواب الصحيح ج: 5 ص: 118 ref_

173 وقال { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } غافر 51 فهذه
الوسائط تطاع وتتبع ويقتدى بها كما قال تعالى { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ
يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } الأحزاب 21 وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ
بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا
رَّحِيمًا } النساء 64 وقال تعالى { مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيفًا } النساء 80 وقال تعالى { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ } آل عمران 31 وقال { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } الأعراف 157¹

* وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى اله عليه وسلم أنه قال أنا معاشر
الأنبياء ديننا واحد والأنبياء إخوة لعلات وان أولى الناس بابن مريم لأنا أنه ليس بيني وبينه نبي
فالدين واحد وإنما تنوعت شرائعهم ومناهجهم كما قال تعالى { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
{ المائدة 48 فالرسل متفقون في الدين الجامع للأصول الاعتقادية والعلمية فالاعتقادية كالإيمان
بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعملية كالأعمال العامة المذكورة في الانعام والاعراف وسورة بني
إسرائيل كقوله تعالى { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ } الأنعام 151 إلى آخر الآيات الثلاث
وقوله { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } الإسراء 23 إلى آخر الوصايا وقوله { قُلْ أَمَرَ رَبِّي
بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } الأعراف 29 وقوله { قُلْ إِنَّمَا
حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ
سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 33 فهذه الأمور هي من الدين الذي اتفقت عليه
الشرائع كعامة ما في السور المكية فإن السور المكية تضمنت الأصول التي اتفقت عليها رسل الله إذ
كان الخطاب فيها يتضمن الدعوة لمن لا يقر بأصل الرسالة وأما السور المدنية ففيها الخطاب لمن
يقر بأصل الرسالة كأهل الكتاب الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض وكالمؤمنين الذين آمنوا بكتب الله
ورسله ولهذا قرر فيها الشرائع التي أكمل الله بها الدين كالقبلة والحج والصيام والاعتكاف والجهاد
وأحكام المناكح ونحوها وأحكام الأموال بالعدل كالبيع والإحسان كالصدقة والظلم كالربا وغير ذلك
مما هو من تمام الدين ولهذا كان الخطاب في السور المكية { يَا أَيُّهَا النَّاسُ } لعموم الدعوة إلى
الأصول إذ لا يدعى إلى الفرع من لا يقر بالأصل فلما هاجر النبي إلى المدينة وعزبها أهل الإيمان
وكان بها أهل الكتاب خوطب هؤلاء وهؤلاء يا أيها الذين آمنوا وهؤلاء يا أهل الكتاب أو
يا بني إسرائيل ولم ينزل بمكة شيء من هذا ولكن في السور المدنية خطاب يا أيها الناس
كما في سورة النساء وسورة الحج وهما مدنيتان وكذا في البقرة وهذا يعكس على قول ابن عباس
لأن الحكم المذكور يشمل جنس الناس والدعوة بالإسم الخاص لا فالمؤمنون داخلون في الخطاب

¹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 123 ref_

يا أيها الناس وفي الخطاب يا أيها الذين آمنوا فالدعوة إلى الله تتضمن الأمر بكل ما أمر الله به والنهي عن كل ما نهى الله عنه وهذا هو الأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر¹

ذكر المنافقين في السور المدنية

*تضمن حديث سؤال النبي عن الاسلام و الايمان و الاحسان وجوابه عن ذلك وقوله في آخر الحديث هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم فجعل هذا كله من الدين وللناس في الاسلام و الايمان من الكلام الكثير مختلفين تارة ومتفقين أخرى ما يحتاج الناس معه الى معرفة الحق في ذلك وهذا يكون بأن تبين الأصول المعلومة المتفق عليها ثم بذلك يتوصل الى معرفة الحقيقة المتنازع فيها فنقول ما علم الكتاب والسنة والاجماع وهو من المنقول نقلا متواترا عن النبي بل هو من المعلوم بالإضطرار من دين الإسلام دين النبي أن الناس كانوا على عهده بالمدينة ثلاثة أصناف مؤمن وكافر مظهر للكفر ومنافق ظاهره الإسلام وهو في الباطن كافر ولهذا التقسيم أنزل الله في أول سورة البقرة ذكر الأصناف الثلاثة فأنزل اربع آيات في صفة المؤمنين وآيتين في صفة الكافرين وبضع عشرة آية في صفة المنافقين ففعله تعالى {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} {2} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} {3} وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} {4} أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {5} البقرة 2-5 في صفة المؤمنين وقوله {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} {6} خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} {7} البقرة 6-7 الآيتين في صفة الكفار الذين يموتون كفارا وقوله {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ} {8} البقرة 8 الآيات في صفة المنافقين إلى أن ضرب لهم مثلين أحدهما بالنار والآخر بالماء كما ضرب المثل بهذين للمؤمنين في قوله تعالى {أُنزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} الرعد 17 الآية

واما قبل الهجرة فلم يكن الناس إلا مؤمن أو كافر لم يكن هناك منافق فإن المسلمين كانوا مستضعفين فكان من آمن باطنا وظاهرا ومن لم يؤمن فهو كافر فلما هاجر النبي الى المدينة وصار للمؤمنين بها عز وانصار ودخل جمهور اهلها في الإسلام طوعا واختيارا كان بينهم من أقاربهم ومن غير أقاربهم من أظهر الاسلام موافقة رهبة أو رغبة وهو في الباطن كافر وكان رأس هؤلاء عبدالله بن أبي بن سلول وقد نزل فيه وفي امثاله من المنافقين آيات القرآن يذكر المؤمنين والمنافقين في غير موضع كما ذكرهم في سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وسورة العنكبوت والأحزاب وكان هؤلاء في اهل المدينة والبادية كما قال تعالى {وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ} التوبة 101 وكان في المنافقين من هو في الأصل من المشركين وفيهم من هو في الأصل من اهل الكتاب وسورة الفتح والقتال والحديد والمجادلة والحشر والمنافقين بل عامة السور المدنية يذكر فيها المنافقين وكان في المنافقين من هو في الأصل من المشركين وفيهم من هو في الأصل من اهل الكتاب وسورة الفتح

¹مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 160- 161 ref_

والقتال والحديد والمجادلة والحشر والمنافقين بل عامة السور المدنية يذكر فيها المنافقين قال تعالى في سورة آل عمران {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا} آل عمران 156 إلى قوله {وَلْيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ} 166 {وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا} 167 {آل عمران 166-167} وقال فيها أيضا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤَا مَا عَنَتْكُمْ قَدِّ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَقْوَاهِهِمْ} 118 {آل عمران 118} إلى قوله {وَإِذَا لُفُّوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْعَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} 119 {إن تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسُوهُمُ وَإِنْ نُصِبْتُكُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} 120 {آل عمران 119-120} قال تعالى في سورة النساء {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} 60 {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتِ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا} 61 {النساء 60-61} إلى قوله {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} 65 {النساء 65} وقال {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكُسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} 88 {وَدُؤَا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيَاءً وَلَا نَصِيرًا} 89 {الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} 90 {النساء 88-90} الآيات وقال {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} 138 {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبِتْغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} 139 {النساء 138-139} إلى قوله {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ مِنْكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} 141 {النساء 141} إلى قوله {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاوُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} 142 {مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} 143 {النساء 142-143} إلى قوله {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} 145 {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} 146 {النساء 145-146} وقال تعالى في سورة المائدة {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ} 41 {النساء 41} وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} 51 {النساء 51} إلى قوله {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} 52 {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ} 53 {النساء 52-53} وقال تعالى {وَإِذَا جَاؤُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ} 61 {وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 62 {النساء 61-62} وقال تعالى {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ

{ المائدة 77 إلى قوله { تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ } {80} وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } {81} المائدة 80-81 وأما سورة براءة فأكثرها في وصف المنافقين وذمهم ولهذا سميت الفاضحة والمبعثرة وهي نزلت عام تبوك وكانت تبوك سنة تسع من الهجرة وكانت غزوة تبوك آخر مغازي النبي التي غزاها بنفسه وتميز فيها من المنافقين من تميز فذكر الله من صفاتهم ما ذكره في هذه السورة وقد قال تعالى في سورة النور { وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ } {النور 47} إلى قوله { إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } {النور 51} الآيات وقال تعالى في سورة العنكبوت { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ } {10} وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ } {11} العنكبوت 10-11 وقال تعالى في سورة الاحزاب { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } {الاحزاب 1} وذكر فيه شأنهم في الاحزاب وذكر من أقوال المنافقين وجبنهم وهلعهم كما قال تعالى { وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا } {الاحزاب 12} إلى قوله { قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا } {18} أَشْحَهَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ أَشْحَهَ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا } {19} يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا } {20} الاحزاب 18-20 وقال تعالى { لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا } {60} مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقَّفُوا أَخَذُوا وَقَتَّلُوا تَقْتِيلًا } {61} الاحزاب 60-61 إلى قوله { لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } {الاحزاب 73} وقال تعالى في سورة القتال { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ } {29} وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَنَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ } {30} محمد 29-30 إلى ما في السورة من نحو ذلك وقال تعالى في سورة الفتح { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } {4} لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا } {5} وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } {6} الفتح 4-6 وقال تعالى في سورة الحديد { يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } {12} يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ } {13} يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ } {14} فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أَوْكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ } {15} الحديد 12-15 وقال في سورة المجادلة { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا

نُهِوا عَنْهُ وَيَتَنَاجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ
{المجادلة} 8 إلى قوله {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ
وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذْبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} 14 {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 15
اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} 16 {المجادلة} 14-16 إلى آخر
السورة وقوله {مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ} {المجادلة} 14 كقوله {مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا
إِلَى هَؤُلَاءِ} النساء 143 وقال النبي مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه
مرة والى هذه مرة وقال تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ} 11 {لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُولَّ
الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ} 12 {لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا
يَفْقَهُونَ} 13 {الحشر} 11-13 الآية وقد ذكر في سورة المنافقين في قوله {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ
قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} المنافقون 1
إلى آخر السورة و المقصود بيان كثرة ما في القرآن من ذكر المنافقين و اوصافهم و
المنافقون هم في الظاهر مسلمون وقد كان المنافقون على عهد النبي يلتزمون احكام الإسلام
الظاهرة لا سيما في آخر الأمر ما لم يلتزمه كثير من المنافقين الذين من بعدهم لعز الإسلام وظهوره
إذ ذاك بالحجة والسيف تحقيقاً لقوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى
الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} الصف 9 ولهذا قال حذيفة بن اليمان وكان من أعلم الصحابة بصفات
المنافقين و اعيانهم وكان النبي قد اسر إليه عام تبوك اسماء جماعة من المنافقين بأعيانهم فهذا كان
يقال هو صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ويروى أن عمر بن الخطاب لم يكن يصلى على أحد حتى
يصلى عليه حذيفة لئلا يكون من المنافقين الذين نهى عن الصلاة عليهم قال حذيفة رضي الله عنه
النفق اليوم اكثر منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية كانوا على عهد النبي
يسرونه واليوم يظهره و ذكر البخارى في صحيحه عن ابن ابي مليكة قال أدركت ثلاثين من
أصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه وقد اخبر الله عن المنافقين أنهم يصلون ويزكون وأنه لا
يقبل ذلك منهم وقال تعالى {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا
كُسَالِي يُرَأَوْنَ لِلنَّاسِ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} النساء 142 وقال تعالى {قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ
كَرْهًا لَّن يَاقْبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ} 53 {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ} 54 {التوبة} 53-54 وقد
كانوا يشهدون مع النبي مغازيه كما شهد عبدالله بن ابي بن سلول وغيره من المنافقين الغزوة
التي قال فيها عبدالله بن ابي {لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ
{المنافقون} 8 وأخبر بذلك زيد بن أرقم النبي وكذبه قوم حتى أنزل الله القرآن بتصديقه و المقصود
أن الناس ينقسمون في الحقيقة إلى مؤمن و منافق كافر في الباطن مع كونه مسلماً في
الظاهر وإلى كافر باطناً وظاهراً¹

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 461-469 ref_

اسباب النزول

*والآيات التي أنزلها الله على محمد فيها خطاب لجميع الخلق من الانس والجن إذ كانت رسالته عامة للتقلين وان كان من أسباب نزول الآيات ما كان موجودا في العرب فليس شيء من الآيات مختصا بالسبب المعين الذي نزل فيه باتفاق المسلمين وانما تنازعا هل يختص بنوع السبب المسؤول عنه وأما بعين السبب فلم يقل احد من المسلمين ان آيات الطلاق أو الظهار أو اللعان أو حد السرقة والمحاربين وغير ذلك يختص بالشخص المعين الذي كان سبب نزول الآية وهذا الذي يسميه بعض الناس تنقيح المناط وهو أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم حكم في معين وقد علم ان الحكم لا يختص به فيريد أن ينقح مناط الحكم ليعلم النوع الذي حكم فيه كما أنه لما أمر الاعرابي الذي واقع امرأته في رمضان بالكفارة وقد علم ان الحكم لا يختص به وعلم أن كونه أعرابيا أو عربيا أو الموطوءة زوجته لا أثر له فلو وطئ المسلم العجمي سريره كان الحكم كذلك ولكن هل المؤثر في الكفارة كونه مجامعا في رمضان أو كونه مفطرا فالأول مذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه والثاني مذهب مالك وأبي حنيفة وهو رواية منصوصة عن أحمد في الحجامة فغيرها أولى ثم مالك يجعل المؤثر جنس المفطر وأبو حنيفة يجعلها المفطر كتنوع جنسه فلا يوجب في ابتلاع الحصة والنواة وتنازعا هل يشترط أن يكون أفسد صوما صحيحا وأحمد لا يشترط ذلك بل كل امساك وجب في شهر رمضان أو جب فيه الكفارة كما يوجب الأربعة مثل ذلك في الاحرام الفاسد فالصيام الفاسد عنده كالاحرام الفاسد كلاهما يجب اتمامه والمضى فيه والشافعي وغيره لا يوجبونها إلا في صوم صحيح والنزاع فيمن أكل ثم جامع او لم ينو الصوم ثم جامع ومن جامع وكفر ثم جامع ومثل قوله لمن أحرم بالعمرة في جبة متسخما بالخلوق انزع عنك الجبة واغسل أثر الصفرة هل أمره بالغسل لكون المحرم لا يستديم الطيب كما يقوله مالك أو لكونه نهى أن يتزرع الرجل فلا يمنع من استدامة الطيب كقول الثلاثة وعلى الأول فهل هذا الحديث منسوخ بتطبيب عائشة له في حجة الوداع ومثل قوله لما سئل عن فأرة وقعت في سمن القوها وما حولها وكلوا سمنكم هل المؤثر عدم التغير بالنجاسة او بكونه جامدا أو كونها فأرة وقعت في سمن فلا يتعدى الى سائر المائعات ومثل هذا كثير وهذا لا بد منه في الشرائع ولا يسمى قياسا عند كثير من العلماء كأبي حنيفة ونفاة القياس لاتفاق الناس على العمل به كما اتفقوا على تحقيق المناط وهو أن يعلق الشارع الحكم بمعنى كلى فينظر في ثبوته في بعض الأنواع أو بعض الأعيان كأمره باستقبال الكعبة وكأمره بإستشهاد شهيدين من رجالنا ممن نرضى من الشهداء وكتحريمه الخمر والميسر وكفرضه تحليل اليمين بالكفارة وكتفريقه بين الفدية والطلاق وغير ذلك فيبقى النظر في بعض الأنواع هل هي خمر ويمين وميسر وفدية أو طلاق وفي بعض الأعيان هل هي من هذا النوع وهل هذا المصلى مستقبل القبلة وهذا الشخص عدل مرضى ونحو ذلك فان هذا النوع من الاجتهاد متفق عليه بين المسلمين بل بين العقلاء فيما يتبعونه من شرائع دينهم وطاعة ولاة أمورهم ومصالح دنياهم وآخرتهم وحقيقة ذلك يرجع الى تمثيل الشيء بنظيره وادراج الجزئى تحت الكلى وذلك يسمى قياس التمثيل وهذا يسمى قياس الشمول وهما متلازمان فان القدر المشترك بين الافراد في قياس الشمول الذي يسميه المنطقيون الحد الأوسط هو القدر المشترك في قياس التمثيل الذي يسميه الأصوليون الجامع والمناط والعلة والامارة والداعي والباعث والمقتضى والموجب والمشارك وغير ذلك من العبارات وأما تخريج المناط وهو القياس المحض وهو أن ينص على حكم في امور قد يظن أنه يختص الحكم بها فيستدل على أن غيرها مثلها إما لانتفاء الفارق أو للإشتراك في الوصف الذي قام الدليل على أن الشارع علق الحكم به في الأصل فهذا هو القياس الذي تقر به جماهير العلماء وينكره نفاة القياس

وإنما يكثر الغلط فيه لعدم العلم بالجامع المشترك الذى علق الشارع الحكم به وهو الذى يسمى سؤال المطالبة وهو مطالبة المعترض للمستدل بأن الوصف المشترك بين الأصل والفرع هو علة الحكم أو دليل العلة فأكثر غلط القائسين من ظنهم علة فى الأصل ما ليس بعلة ولهذا كثرت شناعاتهم على أهل القياس الفاسد فأما إذا قام دليل على الغاء الفارق وأنه ليس بين الأصل والفرع فرق يفرق الشارع لأجله بين صورتين أو قام الدليل على أن المعنى الفلانى هو الذى لأجله حكم الشارع بهذا الحكم فى الأصل وهو موجود فى صورة أخرى فهذا القياس لا ينازع فيه إلا من لم يعرف هاتين المقدمتين وبسط هذا له موضع آخر والمقصود هنا أن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم شاملة للتقلين الإنس والجن على إختلاف أجناسهم فلا يظن أنه خص العرب بحكم من الأحكام أصلاً بل إنما علق الأحكام بإسم مسلم وكافر ومؤمن ومنافق وبر وفاجر ومحسن وظالم وغير ذلك من الأسماء المذكورة فى القرآن والحديث وليس فى القرآن ولا الحديث تخصيص العرب بحكم من أحكام الشريعة ولكن بعض العلماء ظن فى بعض الأحكام وخالفه الجمهور كما ظن طائفة منهم أبو يوسف أنه خص العرب بأن لا يسترقوا وجمهور المسلمين على أنهم يسترقون كما صحت بذلك الأحاديث الصحيحة حيث إسترق بنى المصطلق وفيه جويرية بنت الحارث ثم أعتقها وتزوجها وأعتق بسببها من إسترق من قومها وقال فى حديث هوزان اختاروا إحدى الطائفتين أما السبى وأما المال وفى الصحيحين عن أبي أيوب الأنصارى عن رسول الله أنه قال من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل وفى الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة أنه كانت سبية من سبى هوازن عند عائشة فقال أعتقها فإنها من ولد إسماعيل وعامة من استرقه الرسول صلى الله عليه وسلم من النساء والصبيان كانوا عرباً وذكر هذا يطول ولكن عمر بن الخطاب لما رأى كثرة السبى من العجم وإستغناء الناس عن إسترقاق العرب رأى أن يعتقوا العرب من باب مشورة الإمام وأمره بالمصلحة لا من باب الحكم الشرعى الذى يلزم الخلق كلهم فأخذ من أخذ بما ظنه من قول عمر وكذلك ظن من ظن أن الجزية لا تؤخذ من مشركى العرب مع كونها تؤخذ من سائر المشركين وجمهور العلماء على أنه لا يفرق بين العرب وغيرهم ثم منهم من يجوز أخذها من كل مشرك ومنهم من لا يأخذها إلا من أهل الكتاب والمجوس وذلك أن النبى صلى الله عليه لم يأخذ الجزية من مشركى العرب وأخذها من المجوس وأهل الكتاب فمن قال تؤخذ من كل كافر قال إن آية الجزية لما نزلت أسلم مشركوا العرب فإنها نزلت عام تبوك ولم يبق عربى مشرك محارباً ولم يكن النبى ليغزو النصرانى عام تبوك بجميع المسلمين إلا من عذر الله ويدع الحجاز وفيه من يحاربه ويبعث أبا بكر عام تسع فنادى فى الموسم أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ونبذ العهود المطلقة وأبقى المؤقتة مادام أهلها موفين بالعهد كما أمر الله بذلك فى أول سورة التوبة وأنظر الذين نبذ إليهم أربعة أشهر وأمر عند إنسلاخها بغزو المشركين كافة قالوا فدان المشركون كلهم كافة بالإسلام ولم يرض بذل أداء الجزية لأنه لم يكن لمشركى العرب من الدين بعد ظهور دين الإسلام ما يصبرون لأجله على أداء الجزية عن يد وهم صاغرون إذ كان عامة العرب قد أسلموا فلم يبق لمشركى العرب عز يعتزون به فدانوا بالإسلام حيث أظهره الله فى العرب بالحجة والبيان والسياف والسنان وقول النبى أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة مراده قتال المحاربين الذين أذن الله فى قتالهم لم يرد قتال المعاهدين الذين أمر الله بوفاء عهدهم وكان النبى قبل نزول براءة يعاهد من عاهده من الكفار من غير أن يعطى الجزية عن يد فلما أنزل الله براءة وأمره بنبذ العهود المطلقة لم يكن له أن يعاهدهم كما كان يعاهدهم بل كان عليه أن يجاهد الجميع كما قال {فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ

وَأَفْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
{ التوبة 5 } وكان دين أهل الكتاب خيرا من دين المشركين ومع هذا فأمروا بقتالهم حتى يعطوا الجزية
عن يد وهم صاغرون فإذا كان أهل الكتاب لا تجوز معاهدتهم كما كان ذلك قبل نزول براءة
فالمشركون أولى بذلك أن لا تجوز معاهدتهم بدون ذلك قالوا فكان في تخصيص أهل الكتاب
بالذكر تنبيها بطريق الأولى على ترك معاهدة المشركين بدون الصغار والجزية كما كان يعاهدهم في
مثل هدنة الحديبية وغير ذلك من المعاهدات قالوا وقد ثبت في الصحيح من حديث بريدة قال كان
رسول الله إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين
خيرا ثم قال اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله أعزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا
تقتلوا وليدا وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل
منهم وكف عنهم ادعهم الى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من
دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين
فان أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجرى
على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء الا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا
فاسألهم الجزية فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم وإذا
حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه
ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فانكم أن تخفروا ذمتكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا
ذمة الله وذمة رسوله وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم
الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا قالوا ففي الحديث أمره
لمن أرسله أن يدعو الكفار الى الإسلام ثم الى الهجرة الى الأمصار والافالي أداء الجزية وإن لم
يهاجروا كانوا كأعراب المسلمين والأعراب عامتهم كانوا مشركين فدل على أنه دعا الى أداء الجزية
من حاصره من المشركين وأهل الكتاب والحصون كانت باليمن كثيرة بعد نزول آية الجزية وأهل
اليمن كان فيهم مشركون وأهل كتاب وأمر معاذ أن يأخذ من كل حالم ديناراً أو عد له معافياً ولم
يميز بين المشركين وأهل الكتاب فدل ذلك على أن المشركين من العرب آمنوا كما آمن من آمن من
أهل الكتاب ومن لم يؤمن من أهل الكتاب أدى الجزية وقد أخذ النبي الجزية من أهل البحرين
وكانوا مجوساً وأسلمت عبد القيس وغيرهم من أهل البحرين طوعاً ولم يكن النبي ضرب الجزية
على أحد من اليهود بالمدينة ولا بخيبر بل حاربهم قبل نزول آية الجزية وأقر اليهود بخيبر فلاحين
بلا جزية الى أن أجلاهم عمر لأنهم كانوا مهادين له وكانوا فلاحين في الأرض فأقرهم لحاجة
المسلمين إليهم ثم أمر بإجلائهم قبل موته وأمر بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب فقيل هذا
الحكم مخصوص بجزيرة العرب وقيل بل هو عام في جميع أهل الذمة إذا استغنى المسلمون عنهم
أجلوهم من ديار الإسلام وهذا قول ابن جرير وغيره ومن قال أن الجزية لا تؤخذ من مشرك قال ان
آية الجزية نزلت والمشركون موجودون فلم يأخذها منهم والمقصود أنه لم يخص العرب بحكم
وان قيل أنه خص جزيرة العرب التي هي حول المسجد الحرام كما خص المسجد الحرام بقوله { يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا } { التوبة 28 } وكذلك
من قال من العلماء أنه حرم على جميع المسلمين ما تستخبثه العرب وأحل لهم ما تستطيبه فجمهور
العلماء على خلاف هذا القول كمالك وأبي حنيفة وأحمد وقدماء أصحابه ولكن الخرقى وطائفة منهم
وافقوا الشافعى على هذا القول وأما أحمد نفسه فعامة نصوصه موافقة لقول جمهور العلماء وما كان
عليه الصحابة والتابعون أن التحليل والتحريم لا يتعلق باستطابة العرب ولا بإستخباتهم بل كانوا

يستطيعون أشياء حرمها الله كالدّم والميتة والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وأكيلة السبع وما أهل به لغير الله وكانوا بل خيارهم يكرهون أشياء لم يحرمها الله حتى لحم الضب كان النبي يكرهه وقال لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه وقال مع هذا أنه ليس بمحرم وأكل على مائدته وهو ينظر وقال فيه لا أكله ولا أحرمه وقال جمهور العلماء الطبيبات التي أحلها الله ما كان نافعا لأكلة في دينه والخبيث ما كان ضارا له في دينه وأصل الدين العدل الذي بعث الله الرسل بإقامته فما أورث الأكل بغيا وظلما حرمه كما حرم كل ذي ناب من السباع لأنها باغية عادية والغاذي شبيه بالمغتذى فإذا تولد اللحم منها صار في الإنسان خلق البغي والعدوان¹

*والناس لهم في طلب العلم والدين طريقان مبتدعان وطريق شرعي فالطريق الشرعي هو النظر فيما جاء به الرسول والإستدلال بأدلته والعمل بموجبها فلا بد من علم بما جاء به وعمل به لا يكفي أحدهما وهذا الطريق متضمن للأدلة العقلية والبراهين اليقينية فإن الرسول بين بالبراهين العقلية ما يتوقف السمع عليه والرسول بينوا للناس العقليات التي يحتاجون إليها كما ضرب الله في القرآن من كل مثل وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمر الله عباده أن يسألوه هدايته وأما الطريقان المبتدعان فأحدهما طريق أهل الكلام البدعي والرأي البدعي فإن هذا فيه باطل كثير وكثير من أهله يفرطون فيما أمر الله به ورسوله من الأعمال فيبقى هؤلاء في فساد علم وفساد عمل وهؤلاء منحرفون إلى اليهودية الباطلة والثاني طريق أهل الرياضة والتصوف والعبادة البدعية وهؤلاء

منحرفون إلى النصرانية الباطلة فإن هؤلاء يقولون إذا صفى الإنسان نفسه على الوجه الذي يذكرونه فاضت عليه العلوم بلا تعلم وكثير من هؤلاء تكون عبادته مبتدعة بل مخالفة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيبقون في فساد من جهة العمل وفساد من نقص العلم حيث لم يعرفوا ما جاء به الرسول وكثير ما يقع من هؤلاء وهؤلاء وتقدح كل طائفة في الأخرى وينتحل كل منهم اتباع الرسول والرسول ليس ما جاء به موافقا لما قال هؤلاء ولا هؤلاء {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} آل عمران 67 وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه على طريقة أهل البدع من أهل الكلام والرأي ولا على طريقة أهل البدع من أهل العبادة والتصوف بل كان على ما بعثه الله من الكتاب والحكمة وكثير من أهل النظر يزعمون أنه بمجرد النظر يحصل العلم بلا عبادة ولا دين ولا تزكية للنفس وكثير من أهل الإرادة يزعمون أن طريق الرياضة بمجرد حصول المعارف بلا تعلم ولا نظر ولا تدبر للقرآن والحديث

وكلا الفريقين غلط بل لتزكية النفس والعمل بالعلم وتقوى الله تأثير عظيم في حصول العلم لكن مجرد العمل لا يفيد ذلك إلا بنظر وتدبر وفهم لما بعث الله به الرسول ولو تعبد الإنسان ما عسى أن يتعبد لم يعرف ما خص الله به محمدا صلى الله عليه وسلم إن لم يعرف ذلك من جهته وكذلك لو نظر واستدل ماذا عسى أن ينظر لم يحصل له المطلوب إلا بالتعلم من جهته ولا يحصل التعلم المطابق النافع إلا مع العمل به وإلا فقد قال الله تعالى {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} الصف 5 وقال {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} {109} {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} {110} {الأنعام 109-110}

¹ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 24-14 ref_

وكذلك لو جاع وسهر وخلا وصمت وفعل ماذا عسى أن يفعل لا يكون مهتدياً إن لم يتعبد بالعبادات الشرعية وإن لم يتلق علم الغيب من جهة الرسول قال تعالى لأفضل الخلق الذي كان أزكى الناس نفساً وأكملهم عقلاً قبل الوحي {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الشورى 52

* والمؤمن ينبغي له أن يعرف الشرور الواقعة ومراتبها في الكتاب والسنة كما يعرف الخيرات الواقعة ومراتبها في الكتاب والسنة فيفرق بين أحكام الأمور الواقعة الكائنة والتي يراد إيقاعها في الكتاب والسنة ليقدم ما هو أكثر خيراً وأقل شراً علي ما هو دونه ويدفع أعظم الشرين باحتمال أدناهما ويجتلب أعظم الخيرين بفوات أدناهما فإن من لم يعرف الواقع في الخلق والواجب في الدين لم يعرف أحكام الله في عباده وإذا لم يعرف ذلك كان قوله وعمله بجهل ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح وإذا عرف ذلك فلا بد أن يقترن بعلمه العمل الذي أصله محبته لما يحبه الله ورسوله وبغضه لما يبغضه الله ورسوله وما اجتمع فيه الحبيب والبغيض المأمور به والمنهي عنه أو الحلال والمحظور أعطي كل ذي حق حقه ليقوم الناس بالقسط فإن الله بذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل فالعلم بالعدل قبل فعل العدل فإذا علم وأحب كان من تمامه الجهاد عليه كما قال تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} الحديد 25 والعلم هو طريق إلي العمل وسبب كما قيل في قوله تعالى {وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً} الكهف 84 أي علماً فالعلم بالخير سبب إلى فعله والعلم بالشر سبب إلى منعه هذا مع حسن النية وإلا فالنفس الأمارة بالسوء قد يكون علمها بالسوء سبب لفعله وبالخير سبب لمنعه وكذلك الإثم والبغي بغير الحق مثل الخمر الذي اتخذ منه أنواع من المسكرات وقيل إنها حلال وسميت بغير أسماء الخمر وهي من الخمر²

فضائل السور والرد على من قال بخلق القرآن

الذي أخرجه أصحاب الصحيح كالبخاري ومسلم فأخرجوا فضل قل هو الله أحد وروى عن الدارقطني أنه قال لم يصح في فضل سورة أكثر مما صح في فضلها وكذلك أخرجوا فضل فاتحة الكتاب قال فيها إنه لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها لم يذكر فيها أنها تعدل جزءاً من القرآن كما قال في قل هو الله أحد إنها تعدل ثلث القرآن ففي صحيح البخاري عن الضحاك المشرقي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه أيعجز أحدكم أن يقرأ بثلاث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله قال الله الواحد الصمد ثلث القرآن وفي صحيح مسلم عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن قالوا وكيف يقرأ ثلث القرآن قال قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وروى

¹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 431-428 ref_

² قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 119 ref_

مسلم أيضا عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه و سلم قال إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن وفي صحيح البخاري عن عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي صعصعة عن أبي سعيد أن رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن وأخرج عن أبي سعيد قال أخبرني أخي قتادة بن النعمان أن رجلا قام في زمن رسول الله يقرأ من السحر قل هو الله أحد لا يزيد عليها الحديث بنحوه وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إحثدوا فإنى سأقرأ عليكم ثلث القرآن قال فحشد من حشد ثم خرج نبي الله صلى الله عليه و سلم فقرأ قل هو الله أحد ثم دخل فقال بعضنا لبعض إنى أرى هذا خبرا جاءه من السماء فذاك الذي أدخله ثم خرج نبي الله صلى الله عليه و سلم فقال إنى قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا إنها تعدل ثلث القرآن وفي لفظ له قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال أقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ قل هو الله أحد الله الصمد حتى ختما وأما حديث الزلزلة و قل يا أيها الكافرون فروى الترمذي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله من قرأ إذا زلزلت عدلت له نصف القرآن و من قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له ربع القرآن و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا زلزلت تعدل نصف القرآن و قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن رواهما الترمذي وقال عن كل منهما غريب وأما حديث الفاتحة فروى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد بن المعلى قال كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله فلم أجبه فقلت يا رسول الله إنى كنت أصلي قال ألم يقل الله إستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ثم قال لأعلمنك سورة هي أعظم سورة فى القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم وفى السنن والمسائيد من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله قال لأبى بن كعب ألا أعلمك سورة ما أنزل فى التوراة ولا فى الإنجيل و لا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها قال فإنى أرجو أن لا تخرج من هذا الباب حتى تعلمها وقال فيه كيف تقرأ فى الصلاة فقرأت عليه أم القرآن فقال والذي نفسي بيده ما أنزل فى التوراة ولا فى الإنجيل و لا فى الزبور ولا فى القرآن مثلها إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته ورواه مالك فى الموطأ عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي سعيد مولى عامر بن كريز مرسلا وفى صحيح مسلم عن عقبه بن عامر قال قال رسول الله ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وفى لفظ قال لي رسول الله أنزل علي آيات لم ير مثلهن قط المعوذتان فقد أخبر فى هذا الحديث الصحيح أنه لم ير مثل المعوذتين كما أخبر أنه لم ينزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى القرآن مثل الفاتحة وهذا مما يبين فضل بعض القرآن على بعض فصل وأما السؤال عن معنى هذه المعادلة مع الإشتراك فى كون الجميع كلام الله فهذا السؤال يتضمن شيئين أحدهما أن كلام الله هل بعضه أفضل من بعض أم لا الثانى ما معنى كون قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن و ما سبب ذلك

فنقول أما الأول فهو مسألة كبيرة و الناس متنازعون فيها نزاعا منتشرا فطوائف يقولون بعض كلام الله أفضل من بعض كما نطقت به النصوص النبوية حيث أخبر عن الفاتحة أنه لم ينزل فى الكتب الثلاثة مثلها وأخبر عن سورة الإخلاص أنها تعدل ثلث القرآن وعدلها لثلاثة يمنع مساواتها لمقدارها فى الحروف و جعل آية الكرسي أعظم آية فى القرآن كما ثبت ذلك فى الصحيح أيضا وكما ثبت ذلك فى صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لأبى بن كعب يا

أبا المنذر أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم قال قلت لله ورسوله أعلم قل يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله أعظم قال فقلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال فضرب في صدري و قال ليهنك العلم أبا المنذر ورواه ابن أبي شيبه في مسنده بإسناد مسلم وزاد فيه و الذي نفسي بيده إن لهذه الآية لسانا و شفقتين تقدس الملك عند ساق العرش و روى أنها سيدة أي القرآن و قال في المعوذتين لم ير مثلهن قط و قد قال تعالى { مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا } البقرة 106 فأخبر أنه يأتي بخير منها أو مثلها وهذا بيان من الله لكون تلك الآية قد يأتي بمثلها تارة أو خير منها أخرى فدل ذلك على أن الآيات تتماثل تارة و تتفاضل أخرى إن الآيات تتماثل تارة و تتفاضل أخرى وأيضا فالتوراة والإنجيل والقرآن جميعها كلام الله مع علم المسلمين بأن القرآن أفضل الكتب الثلاثة قال تعالى { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ } المائدة 48 و قال تعالى { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } الحجر 9 و قال تعالى { قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } الإسراء 88 و قال تعالى { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ } الزمر 23 فأخبر أنه أحسن الحديث فدل على أنه أحسن من سائر الأحاديث المنزلة من عند الله وغير المنزلة و قال تعالى { وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ } الحجر 87 وسواء كان المراد بذلك الفاتحة أو القرآن كله فإنه يدل على أن القرآن العظيم له إختصاص بهذا الوصف على ما لي 4 س كذلك وقد سمى الله القرآن كله مجيدا و كريما و عزيزا و قد تحدى الخلق بأن يأتيوا بمثله أو بمثل عشر سور منه أو بمثل سورة منه فقال { فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ } الطور 34 و قال { فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ } هود 13 و قال { فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ } البقرة 23 وخصه بأنه لا يقرأ في الصلاة إلا هو فليس لأحد أن يقرأ غيره مع قراءته و لا بدون قراءته و لا يصلي بلا قرآن فلا يقوم غيره مقامه مع القدرة عليه وكذلك لا يقوم غير الفاتحة مقامها من كل وجه باتفاق المسلمين سواء قيل بأنها فرض تعاد الصلاة بتركها أو قيل بأنها واجبة يأثم تاركها و لا إعادة عليه أو قيل إنها سنة فلم يقل أحد إن قراءة غيرها مساو لقراءتها من كل وجه وخص القرآن بأنه لا يمس مصحفه إلا ظاهر كما ثبت ذلك عن الصحابة مثل سعد و سلمان و ابن عمر و جماهير السلف و الخلف الفقهاء الأربعة و غيرهم و مضت به سنة رسول الله في كتابه الذي كتبه لعمر و بن حزم الذي لا ريب في أنه كتبه له و دل على ذلك كتاب الله و كذلك لا يقرأ الجنب القرآن عند جماهير العلماء الفقهاء الأربعة و غيرهم كما دلت على ذلك السنة و تفضيل أحد الكلامين بأحكام توجب تشريفه يدل على أنه أفضل في نفسه و إن كان ذلك ترجيحا لأحد المتماثلين بلا مرجح و هذا خلاف ما علم من سنة الرب تعالى في شرعه بل وفي خلقه و خلاف ما تدل عليه الدلائل العقلية مع الشرعية وأيضا فقد قال تعالى { وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ } الزمر 55 و قال تعالى { فَبَشِّرْ عِبَادِ } { 17 } الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ } { 18 } الزمر 17- 18 و قال تعالى { فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا } الأعراف 145 فدل على

أن فيما أنزل حسن وأحسن سواء كان الأحسن هو الناسخ الذي يجب الأخذ به دون المنسوخ إذ كان لا ينسخ آية إلا يأتي بخير منها أو مثلها أو كان غير ذلك والقول بأن كلام الله بعضه أفضل من بعض هو القول المأثور عن السلف وهو الذي عليه أئمة الفقهاء من الطوائف الأربعة و غيرهم و كلام القائلين بذلك كثير منتشر في كتب كثيرة مثل ما سيأتي ذكره عن أبي العباس ابن سريج في تفسيره لهذا الحديث بأن الله أنزل القرآن على ثلاثة أقسام ثلث منه أحكام و ثلث منه وعد

ووعيد وثالث منه الأسماء والصفات وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات و مثل ما ذكره أصحاب الشافعي وأحمد في مسألة تعيين الفاتحة في الصلاة قال أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني الشافعي في كتابه الإصطلام وأما قولهم إن سائر الأحكام المتعلقة بالقرآن لا تختص بالفاتحة قلت سائر الأحكام قد تعلقت بالقرآن على العموم وهذا على الخصوص بدليل أن عندنا قراءة الفاتحة على التعيين مشروعة على الوجوب وعندكم على السنة قال وقد قال أصحابنا إن قراءة الفاتحة لما وجبت في الصلاة وجب أن تتعين الفاتحة لأن القرآن إمتاز عن غيره بالإعجاز وأقل ما يحصل به الإعجاز سورة وهذه السورة أشرف السور لأنها السبع المثاني ولأنها تصلح عوضاً عن جميع السور ولا تصلح جميع السور عوضاً عنها ولأنها تشتمل على ما لا تشتمل سورة ما على قدرها من الآيات وذلك من الثناء والتحميد للرب والإستعانة والإستعاذة والدعاء من العبد فإذا صارت هذه السورة أشرف السور وكانت الصلاة أشرف الحالات فتعينت أشرف السور في أشرف الحالات هذا لفظه فقد نقل عن أصحاب الشافعي أن هذه السورة أشرف السور كما أن الصلاة أشرف الحالات و بينوا من شرفها على غيرها ما ذكروه المجلد وكذلك ذكر ذلك من ذكره من أصحاب أحمد كالقاضي أبي يعلى بن القاضي أبي حازم ابن القاضي أبي يعلى ابن الفراء قال في تعليقه ومن خطه نقلت قال في مسألة كون قراءة الفاتحة ركناً في الصلاة أما الطريق المعتمد في المسألة فهو أنا نقول الصلاة أشرف العبادات وجبت فيها القراءة فوجب أن يتعين لها أشرف السور والفاتحة أشرف السور فوجب أن تتعين قال واعلم أنا نحتاج في تمهيد هذه الطريقة إلى شيئين أحدهما أن الصلاة أشرف العبادات والثاني أن الحمد أشرف السور وإستدل على ذلك بما ذكره قال وأما الدليل على أن فاتحة الكتاب أشرف فالنص والمعنى والحكم أما النص فما تقدم من أنها عوض من غيرها وعن أبي سعيد

الخدري عن النبي قال فاتحة الكتاب شفاء من السم وقال الحسن البصري أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب من السماء أودع علومها أربعة منها التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم هذه الأربعة الفرقان ثم أودع علوم القرآن المفصل ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة ومن قرأها فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وأما المعنى فهو أن الله قابلها بجميع القرآن فقال {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمُتَّانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} الحجر 87 وهذه حقيقة لا يدانيها غيرها فيها قلت هذا على قول من جعلها هي السبع المثاني وجعل القرآن العظيم جميع القرآن قال ولأنها تسمى أم القرآن وأم الشيء أصله ومادته ولهذا سمي الله مكة أم القرى لشرفها عليهن ولأنها السبع المثاني ولأنها تشتمل على ما لا تشتمل عليه سورة من الثناء والتحميد للرب تعالى والإستعانة به والإستعاذة والدعاء من العبد على ما قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي الحديث المشهور قال ولأنه لم ينزل مثلها في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في شيء من الكتب يدل عليه أنها تيسر قراءتها على كل أحد ما لا ييسر غيرها من القرآن وتضرب بها الأمثال ولهذا يقال فلان يحفظ الشيء مثل الفاتحة وإذا كانت بهذه المثابة فغيرها لا يساويها في هذا فإختصت بالشرف ولأنها السبع المثاني قال أهل التفسير معنى ذلك أنها تنثنى قراءتها في كل ركعة قال بعضهم تنثنى نزولها على النبي قلت وفيه أقوال أخر قال وأما الحكم فلأنه تستحب قراءتها في كل ركعة ويكره الإخلال بها ولولا أنها أشرف لما إختصت بهذا المعنى يدل عليه أن عند المنازعين يعني أصحاب أبي حنيفة أن من أخل بقراءتها وجب عليه سجود السهو فنقول لا يخلو إما أن تكون ركناً أو ليست بركن فإن كانت ركن وجب أن لا تجبر بالسجود وإن لم تكن ركناً وجب أن لا يجب

عليه سجود قلت يعني بذلك أن السجود لا يجب إلا بترك واجب في حال العمد فإذا سها عنه وجب له السجود وما كان واجبا فإذا تعمد تركه وجب أن تبطل صلاته لأنه لم يفعل ما أمر به بخلاف من سها عن بعض الواجبات فإن هذا يمكن أن يجبر ما تركه بسجود السهو ومذهب مالك وأحمد وأبي حنيفة أن سجود السهو واجب لأن من الواجبات عندهم ما إذا تركه سهوا لم تبطل الصلاة كما لا تبطل بالزيادة سهوا بإتفاق العلماء ولو زاد عمدا لبطلت الصلاة لكن مالكا وأحمد في المشهور عنهما يقولان ما كان واجبا إذا تركه عمدا بطلت صلاته وإذا تركه سهوا فممنه ما يبطل الصلاة وممنه ما يجبر بسجود السهو فترك الركوع والسجود والقراءة يبطل الصلاة مطلقا وترك التشهد الأول عندهما يبطل الصلاة عمده ويجب السجود لسهوه وأما أبو حنيفة فيقول الواجب الذي ليس بفرض كالفاتحة إذا تركه كان مسينا ولا يبطل الصلاة والشافعي لا يفرق في الصلاة بين الركن والواجب ولكن فرق بينهما في الحج هو وسائر الأئمة والمقصود هنا ذكر بعض من قال إن الفاتحة أشرف من غيرها وقال أبو عمر بن عبد البر وأما قول النبي لأبي هل تعلم سورة ما أنزل الله لافي التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها فمعناه مثلها في جمعها لمعاني الخير لأن فيها الثناء على الله عز وجل بما هو أهله وما يستحقه من الحمد الذي هو له حقيقة لا لغيره لأن كل نعمة وخير منه لا من سواه فهو الخالق الرازق لآمنع لما أعطى ولا معطي لما منع وهو محمود على ذلك وإن حمد غيره فإليه يعود الحمد وفيها التعظيم له وأنه الرب للعالم أجمع ومالك الدنيا والآخرة وهو المعبود والمستعان وفيها تعليم الدعاء والهدى ومجانبة طريق من ضل وغوى والدعاء لباب العبادة فهي أجمع سورة للخير ليس في الكتب مثلها على هذه الوجوه قال وقد قيل إن معنى ذلك أنها تجزيء الصلاة بها دون غيرها ولا يجزيء غيرها عنها وليس هذا بتأويل مجتمع عليه قلت يعني بذلك أن في هذا نزاعا بين العلماء وهو كون الصلاة لاتجزيء إلا بها وهذا يدل على أن الوصف الأول متفق عليه بين العلماء وهو أنها أفضل السور ومن هذا الباب ما في الكتاب والسنة من تفضيل القرآن على غيره من كلام الله التوراة والإنجيل وسائر الكتب وأن السلف كلهم كانوا مقرين بذلك ليس فيهم من يقول الجميع كلام الله فلا يفضل القرآن على غيره قال الله تعالى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي} {الزمر 23} فأخبر أنه أحسن الحديث وقال تعالى {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} {يوسف 3} وأحسن القصص قيل إنه مصدر وقيل إنه مفعول به قيل المعنى نحن نقص عليك أحسن الإقتصاص كما يقال نكلمك أحسن التكليم ونبين لك أحسن البيان قال الزجاج نحن نبين لك أحسن البيان والقص الذي يأتي بالقصة على حقيقتها قال وقوله {بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ} {يوسف 3} أي بوحينا إليك هذا القرآن ومن قال هذا قال بما أوحينا إليك هذا القرآن وعلى هذا القول فهو كقوله نقرأ

عليك أحسن القراءة وتتلوا عليك أحسن التلاوة والثاني أن المعنى نقص عليك أحسن ما يقص أي حسن الأخبار المقصوصات كما قال في السورة الأخرى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} {الزمر 23} وقال {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} {النساء 122} ويدل على ذلك قوله في قصة موسى {فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ} {القصص 25} وقوله {لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لَأُولِي الْأَلْبَابِ} {يوسف 111} المراد خبرهم ونباهم وحديثهم ليس المراد مجرد المصدر والقولان متلازمان في المعنى كما سنبينه ولهذا يجوز أن يكون هذا المنصوب قد جمع معنى المصدر ومعنى المفعول به لأن فيه كلا المعنيين بخلاف المواضع التي يباين فيها الفعل المفعول به فإنه إذا إنتصب بهذا المعنى إمتنع المعنى الآخر ومن رجح الأول من النحاة كالزجاج وغيره قالوا القصص مصدر يقال قص أثره يقصه

قصصا ومنه قوله تعالى { فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا } الكهف 64 وكذلك إقتص أثره وتقصص وقد إقتصت الحديث رويته على وجهه وقد إقتص عليه الخبر قصصا وليس القصص بالفتح جمع قصة كما يظنه بعض العامة فإن ذلك يقال في قصص بالكسر واحدة قصة والقصة هي الأمر والحديث الذي يقص فعلة بمعنى مفعول وجمعه قصص بالكسر وقوله { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ } يوسف 3 بالفتح لم يقل أحسن القصص بالكسر ولكن بعض الناس ظنوا أن المراد أحسن القصص بالكسر وأن تلك القصة قصة يوسف وذكر هذا طائفة من المفسرين ثم ذكروا لم سميت أحسن القصص فليل لأنه ليس في القرآن قصة تتضمن من العبر والحكم والنكت ما تتضمن هذه القصة وقيل لإمتداد الأوقات بين مبتدأها ومنتهاها وقيل لحسن محاورة يوسف وإخوته وصبره على أذاهم وإغضائه عن ذكر ما تعاطوه عند اللقاء وكرمه في العفو وقيل لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين و الإنس والجن والأنعام والطير وسير الملوك والممالك والتجار والعلماء والجهال والرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها أيضا ذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش فصارت أحسن القصص لما فيها من المعاني والفوائد التي تصلح للدين والدنيا وقيل فيه ذكر الحبيب والمحبوب وقيل { أَحْسَنَ } يوسف 3 بمعنى أعجب والذين يجعلون قصة يوسف أحسن القصص منهم من يعلم أن القصص بالفتح هو النبأ والخبر ويقولون هي أحسن الأخبار والأنباء وكثير منهم يظن أن المراد أحسن القصص بالكسر وهؤلاء جهال بالعربية وكلا القولين خطأ وليس المراد بقوله { أَحْسَنَ الْقَصَصِ } يوسف 3 قصة يوسف وحدها بل هي مما قصه الله ومما يدخل في أحسن القصص ولهذا قال تعالى في آخر السورة { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ } {109} حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ } {110} لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } {111} يوسف 109-111 فبين أن العبرة في قصص المرسلين وأمر بالنظر في عاقبة من كذبهم وعاقبتهم بالنصر ومن المعلوم أن قصة موسى وما جرى له مع فرعون وغيره أعظم وأشرف من قصة يوسف بكثير ولهذا هي أعظم قصص الأنبياء التي تذكر في القرآن ثناها الله أكثر من غيرها وبسطها وطولها أكثر من غيرها بل قصص سائر الأنبياء كنوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم من المرسلين أعظم من قصة يوسف ولهذا ثنى الله تلك القصص في القرآن ولم يثن قصة يوسف وذلك لأن الذين عادوا يوسف لم يعادوه على الدين بل عادوه عداوة دنيوية وحسدوه على محبة أبيه له و ظلموه فصبر واتقى الله وإبتلى صلوات الله عليه بمن ظلمه وبمن دعاه إلى الفاحشة فصبر واتقى الله في هذا وفي هذا وإبتلى أيضا بالملك فإبتلى بالسراء والضراء فصبر واتقى الله في هذا وهذا فكانت قصته من أحسن القصص وهي أحسن من القصص التي لم تقص في القرآن فإن الناس قد يظلمون ويحسدون ويدعون إلى الفاحشة ويبتلون بالملك لكن ليس من لم يذكر في القرآن ممن إتقى الله وصبر مثل يوسف ولا فيهم من كانت عاقبته أحسن العواقب في الدنيا والآخرة مثل يوسف وهذا كما أن قصة أهل الكهف وقصة ذي القرنين كل منهما هي في جنسها أحسن من غيرها فقصة ذي القرنين أحسن قصص الملوك وقصة أهل الكهف أحسن قصص أولياء الله الذين كانوا في زمن الفترة فقوله تعالى { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ } يوسف 3 يتناول كل ما قصه في كتابه فهو أحسن مما لم يقصه ليس المراد أن قصة يوسف أحسن ما قص في القرآن وأين ما جرى ليوسف مما جرى لموسى ونوح وإبراهيم وغيرهم

من الرسل وأين ما عودى أولئك مما عودى فيه يوسف وأين فضل أولئك عند الله وعلو درجاتهم من يوسف صلوات الله عليهم أجمعين وأين نصر أولئك من نصر يوسف فإن يوسف كما قال الله تعالى {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} يوسف 56 و أذل الله الذين ظلموه ثم تابوا فكان فيها من العبرة أن المظلوم المحسود إذا صبر و إتقى الله كانت له العاقبة و أن الظالم الحاسد قد يتوب الله عليه و يعفو عنه و أن المظلوم ينبغي له العفو عن ظالمه إذا قدر عليه و بهذا إعتبر النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة لما قام على باب الكعبة وقد أذل الله له الذين عادوه وحاربوه من الطلقاء فقال ماذا أنتم قائلون فقالوا نقول أخ كريم وابن عم كريم فقال إني قائل لكم كما قال يوسف لأخوته {قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} يوسف 92 و كذلك عائشة لما ظلمت وافتري عليها وقيل لها إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فقالت في كلامها أقول كما قال أبو يوسف { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } يوسف 18 ففي قصة يوسف أنواع من العبرة للمظلوم والمحسود والمبتلى بدواعي الفواحش و الذنوب وغير ذلك لكن أين قصة نوح وإبراهيم وموسى والمسيح ونحوهم ممن كانت قصته أنه دعا الخلق إلى عبادة الله و حده لا شريك له فكذبوه وأذوه وأذوا من أمن به فإن هؤلاء أودوا إختيارا منهم لعبادة الله فعودوا وأوذوا فى محبة الله و عبادته بإختيارهم فإنهم لولا إيمانهم ودعوتهم الخلق إلى عبادة الله لما أودوا وهذا بخلاف من أؤذي بغير إختياره كما أخذ يوسف من أبيه بغير إختياره ولهذا كانت محنة يوسف بالنسوة وإمرأة العزيز وإختياره السجن على معصية الله أعظم من إيمانه ودرجته عند الله و أجره من صبره على ظلم إخوته له ولهذا يعظم يوسف بهذا أعظم مما يعظم بذلك ولهذا قال تعالى فيه { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف 24 وهذا كالصبر عن المعاصي مع الصبر على المصائب فالأول أعظم وهو صبر المتقين أولياء الله قال سهل بن عبدالله التستري أفعال البر يفعلها البر والفاجر ولن يصبر عن المعاصي إلا صديق ويوسف صلوات الله عليه كان صديقا نبيا و أما من يظلم بغير إختياره ويصبر فهذا كثير ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم وكذلك إذا مكن المظلوم و قهر ظالمه فتاب الظالم وخضع له فعفوه عنه من المحاسن والفضائل لكن هذا يفعله خلق كثير من أهل الدين وعقلاء الدنيا فإن حلم الملوك والولادة أجمع لأمرهم وطاعة الناس لهم و تأليفهم لقلوب الناس وكان معاوية من أحلم الناس وكان المأمون حلما حتى كان يقول لو علم الناس محبتى في العفو تقربوا إلى بالذنوب ولهذا لما قدر على من نازعه فى الملك و هو عمه إبراهيم بن المهدي عفا عنه وأما الصبر عن الشهوات والهوى الغالب لله لا رجاء لمخلوق ولا خوفا منه مع كثرة الدواعى إلى فعل الفاحشة وإختياره الحبس الطويل على ذلك كما قال يوسف { رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ } يوسف 33 فهذا لا يوجد نظيره إلا في خيار عباد الله الصالحين وأوليائه المتقين كما قال تعالى { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف 24 فهذا من عباد الله المخلصين الذين قال الله تعالى فيهم { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } الحجر 42 ولهذا لم يصدر من يوسف الصديق ذنب أصلا بل الهم الذي هم به لما تركه الله كتب له به حسنة ولهذا لم يذكر عنه سبحانه توبة وإستغفارا كما ذكر توبة الأنبياء كآدم و داود ونوح وغيرهم وإن لم يذكر عن أولئك الأنبياء فاحشة و الله الحمد وإنما كانت توباتهم من أمور أخر هي حسنات بالنسبة إلى غيرهم ولهذا لا يعرف ليوسف نظير فيما إبتلى به من دواعى الفاحشة و تقواه و صبره فى ذلك وإنمات يعرف لغيره ما هو دون ذلك كما فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا

ظل إلا ظله إمام عادل و شاب نشأ في عبادة الله و رجل معلق قلبه بالمسجد إذا خرج حتى يعود إليه و رجلان تحابا في الله إجتماعا على ذلك و تفرقا عليه و رجل دعتة امرأة ذات منصب و جمال فقال إني أخاف الله و رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه و رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه و إذا كان الصبر على الأذى لئلا يفعل الفاحشة أعظم من صبره على ظلم إخوته فكيف بصبر الرسل على أذى المكذبين لئلا يتركوا ما أمروا به من دعوتهم إلى عبادة الله وحده و أمرهم بالمعروف و نهيه عن المنكر فهذا الصبر هو من جنس الجهاد في سبيل الله إذ كان الجهاد مقصودا به أن تكون كلمة الله هي العليا و أن الدين كله لله فالجهاد و الصبر فيه أفضل الأعمال كما قال النبي صلى الله عليه و سلم رأس الأمر الإسلام و عموده الصلاة و ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله و هو حديث صحيح رواه الإمام أحمد و الترمذي و صححه و هو من حديث معاذ بن جبل الطويل و هو أحب الأعمال إلى الله فالصبر على تلك المعصية صبر المهاجر الذي هجر ما نهى عنه و صبر المجاهد الذي جاهد نفسه في الله و جاهد عدو الله الظاهر و الباطن و المهاجر الصابر على ترك الذنب إنما جاهد نفسه و شيطانه ثم يجاهد عدو الله الظاهر لتكون كلمة الله هي العليا و يكون الدين كله لله و صبر المظلوم صبر المصاب لكن المصاب بمصيبة سماوية تصبر نفسه ما لا تصبر نفس من ظلمه الناس فإن ذلك يستشعر أن الله هو الذي فعل به هذا فتتأس نفسه من الدفع و المعاقبة و أخذ الثأر بخلاف المظلوم الذي ظلمه الناس فإن نفسه تستشعر أن ظالمه يمكنه دفعه و عقوبته و أخذ ثأره منه فالصبر على هذه المصيبة أفضل و أعظم كصبر يوسف صلوات الله عليه و سلامه و هذا يكون لأن صاحبه يعلم أن الله قدر ذلك فيصبر على ذلك كالمصائب السماوية و يكون أيضا لينال ثواب الكاظمين الغيظ و العاقبين عن الناس و الله يحب المحسنين و ليسلم قلبه من الغل للناس و كلا النوعين يشتركان في أن صاحبه يستشعر أن ذلك بذنوبه و هو مما يكفر الله به سيئاته و يستغفر و يتوب و أيضا فيرى أن ذلك الصبر واجب عليه و أن الجزع مما يعاقب عليه و إن ارتقى إلى الرضا رأي أن الرضا جنة الدنيا و مستراح العابدين و باب الله الأعظم و إن رأي ذلك نعمة لما فيه من صلاح قلبه و دينه و وقربه إلى الله و تكفير سيئاته و صونه عن ذنوب تدعوه إليها شياطين الإنس و الجن شكر الله على هذه النعم فالمصائب السماوية و لأدمية تشترك في هذه الأمور و معرفة الناس بهذه الأمور و علمهم بها هو من فضل الله يمن به على من يشاء من عباده ولهذا كانت أحوال الناس في المصائب و غيرها متباينة تباينا عظيما ثم إذا شهد العبد القدر و أن هذا أمر قدره الله و قضاه و هو الخالق له فهو مع الصبر يسلم للرب القادر المالك الذي يفعل ما يشاء و هذا حال الصابر و قد يسلم لتسليمة للرب المحسن المدبر له بحسن إختياره الذي لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له و إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له كما رواه مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي صلى الله عليه و سلم و هذا تسليم راض لعلمه بحسن إختيار الله له و هذا يورث الشكر و قد يسلم لتسليمة للرب المحسن إليه المتفضل عليه بنعم عظيمة و إن لم ير هذا نعمة فيكون تسليمه تسليم راض غير شاكر و قد يسلم لتسليمه لله الذي لا إله إلا هو المستحق لأن يعبد لذاته و هو محمود على كل ما يفعله فإنه عليم حكيم رحيم لا يفعل شيئا إلا لحكمة و هو مستحق لمحبتة و عبادته و حمده على كل ما خلقه فهذا تسليم عبد عابد حامد و هذا من الحمادين الذين هم أول من يدعى إلى الجنة و من بينهم صاحب لواء الحمد و آدم فمن دونه تحت لوائه و هذا يكون القضاء خيرا له و نعمة من الله عليه لكن يكون حمده لله و رضاه بقضائه من حيث عرف الله و أحبه و عبده لإستحقاقه الألوهية وحده لا شريك له فيكون صبره و رضاه و حمده من عبادته الصادرة عن هذه المعرفة و الشهادة و هذا يشهد بقلبه أنه لا إله إلا الله و الإله عنده هو المستحق للعبادة بلاف من لم يشهد إلا مجرد ربوبيته و مشيئته و قدرته أو مجرد إحسانه و نعمته فإنهما مشهدان ناقصان قاصران وإنما

يقتصر عليهما من نقص علمه بالله وبدينه الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه كأهل البدع من الجهمية والقدرية الجبرية والقدرية المعتزلة فإن الأول مشهد أولئك والثاني مشهد هؤلاء وشهود ربوبيته وقدرته ومشينته مع شهود رحمته وإحسانه وفضله مع شهود إلهيته ومحبته ورضاه وحمده والثناء عليه ومجده هو مشهد أهل العلم والإيمان من أهل السنة والجماعة التابعين بإحسان للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وهذه الأمور ليسطها موضع آخر والمقصود هنا أن هذا يكون للمؤمن في عموم المصائب وما يكون بأفعال المؤمنين فله فيه كظم الغيظ والعفو عن الناس ويوسف الصديق صلوات الله عليه كان له هذا وأعلى من ذلك الصبر عن الفاحشة مع قوة الداعي إليها فهذا الصبر أعظم من ذلك الصبر بل وأعظم من الصبر على الطاعة ولهذا قال سبحانه في وصف المتقين الذين أعد لهم الجنة {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} {133} الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} {134} وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ فَمَا لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} {135} أُولَئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} {136} ال عمران 133-136 فوصفهم بالكرم والحلم وبالإنفاق وكظم الغيظ والعفو عن الناس ثم لما جاءت الشهوات المحرمات وصفهم بالتوبة منها فقال {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ} {ال عمران 135} فوصفهم بالتوبة منها وترك الإصرار عليها لا بترك ذلك بالكلية فإن النبي قال في الحديث الصحيح كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر والأذن تزني وزناها السمع واللسان يزني وزناه المنطق واليد تزني وزناها البطش والرجل تزني وزناها المشي والقلب يتمنى ويشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه وفي الحديث كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون فلا بد للإنسان من مقدمات الكبيرة وكثير منهم يقع في الكبيرة فيؤمر بالتوبة ويؤمرون أن لا يصروا على صغيرة فإنه لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع إستغفار ويوسف صلى الله عليه وسلم صبر على الذنب مطلقاً ولم يوجد منه إلا هم تركه الله كتب له به حسنة وقد ذكر طائفة من المفسرين أنه وجد منه بعض المقدمات مثل حل السراويل والجلوس مجلس الخاتن ونحو ذلك لكن ليس هذا منقولاً نقلاً يصدق به فإن هذا لم ينقل عن النبي ومثل هذه الإسرائيليات إذا لم تنتقل عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف صدقها ولهذا لا يجوز تصديقها ولا تكذيبها إلا بدليل والله تعالى يقول في القرآن {كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} {يوسف 24} فدل القرآن على أنه صرف عنه السوء ولو كان قد فعل صغيرة لتاب منها والقرآن ليس فيه ذكر توبته ومن وقع منه بعض أنواع السوء والفحشاء لم يكن ذلك قد صرف عنه بل يكون قد وقع وتاب الله عليه منه والقرآن يدل على خلاف هذا وقد شهدت النسوة له أنهن ما علمن عليه من سوء ولو كان قد بدت منه هذه المقدمات لكانت المرأة قد رأت ذلك وهي من النسوة اللاتي شهدن وقلن ما علمنا عليه من سوء وقالت مع ذلك {وَلَقَدْ رَأَوْنَهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ} {يوسف 32} وقالت {أَنَا رَأَوْنَهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} {يوسف 51} وقوله سوء نكرة في سياق النفي فدل ذلك على أن المرأة لم تر منه سوءاً فإن الهم في القلب لم تطلع عليه ولو أطلعت عليه فإنه إذا تركه الله كان حسنة ولو تركه مطلقاً لم يكن حسنة ولا سيئة فإنه لا إثم فيه إلا مع القول أو العمل وأما قصة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم صلوات الله عليهم فذلك أعظم والواقع فيها من الجانبين فما فعلته الأنبياء من الدعوة إلى توحيد الله وعبادته ودينه وإظهار آياته وأمره ونهيته ووعدته ووعيده ومجاهدة المكذبين لهم والصبر على أذاهم هو أعظم عند الله ولهذا

كانوا أفضل من يوسف صلوات الله عليهم أجمعين وما صبروا عليه و عنه أعظم من الذي صبر يوسف عليه و عنه و عبادتهم لله و طاعتهم و تقواهم و صبرهم بما فعلوه أعظم من طاعة يوسف و عبادته و تقواه أولئك أولوا العزم الذين خصهم الله بالذكر في قوله {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} الأحزاب 7 وقال تعالى {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} الشورى 13 و هم يوم القيامة الذين تطلب منهم الأمم الشفاعة وبهم أمر خاتم الرسل أن يقتدى في الصبر فليل له {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ} الأحقاف 35 فقصصهم أحسن من قصة يوسف ولهذا ثناها الله في القرآن لا سيما قصة موسى قال الإمام أحمد بن حنبل احسن أحاديث الأنبياء حديث تكليم الله لموسى والمقصود هنا أن قوله {أَحْسَنَ الْقَصَصِ} يوسف 3 قد قيل إنه مصدر و قيل إنه مفعول به و القولان متلازمان لكن الصحيح أن القصص مفعول به وإن كان أصله مصدرا فقد غلب استعماله في المقصوص كما في لفظ الخبر والنبأ و الإستعمال يدل على ذلك كما تقدم ذكره وقد اعترف بذلك أهل اللغة قال الجوهري وقد قص عليه الخبر قصصا والإسم أيضا القصص بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه فقوله {أَحْسَنَ الْقَصَصِ} يوسف 3 كقوله نخبرك أحسن الخبر ونبؤك أحسن النبأ ونحدثك أحسن الحديث ولفظ الكلام يراد به مصدر كلمة تكليما ويراد به نفس القول فإن القول فيه فعل من القائل هو مسمى المصدر والقول ينشأ عن ذلك الفعل ولهذا تارة يجعل القول نوعا من العمل لأنه حاصل بعمل وتارة يجعل قسيما له يقال القول والعمل وكذلك قد يقال في لفظ القصص و البيان و الحديث و الخبر و نحو ذلك فإذا أريد بالقصص و نحوه المصدر الذي مسماه الفعل فهو مستلزم للقول والقول تابع وإذا أريد به نفس الكلام والقول فهو مستلزم للفعل تابع للفعل فالمصادر الجارية على سنن الأفعال يراد بها الفعل كقولك كلمته تكليما وأخبرته إخبارا وأما ما لم يجر على سنن الفعل مثل الكلام والخبر ونحو ذلك فإن هذا إذا أطلق ريد به القول وكذلك قد يقال في لفظ القصص فإن مصدره لقياسي قصا مثل عدا ومدى وكذلك قصه قصا وأما قصص فليس هو قياس مصدر المضعف ولم يذكروا على كونه مصدرا إلا قوله {فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا} الكهف 64 و هذا لا يدل على أنه مصدر بل قد يكون إسم مصدر أقيم مقامه كقوله {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا} نوح 17 و إن جعل مصدر قص الأثر لم يلزم أن يكون مصدر قص الحديث لأن الحديث خبر ونبأ فكان لفظ قصص كلفظ خبر ونبأ وكلام وأسماء المصادر في باب الكلام تتضمن القول نفسه وتدل على فعل القائل بطريق التضامن واللزوم فإنك إذا قلت الكلام والخبر والحديث ولنبأ والقصص لم يكن مثل قولك التكليم والأنباء والإخبار والتحديث ولهذا يقال أنه منصوب على المفعول به وإسم المصدر ينتصب على المصدر كما في قوله {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا} نوح 17 فإذا قال كلمته كلاما حسنا وحدثه حديثا طيبا وأخبرته أخبارا سارة وقصصت عليه قصصا صادقة ونحو ذلك كان هذا منصوبا على المفعول به لم يكن هذا كقولك كلمته تكليما وأنبيأته أنبياء فتبين أن قوله {أَحْسَنَ الْقَصَصِ} يوسف 3 منصوب على المفعول وكل ما قصه الله فهو أحسن القصص ولكن هذا إذا كان يتضمن معنى المصدر ومعنى المفعول به جاز أن ينتصب على المعنيين جميعا فإنهما متلازمان تقول قلت قولاً حسناً وقد أسمعته قولاً ولم يسمع الفعل الذي هو مسمى المصدر وإنما سمع الصوت وتقول قلت قولاً يقول قولاً فتجعله مصدراً والصوت نفسه ليس هو مسمى المصدر وإنما مسمى المصدر الفعل المستلزم للصوت ولكن هما متلازمان ولهذا تنازع أهل السنة والحديث في التلاوة والقرآن هل هي القرآن المتلو أم لا وقد تظن ابن قتيبة وغيره لما يناسب هذا المعنى وتكلم

عليه وسبب الإشتباه أن المتلو هو القرآن نفسه الذي هو الكلام والتلاوة قد يراد بها نفس حركة التالي وفعله وقد يراد به الأمران جميعاً فمن قال التلاوة هي المتلو أراد بالتلاوة نفس القرآن المسموع وذلك هو المتلو ومن قال غيره أراد بالتلاوة حركة العبد وفعله وتلك ليست هي القرآن ومن نهى عن أن يقال التلاوة هي المتلو أو غير المتلو فلأن لفظ التلاوة يجمع الأمرين كما نهى الإمام أحمد وغيره عن أن يقال التلاوة هي المتلو أو غير المتلو فلأن لفظ التلاوة يجمع الأمرين كما نهى الإمام أحمد وغيره عن أن يقال لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق لأن اللفظ يراد به الملفوظ نفسه الذي هو كلام الله و يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظاً وهو فعل العبد وأطلق قوم من أهل الحديث أن لفظي بالقرآن غير مخلوق وأطلق ناس آخرون أن لفظي به مخلوق قال ابن قتيبة لم يتنازع أهل الحديث في شيء من أقوالهم إلا في مسألة اللفظ وهذا كان تنازع أهل الحديث والسنة الذين كانوا في زمن أحمد بن حنبل وأصحابه الذين أدركوه ثم جاء بعد هؤلاء طائفة قالوا التلاوة غير المتلو وأرادوا بالتلاوة نفس كلام الله العربي الذي هو القرآن وأرادوا بالمتلو معنى واحداً قائماً بذات الله وقال آخرون التلاوة هي المتلو وأرادوا بالتلاوة نفس الأصوات المسموعة من القرآن جعلوا ما سمع من الأصوات هو نفس الكلام الذي ليس بمخلوق ولم يميزوا بين سماع الكلام من المتكلم وبين سماعه من المبلغ له عنه فزاد كل من هؤلاء وهؤلاء من البدع ما لم يكن يقوله أحد من أهل السنة والعلم فلم يكن من أهل

السنة من يقول إن القرآن العربي ليس هو كلام الله ولا يجعل المتلو مجرد معنى ولا كان فيهم من يقول إن أصوات العباد وغيرها من خصائصهم غير مخلوق بل هم كلهم متفقون على أن القرآن المتلو هو القرآن العربي الذي نزله روح القدس من الله بالحق وهو كلام الله الذي تكلم به ولكن تنازعوا في تلاوة العباد له هل هي القرآن نفسه أم هي الفعل لذي يقرأ به القرآن والتحقيق أن لفظ التلاوة يراد به هذا وهذا ولفظ القرآن يراد به المصدر ويراد به الكلام قال الله تعالى { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ } {17} فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ {18} ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ {19} القيامة 17-19 وفي الصحيحين عن ابن عباس قال إن علينا أن نجعله في قلبك وتقرأه بلسانك وقال أهل العربية يقال قرأت الكتاب قراءة و قرأنا و منه قول حسان ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً و قرأنا وقد قال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } النحل 98 و قال تعالى { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْثُوراً } الإسراء 45 و قال تعالى { وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا } الأعراف 204 و هم إنما يستمعون الكلام نفسه ولا يستمعون

مسمى المصدر الذي هو الفعل فإن ذلك لا يسمع فقوله { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ } يوسف 3 من هذا الباب من باب نقرأ عليك أحسن القصص و نتلو عليك أحسن القصص كما قال تعالى { نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ } القصص 3 وقال { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقِيَامَةَ } 18 قال ابن عباس أي قراءة جبريل { فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ } القيامة 18 فاستمع له حتى يقضي قراءته والمشهور في قوله { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ } النحل 98 أنه منصوب على المفعول به فكذلك أحسن القصص لكن في كلاهما معنى المصدر أيضاً كما تقدم ففيه معنى المفعول به ومعنى المصدر جميعاً وقد يغلب هذا كما في قوله { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ } {17} فالمراد هنا نفس مسمى المصدر وقد يغلب هذا تارة كما في قوله { فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا } الأعراف 204 وقوله { قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله } الإسراء 88 وقوله { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلتي هِيَ أَقْوَمُ } الإسراء 9 وغالب ما يذكر لفظ القرآن إنما يراد به نفس الكلام لا يراد به التكلم بالكلام الذي

هو مسمى المصدر ومثل هذا كثير في اللغة يكون أمران متلازمان إما دائما وإما غالبا فيطلق الإسم عليهما ويغلب هذا تارة وهذا تارة وقد يقع على أحدهما مفردا كلفظ النهر و القرية و الميزاب ونحو ذلك مما فيه حال ومحل فالإسم يتناول مجرى الماء والماء الجاري وكذلك لفظ القرية يتناول المساكن والسكان ثم تقول حفر النهر فالمراد به المجرى و تقول جرى النهر فالمراد به الماء وتقول جرى الميزاب تعنى الماء ونصب الميزاب تعنى الخشب و قال تعالى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمَنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} النحل112 والمراد السكان فى المكان وقال تعالى {وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} الأعراف4 و قال تعالى {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} يوسف82 و قال تعالى {وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا} الكهف59 و قال تعالى {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ} هود102 و قال تعالى {لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا} الشورى7 و قال تعالى {فَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبُرُّ مُعْتَدِلَةٌ} القصص45 و الخاوي على عروشه المكن لا السكان وقال تعالى {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا} البقرة259 لما كان المقصود بالقرية هم السكان كان إرادتهم أكثر فى كتاب الله وكذلك لفظ النهر لما كان المقصود هو الماء كان إرادته أكثر كقوله {وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ} الأنعام6 وقوله {وَفَجَّرْنَا خِلَالَهَا نَهْرًا} الكهف33 فهذا كثير أكثر من قولهم حفرنا النهر و كذلك إطلاق لفظ القرآن على نفس الكلام أكثر من إطلاقه على نفس التكلم وكذلك لفظ الكلام والقول والقصص و سائر أنواع الكلام يراد بها نفس الكلام أكثر مما يراد بها فعل المتكلم وهذه الأمور لبسطها موضع آخر والمقصود هنا أن قوله تعالى {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} يوسف3 المراد الكلام الذي هو أحسن القصص وهو عام في كل ما قصه الله لم يخص به سورة يوسف و لهذا قال {بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ} يوسف3 و لم يقل بما أوحينا إليك هذه السورة والآثار المأثورة فى ذلك عن السلف تدل كلها على ذلك وعلى أنهم كانوا يعتقدون أن القرآن أفضل من سائر الكتب وهو المراد والمراد من هذا حاصل على كل تقدير فسواء كان أحسن القصص مصدر أو مفعولا أو جامعا للأمرين فهو يدل على أن القرآن وما فى القرآن من القصص أحسن من غيره فإننا قد ذكرنا أنهما متلازمان فأيهما كان أحسن كان الآخر أحسن فتبين أن قوله تعالى {أَحْسَنَ الْقَصَصِ} يوسف3 كقوله {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} الزمر23 والآثار السلفية تدل على ذلك والسلف كانوا مقرين بأن القرآن أحسن الحديث و أحسن القصص كما أنه المهيم على ما بين يديه من كتب السماء فكيف يقال إن كلام الله كله لا فضل لبعضه على بعض روى ابن أبي حاتم عن المسعودى عن القاسم أن أصحاب رسول الله ملوا ملة فقالوا حدثنا يا رسول الله فأنزل الله {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} يوسف3 ثم ملوا ملة فقالوا حدثنا يا رسول الله فنزلت {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} الزمر23 ثم ملوا ملة فقالوا حدثنا يا رسول الله فأنزل الله {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} الحديد16 وقد روى أبو عبيد فى فضائل القرآن عن بعض التابعين فقال حدثنا حجاج عن المسعودى عن عون بن عبدالله بن عتبة قال مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ملة فقالوا يا رسول الله حدثنا فأنزل الله تعالى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} الزمر23 قال ثم نعتة فقال {كِتَابًا مُّتَسَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ} الزمر23 إلى آخر الآية قال ثم ملوا ملة أخرى فقالوا يا رسول الله حدثنا شيئا فوق الحديث ودون القرآن يعنون

القصص فأنزل الله {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} {1} {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} {2} {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} {3} يوسف 1-3 قال فإن أرادوا الحديث دلهم على أحسن الحديث وإن أرادوا القصص دلهم على أحسن القصص ورواه ابن أبي حاتم بإسناد حسن مرفوعا عن مصعب بن سعد عن سعد قال نزل على رسول الله القرآن فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} {1} {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} {2} {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} {3} يوسف 1-3 فتلاه عليهم زمانا ولما كان القرآن أحسن الكلام نهوا عن إتباع ما سواه قال تعالى {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ} {العنكبوت 51} وروى النسائي وغيره عن النبي أنه رأى بيد عمر بن الخطاب شيئا من التوراة فقال لو كان موسى حيا ثم إتبعتموه وتركتموني لضللتكم وفي رواية ما وسعه إلى إتباعي وفي لفظ فتغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه عمر ذلك فقال له بعض الأنصار يا ابن الخطاب ألا ترى إلى وجه رسول الله فقال عمر رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبيا ولهذا كان الصحابة ينهاون عن إتباع كتب غير القرآن وعمر إنتفع بهذا حتى أنه لما فتحت الإسكندرية وجد فيها كتب كثيرة من كتب الروم فكتبوا فيها إلى عمر فأمر بها أن تحرق وقال حسبنا كتاب الله وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إسماعيل بن خليل حدثنا علي بن مسهر حدثنا عبدالرحمن بن إسحاق عن خليفة بن قيس عن خالد بن عرفطة قال كنت عند عمر بن الخطاب إذ أتى برجل من عبد القيس مسكنه بالسوس فقال له عمر أنت فلان ابن فلان العبدي قال نعم قال وأنت النازل بالسوس قال نعم فضربه بقناة معه فقال له ما ذنبي قال فقرأ عليه {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} {1} {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} {2} {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} {3} يوسف 1-3 فقرأها عليه ثلاث مرات و ضربه ثلاث ضربات ثم قال له عمر أنت الذي إنتسخت كتاب دانيال قال نعم قال إذهب فإمحه الحميم والصوف الأبيض ولا تقرأه ولا تقرئه أحدا من الناس فقرأ عليه عمر هذه الآية ليبين له أن القرآن أحسن القصص فلا يحتاج معه إلى غيره وهذا يدل على أن القصص عام لا يختص بسورة يوسف ويدل على أنهم كانوا يعلمون أن القرآن أفضل من كتاب دانيال ونحوه من كتب الأنبياء وكذلك مثل هذه القصة مأثورة عن ابن مسعود لما أتى بما كتب من الكتب محاه وذكر فضيلة لقرآن كما فعل عمر رضي الله عنهما وروى ابن أبي حاتم عن قتادة {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} يوسف 3 قال من الكتب الماضية وأمور الله السالفة في الأمم {بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ} يوسف 3 وهذا يدل على أن أحسن القصص يعم هذا كله بل لفظ القصص يتناول ما قصه الأنبياء من آيات الله غير أخبار الأمم كقوله تعالى { أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا } الأنعام 130 وقال في موضع آخر { أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ } الزمر 71 وقد قال تعالى {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ} {المائدة 48} وروى ابن أبي حاتم بالإسناد المعروف عن ابن عباس قال مؤتمنا عليه قال وروى عن عكرمة والحسن وسعيد بن جبیر و عطاء الخراساني أنه الأمين وروى من تفسير الوالى عن ابن عباس المهيمن الأمين قال على كل كتاب قبله وكذلك عن الحسن قال مصدقا بهذه الكتب وأمینا عليها ومن تفسير الوالى أيضا عن ابن عباس ومهيمنا عليه قال شهيدا وكذلك قال السدي عن ابن عباس وقال فى قوله { وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ } {المائدة 48} على كل كتاب قبله قل وروى عن سعيد بن جبیر وعكرمة و عطية وعطاء الخراساني ومحمد بن كعب وقتادة والسدي وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم نحو ذلك وابن أبي حاتم قد

ذكر في أول كتابه في التفسير أنه طلب منه إخراج تفسير القرآن مختصراً بأصح الأسانيد وإنه تحرى إخراج بأصح الأخبار إسناداً وأشعبها متناً و ذكر إسناده عن كل من نقل عنه شيئاً فالسلف كلهم متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة ومن أسماء الله المهيمن ويسمى الحاكم على الناس القائم بأمورهم المهيمن قال المبرد والجوهرى وغيرهما المهيمن في اللغة المؤتمن وقال الخليل الرقيب الحافظ و قال الخطابي المهيمن الشهيد قال وقال بعض أهل اللغة الهيمنة القيام على الشيء والرعاية له وأنشد ألا إن الناس بعد نبيهم مهيمنه التاليه في العرف والنكر يريد القائم على الناس بالرعاية لهم وفي مهيمن قولان قيل أصله مؤيمن والهاء مبدلة من الهمزة وقيل بل الهاء أصلية وهكذا القرآن فإنه قرر ما فى الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر وزد ذلك بياناً وتفصيلاً وبين الأدلة والبراهين على ذلك وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين وقرر الشرائع الكلية التى بعث بها الرسل كلهم وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين وبين عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها وبين ما حرف منها وبدل وما فعله أهل الكتاب فى الكتب المتقدمة وبين أيضاً ما كتموه مما أمر الله ببيانه وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التى نزل بها القرآن فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حرف منها وهو حاكم بإقرار ما أقره الله ونسخ ما نسخه فهو شاهد فى الخبريات حاكم فى الأموريات وكذلك معنى الشهادة والحكم يتضمن إثبات ما أثبتته الله من صدق ومحكم وإبطال ما أبطله من كذب ومنسوخ وليس الإنجيل مع التوراة ولا الزبور بهذه المثابة بل هي متبعة لشريعة التوراة إلا يسيراً نسخه الله بالإنجيل بخلاف القرآن ثم إنه معجز فى نفسه لا يقدر الخلاق أن يأتوا بمثله ففيه دعوة الرسول وهو آية الرسول وبرهانه على صدقه ونبوته وفيه ما جاء به الرسول وهو نفسه برهان على ما جاء به وفيه أيضاً من ضرب الأمثال وبيان الآيات على تفضيل ما جاء به الرسول ما لو جمع إليه علوم جميع العلماء لم يكن ما عندهم إلا بعض ما فى القرآن ومن تأمل ما تكلم به الأولون والآخرون فى أصول الدين والعلوم الإلهية وأمور المعاد والنبوات والأخلاق والسياسات والعبادات وسائر ما فيه كمال النفوس وصلاحها وسعادتها ونجاتها لم يجد عند الأولين والآخرين من أهل النبوات ومن أهل الرأي كالمفلسفة وغيرهم إلا بعض ما جاء به القرآن ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر وكتاب آخر فضلاً عن أن تحتاج إلى شيء لا يستقل بنفسه غيره سواء كان من علم المحدثين والمهيمين أو من علم أرباب النظر والقياس الذين لا يعتصمون مع ذلك بكتاب منزل من السماء ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح أنه فى الأمم قبلكم محدثون فإن يكن فى أمتى أحد فعمر فعلق ذلك تعليقا فى أمته مع جزمه به فيمن تقدم لأن الأمم قبلنا كانوا محتاجين إلى المحدثين كما كانوا محتاجين إلى نبي بعد نبي و أما أمة محمد فأغناهم الله برسولهم وكتابهم عن كل ما سواه حتى أن المحدث منهم كعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما يؤخذ منه ما وافق الكتاب والسنة وإذا حدث شيئاً فى قلبه لم يكن له أن يقبله حتى يعرضه على الكتاب والسنة وكذلك لا يقبله إلا أن وافق الكتاب والسنة وهذا باب واسع فى فضائل القرآن على ما سواه والمقصود أن نبين أن مثل هذا هو من العلم المستقر فى نفوس الأمة السابقين والتابعين ولم يعرف قط أحد من السلف رد مثل هذا ولا قال لا يكون كلام الله بعضه أشرف من بعض فإنه كله من صفات الله ونحو ذلك إنما حدث هذا الإنكار لما ظهرت بدع الجهمية الذين اختلفوا فى الكتب وجعلوه عضيين وممن ذكر تفضيل بعض القرآن على بعض فى نفسه أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما كالشيخ أبي حامد الإسفرائيني والقاضي أبي الطيب وأبى إسحاق الشيرازي وغيرهم ومثل القاضي أبي يعلى والحلوانى الكبير وإبنة عبدالرحمن وإبن عقيل قال

أبو الوفاء بن عقيل في كتاب الواضح في أصول الفقه في إحتجاجه على أن القرآن لا ينسخ بالسنة قال فمن ذلك قوله { مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا } البقرة 106 وليست السنة مثل القرآن ولا خيرا منه فبطل النسخ بها لأنه يؤدي إلى المحال وهو كون خبره بخلاف مخبره وذلك محل على الله فما أدي إليه فهو محال قال فإن قيل أصل إستدلالكم مبني على أن المراد بالخير الفضل وليس المراد به ذلك وإنما المراد نأت بخير منها لكم وذلك يرجع إلى أحد أمرين في حقنا إما سهولة في التكليف فهو خير عاجل أو أكثر ثوابا لكونه أثقل وأشق و يكون نفعا في الآجل والعاقبة وكلاهما قد يتحقق بطريق السنة ويحتمل نأت بخير منها لا ناسخا لها بل يكون تكليفا مبتدأ هو خير لكم وإن لم يكن طريقه القرآن الناسخ ولا السنة الناسخة قالوا يوضح هذه التأويلات أن القرآن نفسه ليس بعضه خيرا من بعض فلا بد أن يصرفوا اللفظ عن ظاهره من خير يعود إلى التكليف لا إلى الطريق وقال في الجواب قولهم الخير يرجع إلى ما يخصنا من سهولة أو ثواب لا يصح لأنه أراد ذلك لقال لكم فلما حذف ذلك دل على ما يقتضيه الإطلاق و هو كون الناسخ خيرا من جهة نفسه وذاته ومن جهة الإنتفاع به في العاجل الآجل على أن ظاهره يقتضي بآيات خير منها فإن ذلك يعود إلى الجنس كما إذا قال القائل ما أخذ منك دينارا إلا أعطيك خيرا منه لا يعقل بالإطلاق إلا دينارا خيرا منه فيتخير من الجنس أو لا ثم النفع فأما أن يرجع ذلك إلى ثوب أو عرض غير الدينار فلا وفي آخر الآية ما يشهد بأنه أراد به القرآن لأنه قال { أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ شَيْءٍ قَدِيرٌ } البقرة 106 و وصفه لنفسه بالقدرة يدل على أن الذي يأتي به هو أمر يرجع إليه دون غيره و كذلك قوله { أَوْ مِثْلَهَا } البقرة 106 يشهد لما ذكرناه لأن المماثلة يقتضي إطلاقها من كل وجه لا سيما وقد أنثها تأنيث الآية فكأنه قال نأت بآية منها أو بآية مثلها قلت وأيضا فلا يجوز أن يراد بالخير من جهة كونه أخف عملا أو أشق وأكثر ثوابا لأن هذين لوصفين ثابتان لكل ما أمر الله به مبتدأ وناسخا فإنه إما أن يكون أيسر من غيره في الدنيا وإما أن يكون أشق فيكون ثوابه أكثر فإذا كانت هذه الصفة لازمة لجميع الأحكام لم يحسن أن يقال ما ننسخ من حكم نأت بخير منه أو مثله فإن المنسوخ أيضا يكون خيرا ومثلا بهذا الإعتبار فإنهم إن فسروا الخير بكونه أسهل فقد يكون المنسوخ أسهل فيكون خيرا وإن فسروه بكونه أعظم أجرا لمشتقته فقد يكون المنسوخ كذلك والله قد أخبر أنه لا بد أن يأتي بخير مما ينسخه أو مثله فلا يأتي بما هو دونه وأيضا فعلى ما قالوه لا يكون شيء خيرا من شيء بل إن كان خيرا من جهة السهولة فذلك خير من جهة كثرة الأجر قال ابن عقيل وأما قولهم إن القرآن في نفسه لا يتخاير ولا يتفاضل فعلم أنه لم يرد به الخير لذي هو الأفضلية فليس كذلك فإن توحيد الله الذي في سورة الإخلاص وما ضمنها من نفي التجزي والإنقسام أفضل من ثبت المتضمنة ذم أبي لهب وذم زوجته إن شئت في كون المدح أفضل من القدح وإن شئت في الإعجاز فإن تلاوة غيرها من الآيات التي تظهر منها الفصاحة والبيان أفضل وليس من حيث كان المتكلم واحدا لا يكون التفاضل لمعنى يعود إلى الكلام ثانيا كما أن المرسل واحد لذي النون وإبراهيم وإبراهيم أفضل من ذي النون قال وأما قولهم { نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا } البقرة 106 لا يكون ناسخا بل مبتدأ فلا يصح لأنه خرج مخرج الجزاء مجزوما وهذا يعطي البدلية والمقابلة مثل قولهم إن تكرمني أكرمك وإن أطعنتي طعتك يقتضي أن يكون الجزاء مقابلة وبدلا لا فعلا مبتدأ قلت المقصود هنا ذكر ما نصره من كون القرآن في نفسه بعضه خيرا من بعض ليس المقصود الكلام في مسألة النسخ وكذلك غير هؤلاء صرحوا بأن بعض القرآن قد يكون خيرا من بعض وممن ذكر ذلك أبو حامد الغزالي في كتابه جواهر القرآن قال

لعلك تقول قد توجه قصدك في هذه التنبيهات إلى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض والكل كلام الله فكيف يفارق بعضها بعضا وكيف يكون بعضها أشرف من بعض فاعلم أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات وبين سورة الإخلاص و سورة تبت وترتاع من إعتقاد الفرق نفسك الخوارة المستغرقة في التقليد فقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فهو الذي أنزل عليه القرآن وقال قلب القرآن يس وقد دلت الأخبار على شرف بعضه على بعض فقال فاتحة الكتاب أفضل سور القرآن وقال آية الكرسي سيدة أي القرآن وقال قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن والأخبار الواردة في فضائل قوارع القرآن وتخصص بعض السور والآيات بالفضل وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى فإطلبه من كتب الحديث إن أردت ونبهك الآن على معنى هذه الأخبار الأربعة في تفضيل هذه السور قلت و سنذكر إن شاء الله ما ذكره في تفضيل قل هو الله أحد وممن ذكر كلام الناس في ذلك و حكى هذا القول عن حكاة من السلف القاضي عياض في شرح مسلم قال في قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي أتدري أي آية من كتاب الله أعظم وذكر آية الكرسي فيه حجة لتفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيل القرآن على سائر كتب الله عند من إختاره منهم إسحاق بن راهوية وغيره من العلماء والمتكلمين قال وذلك راجع إلى عظم أجر قارئ ذلك وجزيل ثوابه على بعضه أكثر من سائره قال وهذا مما إختلف أهل العلم فيه فأبي ذلك الأشعري وإبن الباقلاني و جماعة من الفقهاء وأهل العلم لأن مقتضى الأفضل نقص المفضول عنه وكلام الله لا يتبعض قالوا وما ورد من ذلك بقوله أفضل و أعظم لبعض الآي و السور فمعناه عظيم وفاضل قال وقيل كانت آية الكرسي أعظم لأنها جمعت أصول الأسماء والصفات من الإلهية والحياة والوحدانية والعلم والملك والقدرة والإرادة وهذه السبعة قالوا هي أصول الأسماء والصفات قلت المقصود ما ذكره من كلام العلماء وأما قول القائل إن هذه السبعة هي أصول الأسماء فهذه السبعة عند كثير من المتكلمين هي المعروفة بالعقل وما سواها قالوا إنما يعلم بالسمع وهذا أمر يرجع إلى طريق علمنا لا إلى أمر حقيقي ثابت لها في نفس الأمر فكيف والجمهور على أن ما سواها قد يعلم بالعقل أيضا كالمحبة والرضا والأمر والنهي ومذهب إبن كلاب وأكثر قدماء الصفتية أن العلو من الصفات العقلية وهو مذهب أبي العباس القلانسي والحارث المحاسبى ومذهب طوائف من أهل الكلام والحديث والفقهاء وهو آخر قولي القاضي أبي يعلى وأبي الحسن بن الزاغونى وغيره ومذهب إبن كرام وأصحابه وهو قول عامة أئمة الحديث والفقهاء والتصوف وكذلك ما فسرهُ القاضي عياض من قول المفضلين إن المراد كثرة الثواب فهذا لا ينازع فيه الأشعري وإبن الباقلاني فإن الثواب مخلوق من مخلوقات الله تعالى فلا ينازع أحد في أن بعضه أفضل من بعض و إنما النزاع في نفس كلام الله الذي هو كلامه فحكايته النزاع يناقض ما فسر به قول المثبتة وقد بين مأخذ الممتنعين عن التفضيل منهم من نفى التفاضل في الصفات مطلقا بناء على أن القديم لا يتفاضل والقرآن من الصفات ومنهم من خص القرآن بأنه واحد على أصله فلا يعقل فيه معنيان فضلا أن يعقل فيه فاضل ومفضول وهذا أصل أبي الحسن ومن وافقه كما سنبينه إن شاء الله تعالى وهؤلاء الذين ذكرنا أقوالهم في أن كلام الله يكون بعضه أفضل من بعض ليس فيهم أحد من القائلين بأن كلام الله مخلوق كما يقول ذلك من يقوله من أهل البدع كالجهمية والمعتزلة بل كل هؤلاء يقولون إن كلام الله غير مخلوق ولو تتبع ذكر من قال ذلك لكثروا فإن هذا قول جماهير المسلمين من السلف والخلف أهل السنة وأهل البدعة أما السلف كالصحابية والتابعين لهم بإحسان فلم يعرف لهم في هذا الأصل تنازع بل الآثار متواترة عنهم به وإشتهر القول بإنكار تفاضله بعد المائتين لما أظهرت الجهمية القول بأن القرآن مخلوق وإنفق أئمة السنة وجماهير الأمة على إنكار ذلك و رده عليهم و ظنت طائفة كثيرة مثل أبي محمد بن كلاب ومن وافقه

أن هذا القول لا يمكن رده إلا إذا قيل أن الله لم يتكلم بمشيئته وقدرته و لا كلم موسى حين أتاه ولا قال للملائكة إسجدوا لآدم بعد أن خلقه ولا يغضب على أحد بعد أن يكفر به ولا يرضي عنه بعد أن يطيعه ولا يحبه بعد أن يتقرب إليه بالنوافل ولا يتكلم بكلام بعد كلام فتكون كلماته لا نهاية لها إلى غير ذلك مما ظنوا إنتفاءه عن الله وقالوا إنما يمكن مخالفة هؤلاء إذا قيل بأن القرآن و غيره من الكلام لازم لذات الله تعالى لم يزل ولا يزال يتكلم بكل كلام له كقوله يا آدم يا نوح وصاروا طائفتين طائفة تقول إنه معنى واحد قائم بذاته وطائفة تقول إنه حروف أو حروف وأصوات مقترن بعضها ببعض أزلا وأبدا وإن كانت مترتبة في ذاتها ترتيبا ذاتيا لا ترتيبا و جوديا كما قد بين مقالات الناس في كلام الله في غير هذا الموضع والأولون عندهم كلام الله شيء و احد لا بعض له فضلا عن أن يقال بعضه أفضل من بعض والآخرين يقولون هو قديم لازم لذاته والقديم لا يتفاضل وربما نقل عن بعض السلف في قوله تعالى { نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا } البقرة 106 أنه قال خير لكم منها أو أنفع لكم فيظن الظان أن ذلك القائل موافق لهؤلاء وليس كذلك بل مقصوده بيان وجه كونه خيرا وهو أن يكون أنفع للعباد فإن ما كان أكثر من الكلام نفعا للعباد كان في نفسه أفضل كما بين في موضعه وصار من سلك مسلك الكلابية من متأخري أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم يظنون أن القول بتفاضل كلام الله بعضه على بعض إنما يمكن على قول المعتزلة ونحوهم الذين يقولون إنه مخلوق فإن القائلين بأنه مخلوق يرون فضل بعضه على بعض فضل مخلوق على مخلوق و تفضيل بعض المخلوقات على بعض لا ينكره أحد فإذا ظن أولئك أن القول بتفضيل بعض كلام الله على بعض مستلزم لكون القرآن مخلوقا فروا من ذلك وأنكروا القول به لأجل ما ظنوه من التلازم وليس الأمر كما ظنوه بل سلف الأمة وجمهورها يقولون إن القرآن كلام غير مخلوق وكذلك سائر كلام الله غير مخلوق ويقولون مع ذلك إن كلام الله بعضه أفضل من بعض كما نطق بذلك الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين من غير خلاف يعرف في ذلك عنهم وحدثنا أبي عن جدنا أبي البركات وصاحبه أبي عبدالله بن عبد الوهاب أنهما نظرا فيما ذكره بعض المفسرين من الأقوال في قوله { نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا } البقرة 106 وأظنه كان نظرهم في تفسير أبي عبدالله محمد بن تيمية فلما رأيا تلك لأقوال قالوا هذا إنما يجيء على قول المعتزلة وزار مرة أبو عبد الله بن عبد الوهاب هذا لشيخنا أبي زكريا بن الصيرفي وكان مريضا فدعا أبو زكريا بدعاء مأثور عن الإمام أحمد يقول فيه أسألك بقدرتك التي قدرت بها أن تقول للسماوات والأرض أنتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين أن تفعل بنا كذا وكذا فلما خرج الناس من عنده قال له ما هذا الدعاء الذي دعوت به هذا إنما يجيء على قول المعتزلة الذين يقولون القرآن مخلوق فأما أهل السنة فلا يقال عندهم قدر أن يتكلم أو يقول فإن كلامه قديم لازم لذاته لا يتعلق بمشيئته وقدرته وكان أبو عبدالله بن عبد الوهاب رحمه الله قد تلقى هذا عن البحوث التي يذكرها أبو الحسن بن الزاغوني وأمثاله وقبله أبو الوفاء بن عقيل وأمثاله وقبلهما أبو يعلى و نحوه فإن هؤلاء وأمثالهم من أصحاب مالك والشافعي كأبي الوليد الباجي وأبي المعالي الجويني وطائفة من أصحاب أبي حنيفة يوافقون ابن كلاب على قوله إن الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته وعلى قوله إن القرآن لازم لذات الله بل يظنون أن هذا قول السلف قول أحمد بن حنبل ومالك والشافعي و سائر السلف الذين يقولون القرآن غير مخلوق حتى إن من سلك مسلك السالمية من هؤلاء كالقاضي و ابن عقيل و ابن الزاغوني يصرحون بأن مذهب أحمد أن القرآن قديم وأنه حروف وأصوات وأحمد بن حنبل وغيره من الأئمة الأربعة لم يقولوا هذا قط و لا ناظروا عليه و لكنهم و غيرهم من اتباع الأئمة الأربعة لم يعرفوا أقوالهم في بعض المسائل ولكن الذين ظنوا أن قول ابن كلاب وأتباعه هو مذهب السلف ومن أن القرآن غير مخلوق هم الذين صاروا يقولون إن كلام الله

بعضه أفضل إنما يجيء على قول أهل البدع الجهمية والمعتزلة كما صار يقول ذلك طوائف من أتباع الأئمة كما سنذكره من أقوال بعض أصحاب مالك والشافعي و لم يعلموا أن السلف لم يقل أحد منهم بهذا بل أنكروا على ابن كلاب هذا الأصل وأمر أحمد بن حنبل وغيره بهجر الكلابية على هذا الأصل حتى هجر الحارث المحاسبي لأنه كان صاحب ابن كلاب وكان قد وافقه على هذا الأصل ثم روى عنه أنه رجع عن ذلك وكان أحمد يحذر عن الكلابية وكان قد وقع بين أبي برك بن خزيمة الملقب بإمام الأئمة وبين بعض أصحابه مشاجرة على هذا الأصل لأنهم كانوا يقولون بقول ابن كلاب وقد ذكر قصتهم الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في تاريخ نيسابور وبسط الكلام على هذا الأصل له موضع آخر و إنما نبهنا على المآخذ التي تعرف بها حقائق الأقوال فصل وفي الجملة فدلالة النصوص النبوية والآثار السلفية ولأحكام الشرعية والحجج العقلية على أن كلام الله بعضه أفضل من بعض هو من الدلالات الظاهرة المشهورة وأيضا فإن القرآن وإن كان كله كلام الله وكذلك التوراة والإنجيل والأحاديث الإلهية التي يحكيها الرسول عن الله تبارك وتعالى كقوله يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا الحديث وكقوله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و أمثال ذلك هي و إن إشتراك في كونها كلام الله فمعلوم أن الكلام له نسبتان نسبة إلى المتكلم به ونسبة إلى المتكلم فيه فهو يتفاضل باعتبار النسبتين و باعتبار نفسه أيضا مثل الكلام الخبري له نسبتان نسبة إلى المتكلم المخبر ونسبة إلى المخبر عنه المتكلم فيه فكل هو الله أحد و ثبت يدا أبي لهب كلاهما كلام الله و هما مشتركان من هذه الجهة لكنهما متفاضلان من جهة المتكلم فيه المخبر عنه فهذه كلام الله و خبره الذي يخبر به عن نفسه و صفته التي يصف بها نفسه و كلامه الذي يتكلم به عن نفسه و هذه كلام الله الذي يتكلم به عن بعض خلقه و يخبر به عنه و يصف به حاله و هما في هذه الجهة متفاضلان بحسب تفاضل المعنى المقصود بالكلامين ألا ترى أن المخلوق يتكلم بكلام هو كله كلامه لكن كلامه الذي يذكر به ربه أعظم من كلامه الذي يذكر به بعض المخلوقات و الجميع كلامه فإشتراك الكلامين بالنسبة إلى المتكلم لا يمنع تفاضلهما بالنسبة إلى المتكلم فيه سواء كانت النسبتان أو إحداهما توجب التفضيل أو لا توجهه فكلام الأنبياء ثم العلماء و الخطباء و الشعراء بعضه أفضل من بعض و إن كان المتكلم و احدا و كذلك كلام الملائكة و الجن و سواء أريد بالكلام المعاني فقط أو الألفاظ فقط أو كلاهما أو كل منهما فلا ريب في تفضل الألفاظ و المعاني من المتكلم الواحد فدل ذلك على أن مجرد إتفاق الكلامين في أن المتكلم بهما و احد لا يوجب تماثلهما من سائر الجهات فتفاضل الكلام من جهة المتكلم فيه سواء كن خبرا أو إنشاء أمر معلوم بالفطرة و الشرعة فليس الخبر المتضمن للحمد لله و الثناء عليه بأسمائه الحسنى كالخبر المتضمن لذكر أبي لهب و فرعون و إبليس و إن كان هذا كلاما عظيما معظما تكلم الله به و كذلك ليس الأمر بالتوحيد و الإيمان بالله و رسوله و غير ذلك من أصول الدين الذي أمرت به الشرائع كلها و غير ذلك مما يتضمن الأمر بالمأمورات العظيمة و النهي عن الشرك و قتل النفس و الزنا و نحو ذلك مما حرّمته الشرائع كلها و ما يحصل معه فساد عظيم كالأمر بلعق الأصابع و إمطة الأذى عن اللقمة الساقطة و النهي عن القران في التمر و لو كان لأمران و اجبين فليس الأمر بالإيمان بالله و رسوله كالأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد و الأمر بانفاق على الحامل و إبتائها أجرها إذا أرضعت و لهذا ذهب جمهور الفقهاء إلى تفاضل أنواع الإيجاب و التحريم و قالوا إن إيجاب أحد الفعلين قد يكون أبلغ من إيجاب الآخر و تحريمه أشد من تحريم الآخر فهذا أعظم إيجابا و هذا أعظم تحريما و لكن طائفة أهل من الكلام نازعوا في ذلك كإبن عقيل و غيره فقالوا التفاضل ليس في نفس الإيجاب و التحريم لكن في متعلق ذلك و هو كثرة الثواب و العقاب و الجمهور يقولون بل التفاضل في الأمرين و التفاضل في المسببات دليل على التفاضل في الأسباب و كون أحد الفعلين ثوابه أعظم و عقابه

أعظم دليل على أن الأمر به و النهي عنه أوكد و كون أحد الأمرين و النهيين مخصوصا بالتوكيد دون الثاني مما لا يستريب فيه عاقل و لو تساويا من كل و جه لإمتنع الإختصاص بتوكيد أو غيره من أسباب الترجيح فإن التسوية و التفضيل متضادان و جمهور أئمة الفقهاء على التفاضل فى الإيجاب و التحريم و إطلاق ذلك هو قول جماهير المتأخرين من أصحاب الأئمة الأربعة و هو قول القاضي أبي يعلى و أبي الخطاب و القاضي يعقوب البرزيني و عبدالرحمن الحلوانى و أبى الحسن بن الزاغونى و غيرهم لكن من هؤلاء من يفسر التفاضل بتفاضل الثواب و العقاب و نحو ذلك مما لا ينازع فيه النفاة و التحقيق أن نفس المحبة و الرضا و البغض و الإرادة و الكرامة و الطلب و الإقتضاء و نحو ذلك من المعانى تتفاضل و تتفاضل الألفاظ الدالة عليها و نفس حب العباد لربهم يتفاضل كما قال تعالى { وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة 165 و نفس حب الله لهم يتفاضل أيضا فإن الخليلين إبراهيم و محمدا أحب إليه ممن سواهما و بعض الأعمال أحب إلى الله من بعض و القول بأن هذا الفعل أحب إلي من هذا مشهور و مستفيض فى الآثار النبوية و كلام خير البرية كقول بعض الصحابة لو علمنا أي الأعمال أحب إلى الله لفضلناه فأنزل الله سورة الصف و هو مشهور ثابت رواه الترمذي و غيره و كون هذا أحب إلى الله من هذا هو داخل فى تفضيل بعض الأعمال و بعض الأشخاص على بعض و بعض الأمكنة و الأزمنة على بعض و قد قال النبى صلى الله عليه و سلم لمكة و الله إنك لخير أرض الله و أحب أرض الله إلى الله و لولا أن قومي أخرجوني منك لما خرجت قال الترمذي حديث حسن صحيح رواه من حديث عبدالله بن عدي بن الحمراء و كذلك تفضيل حبه و بغضه على حب غيره و بغضه كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال لا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه و لا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث الرسل مبشرين و منذرين و قال لا أحد أغير من الله و هذا فى الصحيحين و قال تعالى { لَمَقُتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ } غافر 10 الآية و من المعلوم بالإضطرار تفاضل المأمورات فبعضها أفضل من بعض و بعض المنهيات شر من بعض و حينئذ فطلب الأفضل يكون فى نفسه أكمل من طلب المفضول و الطالب إذا كان حكيما يكون طلبه لهذا أوكد ففي الجملة من المستقر فى فطر العقلاء أن كلا من الخبر و الأمر يلحقهما التفاضل من جهة المخبر عنه و المأمور به فإذا كان المخبر به أكمل و أفضل كان الخبر به أفضل و إذا كان المأمور به أفضل كان المأمور به أفضل و لهذا كان الخبر بما فيه نجات النفوس من العذاب و حصول السعادة الأبدية أفضل من الخبر بما فيه نيل منزلة أو حصول دراهم و الرؤيا التى تتضمن أفضل الخبرين أعظم من الرؤيا التى تتضمن أدناهما و هذا أمر مستقر فى فطر العقلاء قاطبة و إذا قدر أميران أمر أحدهما بعدل عام عمر به البلاد و دفع به الفساد كان هذا الأمر أعظم من أمر أمير

يعدل بين خصمين فى ميراث بعض الأموات المجلد و أيضا فالخبر يتضمن العلم بالمخبر به و الأمر يتضمن طلبا و إرادة للمأمور به و إن لم يكن ذلك إرادة فعل الأمر و الله تعالى أمر العباد بما أمرهم به و لكن أعان أهل الطاعة فصار مريدا لأن يخلق أفعالهم و لم يعن أهل المعصية فلم يرد أن يخلق فعالهم فهذه الإرادة الخلقية القدرية لا تستلزم الأمر و اما الإرادة بمعنى أنه يجب فعل ما أمر به و يرضاه إذا فعل و يريد من المأمور أن يفعله من حيث هو مأمور فهذه لا بد منها فى الأمر و لهذا أثبت الله هذه الإرادة فى الأمر دون الأولى و لكن فى الناس من غلط فنفى الإرادة مطلقا و كلا الفريقين لم يميز بين الإرادة الخلقية و الإرادة الأمرية و القرآن فرق بين الإرادتين فقال فى الأولى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام 125 و قال نوح و { وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ

{ يُغْوِيكُمْ } هود 34 و قال { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَّاكُمْ لَمَّا افْتَنَّاكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } البقرة 253 و قال { وَأُولَآئِكَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ } الكهف 39 و لهذا قال المسلمون ما شاء الله كان و ما لم يشا لم يكن و قال في الثانية { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } البقرة 185 و قال { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } الأحزاب 33 و قال { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } المائدة 6 و قال { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } 26 { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا } 27 { يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا } 28 { النساء 26- 28 و هذا مبسوط في موضع آخر و المقصود هنا أنه لا بد في الأمر من طلب و إستدعاء و إقتضاء ن سواء قيل إن هناك إرادة شرعية و أنه لا إرادة للرب متعلقة بأفعال لعباد سواها كما تقوله المعتزلة و نحوهم من القدرية أو قيل لا إرادة للرب إلا الإرادة الخلقية القدرية التي يقال فيها ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن و أن إرادته عين نفس محبته و رضاه و أن إرادته و محبته و رضاه متعلقة بكل ما يوجد من إيمان و كفر و لا تتعلق بما لا يوجد سواء كن إيماناً أو كفراً و أنه ليس للعبد قدرة لها أثر في وجود مقدوره و ليس في المخلوقات قوى و أسباب يخلق بها و لا الله حكمة يخلق و يامر لأجلها كما يقول هذا و ما يشبهه جهم بن صفوان رأس لجبرية هو و من و افقه على ذلك أو بعضه من طوائف أهل الكلام و بعض متأخري الفقهاء و غيرهم المثبتين للقدر على هذه الطريقة لا على طريقة السلف و الأئمة كأبي الحسن و غيره فإن هؤلاء ناقضوا القدرية المعتزلة مناقضة أجاتهم إلى إنكار حقيقة الأمر و النهي و الوعد و الوعيد و إن كان من يقول ببعض ذلك يتناقض و قد يثبت أحدهم من ذلك مما لا حقيقة له في المعنى و أما السلف و أئمة الفقهاء و جمهور المسلمين فيثبتون الخلق و الأمر و الإرادة الخلقية القدرية الشاملة لكل حادث و الإرادة الأمرية الشرعية المتناولة لكل ما يحبه الله و يرضاه لعباده و هو ما أمرت به الرسل و هو ما ينفع العباد و يصلحهم و يكون له العاقبة الحميدة النافعة في المعاد الدافعة للفساد فهذه الإرادة الأمرية الشرعية متعلقة بالهية المتضمنة لربوبيته كما أن تلك الإرادة الخلقية القدرية متعلقة بربوبيته و لهذا كان من نظر على هذه فقط و راعى هذه الخلقية الكونية القدرية دون تلك يكون له بداية بلا نهاية فيكون من الأخسرين أعمالاً يحصل لهم بعض مطالبهم في الدنيا لإستعانتهم بالله إذ شهدوا ربوبيته و لا خلاق لهم في الآخرة إذ لم يعبدوا الله مخلصين له الدين و قد وقع في هذا طوائف من أهل التصوف و الكلام و من نظر إلى الحقيقة الشرعية الأمرية دون ذلك فإنه قد يكون له عاقبة حميدة و قد يراعى الأمر لكنه يكون عاجز مخذولاً حيث لم يشهد ربوبية الله و فقره إليه ليكون متوكلاً عليه برياً من الحول و القوة إلا به فهذا قد يقصد أن يعبد و لا يقصد حقيقة الإستعانة به و هي حال القدرية من المعتزلة و نحوهم الذين يقرون أن الله ليس خالقاً أفعال العباد و لا مريداً للكائنات و لهذا قال أبو سليمان الداراني إنما يعجب بفعله القدري لأنه لا يرى أنه هو الخالق لفعله فأما أهل السنة الذين

يقرون أن الله خالق أفعالهم و أن الله المنة عليهم في ذلك فكيف يعجبون بها أو كما قال و الأول قد يقصد أن يستعينه و يسأله و يتوكل عليه و يبرأ من الحول و القوة إلا به و لكن لا يقصد أن يعبد بفعله ما أمر به و ترك ما نهى عنه على ألسن رسله و لا يشهد أن الله يحب أن يعبد و يطاع و أنه يفرح بتوبة التائبين و يحب المتقين و يغضب على الكفار و المنافقين بل ينسلخ من الدين أو بعضه لا سيما في نهاية أمره و هذه الحال إن طردها صاحبها كان شراً من حال المعتزلة القدرية بل إن

طردها طرد حقيقيا أخرجته من الدين خروج الشعرة من العجين و هي حال المشركين و أما من هداه الله فإنه يحقق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 و يعلم أن كل عمل لا يراد به و جه الله و لا يوافق أمره فهو مردود على صاحبه و كل قاصد لم يعنه الله فهو مصدود من مآربه فإنه يشهد أن لا إله إلا الله فيعبد الله مخلصا له الدين مستعينا بالله على ذلك مؤمنا بخلقه و أمره بقدره و شرعه فيستعين الله على طاعته و يشكره عليه و يعلم أنها منة من الله عليه و يستعيز بالله من شر نفسه و سيئات عمله و يعلم أن ما أصابه من سيئة فمن نفسه مع علمه بأن كل شيء بقضاء الله و قدره و أن لله الحجة البالغة على خلقه و أن له في خلقه و أمره حكمة بالغة و رحمة سابغة و هذه الأمور أصول عظيمة لبطها موضع آخر

والمقصود هنا أن الخبر الصادق يتضمن جنس العلم و الاعتقاد و الأمر يتضمن جنس الطلب بإتفاق العقلاء ثم هل مدلول الخير جنس من المعاني غير جنس العلم و مدلول الأمر جنس من المعاني غير جنس الإرادة كما يقول ذلك طائفة من النظار مثل ابن كلاب و من و افقه أو المدلول من جنس العلم و الإرادة كما يقوله جمهور نظار أهل السنة الذين يثبتون الصفات و القدر فيقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق و يقولون إن الله خالق أفعال العباد و المعتزلة و غيرهم ممن يخالف أهل السنة في هذين الأصلين فإن هؤلاء يخالفون ابن كلاب و من و افقه في ذينك الأصلين و لهذا يقال إنه لم يوافق أحد من الطوائف على ما أحدثه من القول في الكلام و الصفات و إن كان قوله خيرا من قول المعتزلة و الجهمية المحضة و أما جمهور المسلمين من الفقهاء و أهل الحديث و الصوفية و طوائف النظار فلا يقولون بقول المعتزلة و لا الكلابية كما ذكر فقهاء الطوائف من أصحاب ابي حنيفة و مالك و الشافعي و أحمد و غيرهم في أصول الفقه فضلا عن غيرها من الكتب و المقصود هنا أن الناس متفقون على أن كلا من أنواع الخبر و الأمر لها معان سواء سمي طلبا أو إرادة أو علما أو حكما أو كلاما نفسانيا و هذه المعاني تتفاضل في نفسها فليس علمنا بالله و أسمائه كعلمنا بحال أبي لهب و ليس الطلب القائم بنا إذا أمرنا بالإيمان بالله و رسوله كالطلب القائم بنا إذا أمرنا برفع اليدين في الصلاة و الأكل باليمين و إخراج الدرهم من الزكاة فعلم بذلك أن معاني الكلام قد تتفاضل في نفسها كما قد تتماثل و تبين بذلك أن ما تضمنه الأمر و النهي من المعاني التي تدل عليها صيغة الأمر سواء سميت طلبا أو إقتضاء أو إستدعاء أو إرادة أو محبة أو رضا أو غير ذلك فإنها متفاضلة بحسب تفاضل المأمور به و ما تضمنه الخبر من أنواع العلوم الإعتقادات الأحكام النفسانية فهي متفاضلة في نفسها بحسب تفاضل المخبر عنه فهذا نوع من تفاضل الكلام من جهة المتكلم فيه و إن كان المتكلم به و احدا و هو أيضا متفاضل من جهة المتكلم به و إن كان المتكلم فيه و احدا كما قال تعالى {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذِنِهِ مَا يَشَاءُ} الشورى 51 و معلوم أن تكليمه من و راء حجاب أفضل من تكليمه بالإيحاء و بإرسال رسول و لهذا كان من فضائل موسى عليه السلام أن الله كلمه تكليما و قال {إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي} الأعراف 144 و قال {تَلَّكَ الرَّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ} البقرة 253 و الذي يجد الناس من أنفسهم أن الشخص الواحد تتفاضل أحواله

في أنواع الكلام بل و في الكلام الواحد يتفاضل ما يقوم بقلبه من المعاني و ما يقوم بلسانه من الألفاظ بحيث قد يكون إذا كان طالبا هو أشد رغبة و محبة و طلبا لأحد الأمرين منه للآخر و يكون صوته به أقوى و لفظه به أفصح و حاله في الطلب أقوى و أشد تأثيرا و لهذا يكون للكلمة لواحدة من الموعدة بل للاية الواحدة إذا سمعت من اثنين من ظهور التفاضل ما لا يخفى على عاقل و الأمر في

ذلك أظهر و أشهر من أن يحتاج إلى تمثيل و كذلك فى الخبر قد يقوم بقلبه من المعرفة و العلم و تصور المعلوم و شهود القلب إياه باللسان من حسن التعبير عنه لفظا و صوتا ما لا يقاربه ما يقوم بالقلب و اللسان إذا أخبر عن غيره فهذا نوع إشارة إلى قول من يقول بتفضيل بعض كلام الله على بعض موافقا لما دل عليه الكتاب و السنة و كلام السلف و الأئمة و الطائفة الثانية تقول إن كلام الله لا يفضل بعضه على بعض ثم لهؤلاء فى تأويل النصوص الواردة فى التفضيل قولان أحدهما أنه إنما يقع التفاضل فى متعلقه مثل كون بعضه أنفع للناس من بعض لكون الثواب عليه أكثر أو العمل به أخف مع التماثل فى الأجر و تأولوا قوله { نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا } البقرة 106 أي نأت بخير منها لكم لا أنها فى نفسها خير من تلك و هذا قول طائفة من المفسرين كمحمد بن جرير الطبري قال نأت بحكم خير لكم من حكم الآية المنسوخة إما فى العاجل لخفته

عليكم وإما فى الآخرة لعظم ثوابه من أجل مشقة حمله قال و المراد ما ننسخ من حكم آية كقوله { وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ } البقرة 93 أي حبه قال و دل على أن ذلك كذلك قوله { نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا } البقرة 106 و غير جائز أن يكون من القرآن شيء خيرا من شيء لأن جميعه كلام الله و لا يجوز فى صفات الله تعالى أن يقال بعضها أفضل من بعض أو بعضها خير من بعض و طرد ذلك فى أسماء الله فمنع أن يكون بعض أسمائه أعظم أو أفضل أو أكبر من بعض و قال معنى الإسم الأعظم الأعظم العظيم و كلها سواء فى العظمة و إنما يتفاضل حال الناس حين الدعاء فيكون الأعظم بحسب حال الدعاء لا أنه فى نفسه أعظم و هذا القول الذى قاله فى أسماء نظير القول الثانى فى تفضيل بعض كلام الله على بعض فإن القول الثانى لمن منع تفضيله أن المراد يكون هذا أفضل أو خيرا كونه فاضلا فى نفسه لا أنه أفضل من غيره و هذا القول يحكى عن أبى الحسن الأشعري و من و افقه قالوا إن معنى ذلك أنه عظيم فاضل و قالوا مقتضى الأفضل تقصير المفضل عنه و كلام الله لا يتبعض و هذا يقولونه فى الكلام لأنه و احد بالعين عندهم يمتنع فيه تماثل أو تفاضل و أما فى الصفات بعضها على بعض فلا يمتنع التباين و لا يقولون هذا فى القرآن العربى فإن القرآن العربى عندهم مخلوق و ليس هو كلام الله على قول الجمهور منهم قالوا لأن الكلام يمتنع قيامه بغير المتكلم كسائر الصفات و القرآن العربى يمتنع عندهم قيامه بذات الله تعالى و لو جوزوا أن يكون كلام الله قائما بغيره لبطل أصلهم الذى إتفقوا عليه هم و سائر أهل السنة و ردوا به على المعتزلة فى قولهم إن القرآن مخلوق و هؤلاء يسلمون أن القرآن العربى بعضه أفضل من بعض لأنه مخلوق عندهم و لكن ليس هو كلام الله عند جماهيرهم و بعض متأخريهم يقول إن لفظ كلام الله يقع بالإشتراك على المعنى القائم بالنفس و على الكلام العربى المخلوق الدال عليه و أما كلام الله الذى ليس بمخلوق عندهم فهو ذلك المعنى و هو الذى يمتنع تفاضله عندهم و أصل هؤلاء أن كلام الله هو المعانى بل هو المعنى الواحد فقط و أن معانى كتاب الله هي شيء و احد لا يتعدد و لا يتبعض فمعنى آية الكرسي و آية الدين و الفاتحة و قل هو الله أحد و تبت و معنى التوراة و الإنجيل و كل حديث إلهي و كل ما يكلم به الرب عباده يوم القيامة و كل ما يكلم به الملائكة و الأنبياء إنما هي معنى و احد بالعين لا بالنوع و لا يتعدد و لا يتبعض و أن القرآن العربى ليس هو كلام الله بل كلام غيره جبريل أو محمد أو مخلوق من مخلوقاته عبر به عن ذلك الواحد و ذلك الواحد هو الأمر بكل ما أمر به و النهى عن كل ما نهى عنه و الإخبار بكل ما خبر به و أن الأمر و النهى و الخبر ليست أنواعا للكلام و أقساما له فإن الواحد بالعين لا يقبل التنوع و التقسيم بخلاف الواحد بالنوع فإنه يقبل لتنوع و التقسيم و إنما هي صفات لذلك الواحد بالعين و هي صفات إضافية له فاذا تعلق بما يطلب من أفعال العبد كان أمرا و إذا تعلق بما ينهى عنه كان نهيا و إذا تعلق بما يخبر عنه كان خبرا

و جمهور العقلاء يقولون فساد هذا معلوم بالاضطرار فإننا نعلم أن معانى قل هو الله أحد ليست هي معانى تبت يد أبي لهب و لامعانى آية الدين معانى آية الكرسي و لا معانى الخبر عن صفات الله هي معانى الخبر عن مخلوقات الله و أن تعلق ذلك المعنى بالحقائق المخبر عنها و الأفعال التي تعلق بها الأمر و النهي إن كان أمرا و جوديا فلا بد له من محل فإن قام بذات الله فقد تعددت معانى الكلام القائمة بذاته و إن قام بذات غيره كان صفة لذلك الغير لا لله و إن قام لا بمحل كان ممتنعا فإن المعانى لا تقوم بأنفسها و إن كان تعلق ذلك المعنى بالحقائق أمرا عدميا لم يكن هناك ما يميز بين الخبر و الأمر و النهي بل لا يميز بين خبر الله عن نفسه و عن قوم نوح و عاد و إن كان المعنى الواحد لا تعدد فيه فضلا عن أن يمتاز بعضه عن بعض و الحقائق المخبر عنها و المأمور بها و المنهى عنها لا تكون بأنفسها مخبرا بها و مأمورا بها و منهيها عنها بل الخبر عنها و الأمر بها و النهي عنها هو غير ذواتها فإذا لم يكن هنا أمر موجود غير ذلك المعنى الذي لا إمتياز فيه و لا تعدد و غير المخلوقات التي لا تميز بين الأمر و النهي و الخبر لم يكن هنا ما يميز بين النهي و الخبر و لا ما يجعل معانى آية الضوء غير معانى آية الدين فإن الحروف المخلوقة الدالة على ذلك المعنى إن لم تدل إلا عليه فلا تعدد فيه و لا تنويع و إن دلت على التعلقات التي هي عديمة فالعدم ليس بشيء حتى يكون أمرا و نهيا و خبرا و ليس عند هؤلاء إلا ذلك المعنى و تعلقه بالحقائق المخبر عنها و المأمور بها و نفس القرآن العربي المخلوق عندهم هو الدال على ذلك المعنى فالمدلول إن كان هو ذلك المعنى فلا يتميز فيه أمر عن خبر و لا أمر بصلاة عن أمر بزكاة و لا نهى عن كفر عن إخبار بتوحيد و إن كانت التعلقات عديمة فالمعدوم ليس بشيء و لا يكون العدم أمرا و نهيا و خبرا و لا يكون مدلول التوراة و الإنجيل و القرآن و سائر كتب الله أمورا عدمية لا و جود لها و لا تكون الأمور العدمية التي بها وجبت الصلاة و حرم الظلم و لا يكون المعنى الواحد بتلك الأمور العدمية إلا صفات إضافية و هي من معنى السلبية فإنها إن لم تكن سلب أمر موجود فهي تعلق ليس بموجود فحقيقة الأمر على قول هؤلاء أنه ليس لله كلام لا معان و لا حرف إلا بمعنى و احد لا حقيقة له موجودة و لا معلومة و من حجة هؤلاء أنه إذا قيل بعضه أفضل من بعض كان المفضل ناقصا عن الفاضل و صفات الله كاملة لا نقص فيها و القرآن من صفاته قال هؤلاء صفات الله كلها متوافرة في الكمال متناهية إلى غاية الكمال لا يلحق شيء منها نقص بحال ثم لما إعتقد هؤلاء أن التفاضل من صفات الله ممتنع ظنوا أن القول بتفضيل بعض كلامه على بعض لا يمكن إلا على قول الجهمية من المعتزلة و غيرهم القائلين بأنه مخلوق فإنه إذا قيل إنه مخلوق أمكن القول بتفضيل بعض المخلوقات على بعض فيجوز أن يكون بعضه أفضل من بعض قالوا و أما على قول أهل السنة و الجماعة الذين أجمعوا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق فيمتنع أن يقع التفاضل في صفات الله القائمة بذاته و لأجل هذا الإعتقاد صار من يعتقده يذكر إجماع أهل السنة على إمتناع التفضيل في القرآن كما قال أبو عبدالله بن الدراج في مصنف صنّفه في هذه المسألة قال أجمع أهل السنة على أن ما ورد في الشرع مما ظاهره المفاضلة بين أي القرآن و سوره ليس المراد بها تفضيل ذوات بعضها على بعض و إذ هو كله كلام الله و صفة من صفاته بل هو كله لله فاضل كسائر صفاته الواجب لها نعت الكمال و هذا النقل للإجماع هو بحسب ما ظنه لازما لأهل السنة فلما علم أنهم يقولون القرآن كلام الله ليس بمخلوق و ظن هو أن المفاضلة إنما تقع في المخلوقات لا في الصفات قال ما قال و إلا فلا ينقل عن أحد من السلف و الأئمة أنه أنكر فضل كلام الله بعضه على بعض لا في نفسه و لا في لوازمه و متعلقاته فضلا عن أن يكون هذا إجماعا و ليس هو لازما لإبن كلاب و من وافقه كالأشعري و أتباعه فإن هؤلاء يجوزون و قوع المفاضلة في القرآن العربي و هو مخلوق عندهم و هذا المخلوق يسمى كتاب الله و المعنى القديم يسمى كلام الله و لفظ القرآن يراد به عندهم ذلك

المعنى القديم و القرآن العربى المخلوق و حينئذ فهم هم يتأولون ما و رد من تفضيل بعض القرآن على بعض على القرآن المخلوق عندهم وإنما القول المتواتر عن أئمة السلف أنهم قالوا القرآن كلام الله غير مخلوق و أنهم أنكروا مقالة الجهمية الذين جعلوا القرآن مخلوقا منفصلا عن الله بل كفروا من قال ذلك و الكتب الموجودة فيها ألفاظهم بأسانيدهم و غير أسانيدهم كثيرة مثل كتاب الرد على الجهمية للإمام أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم و الرد على الجهمية لعبدالله بن محمد الجعفى شيخ البخارى و الرد على الجهمية للحكم بن معبد الخزاعي و كتاب السنة لعبدالله بن أحمد حنبل و السنة لحنبل ابن عم الإمام أحمد و السنة لأبى داود السجستاني و السنة للأثرم و السنة لأبى بكر الخلال و السنة و الرد على أهل الأهواء لخشيش بن أصرم و الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي و نقض عثمان ابن سعيد على الجهمي الكاذب العنيد فيما إفتري على الله في التوحيد و كتاب التوحيد لإبن خزيمة و السنة للطبرانى و لأبى الشيخ الأصبهاني و شرح أصول السنة لأبى القاسم اللالكائي و الإبانة لأبى عبدالله بن بطة و كتب أبى عبدالله بن منده و السنة لأبى ذر الهروي و الأسماء و الصفات للبيهقي و الأصول لأبى عمر الطلمنكي و الفاروق لأبى إسماعيل الأنصاري و الحجة لأبى القاسم التيمي إلى غير ذلك من المصنفات التى يطول تعدادها التى يذكر مصنفوها العلماء الثقات مذاهب السلف بالأسانيد الثابتة عنهم بألفاظهم الكثيرة المتواترة التى تعرف منها أقوالهم مع أنه من حين محنة الجهمية لأهل السنة التى جرت فى زمن أحمد بن حنبل لما صبر فيها لإمام أحمد و قام بإظهار السنة و الصبر على محنة الجهمية حتى نصر الله الإسلام و السنة و أطفأ نار تلك الفتنة ظهر فى ديار الإسلام و إنتشر بين الخاص و العام أن مذهب أهل السنة و الحديث المتبعين للسلف من الصحابة و التابعين أن القرآن كلام الله غير مخلوق و أن الذين أحدثوا فى الإسلام القول بأن القرآن مخلوق هم الجعد بن درهم و الجهم بن صفوان و من إتبعه من المعتزلة و غيرهم من أصناف الجهمية لم يقل هذا القول أحد من الصحابة و لا التابعين لهم بإحسان فهذا القول هو لقول المعروف عن أهل السنة و الجماعة و هو القول بأن القرآن كلام الله و هو غير مخلوق أما كونه لا يفضل بعضه على بعض فهذا القول لم ينقل عن أحد من سلف الأمة و أئمة السنة الذين كانوا أئمة المحنة كأحمد بن حنبل و أمثاله و لا عن أحد قبلهم و لو قدر أنه نقل عن عدد من أئمة السنة لم يجز أن يجعل ذلك إجماعا منهم فكيف إذا لم ينقل عن أحد منهم و إنما هذا نقل لما يظنه الناقل لازما لمذهبهم فأما كان مذهب أهل السنة أن القرآن من صفات الله لا من مخلوقات الله و ظن هذا الناقل أن التفاضل يمتنع في صفات الخالق نقل إمتناع التفاضل عنهم بناء على هذا التلازم و لكن يقال له أما المقدمة الأولى فمنقوله عنه بلا ريب و أما المقدمة الثانية و هي ان صفات الرب لا تتفاضل فهل يمكنك أن تنتقل عن حد من السلف قولا بذلك فضلا عن أن تنتقل إجماعهم على ذلك ما علمت أحدا يمكنه أن يثبت عن أحد من السلف أنه قال ما يدل على هذا المعنى لا بهذا اللفظ و لا بغيره فضلا عن أن يكون هذا إجماعا و لكن إن كان قال قائل ذلك و لم يبلغنا قوله فانه أعلم لكن الذي أقطع به و يقطع به كل من له خبرة بكلام السلف أن القول بهذا لم يكن مشهورا بين السلف و لا قاله و احد و إشتهر قوله عند الباقيين فسكتوا عنه و لا هو معروف فى الكتب التى نقل فيها ألفاظهم بأعيانها بل المنقول الثابت عنهم أو عن كثير منهم يدل على أنهم كانوا يرون تفاضل صفات الله تعالى و هكذا من قال من أصحاب مالك و الشافعي أو أحمد عن أهل السنة أن القرآن لا يفضل بعضه على بعض فإنما مستندهم أن أهل السنة متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق و أن كلامه من صفاته القائمة بنفسه ليس من مخلوقاته و هذا أيضا صحيح عن أهل السنة ثم ظنوا أن التفاضل إنما يقع في المخلوق لا فى الصفات و هذا الظن لم ينقلوه عن أحد من أئمة الإسلام كمالك و الشافعي و

أحمد و أبي حنيفة و الثوري و الأوزاعي و لا من قبل هؤلاء و لهذا شنع هؤلاء على من ظن فضل بعضه على بعض كما دلت عليه النصوص و الآثار لظنهم أن ذلك مستلزم لخلاف مذهب أهل السنة كما قال أبو عبدالله بن المرابط في الكلام على حديث البخاري في رده لتأويل من تأول هذا الحديث على أن هذه السورة إذا عدلت بثلاث القرآن أنها تفضل الربع منه و خمسه و ما دون الثلث فهو التفاضل في كتاب الله تعالى و هو صفة من صفات الله جل جلاله و قال فهذا لولا عذر الجهالة لحكم على قائله بالكفر إذ لا يصح التفاضل إلا في المخلوقات إذ صفاته كلها فاضلة في غاية الفضيلة و نهاية العلو و الكرامة فمن تنقص شيئاً منه عن سائرهما فقد ألد فيها إلا تسمعه منع ذلك يقوله تعالى {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} الحجر 91 قال و قد أجمع أهل السنة على أن القرآن صفة من صفات الله لا من صفة خلقه قال و إنما أوقعهم في تأويل ذلك قوله تعالى { نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا } البقرة 106 و لا يخلو معنى ذلك من أحد و جهين إما أن تكون الناسخة خيراً من المنسوخة في ذاتها و إما أن تكون خيراً منها لمن تعبد بها إذ محال أن يتفاضل القرآن في ذاته على ما ذهب إليه أهل السنة و الإستقامة إذ كل من عند الله لأن القرآن العزيز صفة الله و أسماء الله و صفاته كلها متوافرة في الكمال متناهية إلى غاية التمام لا يلحق شيئاً منها نقص بحال فلما إستحال أن تكون آية خيراً من آية في ذاتها علمنا أن المراد بخير منها إنما هو للمتعبدين بها لم ينقل عباده من تخفيف إلى تثقيل و لكنه نقلهم بالنسخ من تحريم إلى تحليل و من إيجاب إلى تخيير و من تطهير إلى تطهير و الشاهد لنا قوله { يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا } النساء 28 فيقال أما قول القائل لولا عذر الجهالة لحكم على مثبت المفاضلة بالكفر فهم يقابلونه بمثل ذلك و حجتهم أقوى و ذلك لأن الكفر حكم شرعي و إنما يثبت بالأدلة الشرعية و من أنكر شيئاً لم يدل عليه الشرع بل علم بمجرد العقل لم يكن كافر و إنما الكافر من أنكر ما جاء به الرسول و معلوم أنه ليس في الكتاب و السنة نص يمنع تفضيل بعض كلام الله على بعض بل و لا يمنع تفاضل صفاته

تعالى بل و لا نقل هذا النفي عن أحد من الصحابة و التابعين لهم بإحسان و لا عن أئمة المسلمين الذين لهم لسان صدق في الأمة بحيث جعلوا أعلاماً للسنة و أئمة للأمة و أما تفضيل بعض كلام الله على بعض بل تفضيل بعض صفاته على بعض فدلالة الكتاب و السنة و الأحكام الشرعية و الآثار السلفية كثيرة على ذلك فلو قدر أن الحق في نفس الأمر أنها لا تتفاضل لم يكن نفي تفاضلها معلوماً إلا بالعقل لا بدليل شرعي و إذا قدر أنها تتفاضل فالدال على ذلك هو الأدلة الشرعية مع العقلية فإذا قدر أن الحق في نفس الأمر هو التفضيل لكان كفر جاحد ذلك أولى من كفر من يثبت التفضيل إذا لم يكن حقا في نفس الأمر لأن ذلك جحد موجب الأدلة الشرعية بغير دليل شرعي بل لما رآه بعقله و أخطأ فيه إذ نحن نتكلم في هذا لتقدير و معلوم أن من خالف ما جاءت به الرسل عن الله بمجرد عقله فهو أولى بالكفر ممن لم يخالف ما جاءت به الرسل عن الله و إنما خالف ما علم بالعقل إن كان ذلك حقا و نظير هذا قول بعض نفاة الصفات لما تأمل حال أصحابه و حال مثبتيها قال لا ريب أن حال هؤلاء عند الله خير من حالنا فإن هؤلاء إن كانوا مصيبين فقد نالوا الدرجات العلى و الرضوان الأكبر و إن كانوا مخطئين فإنهم يقولون نحن يا رب صدقنا ما دل عليه كتابك و سنة رسولاك إذ لم تبين لنا بالكتاب و السنة نفي الصفات كما دل كلامك على إثباتها فنحن أثبتنا ما دل عليه كلامك و كلام رسولاك فإن كان الحق في خلاف ذلك فلم يبين الرسول ما يخالف ذلك و لم يكن خلاف ذلك مما يعلم ببداهة العقول بل إن قدر أنه حق فلا يعلمه إلا الأفراد فكيف و عامة المنتهين في خلاف ذلك إلى الغاية يقرون بالحيرة و الإرتياب قال النافى و إن كنا نحن مصيبين فإنه يقال لنا أنتم قلتم شيئاً لم أمركم بقوله و طلبتم علماً لم أمركم بطلبه فالثواب إنما يكون لأهل الطاعة و أنتم لم تمتثلوا أمري قال

و إن كنا مخطئين فقد خسرنا خسرانا مبينا وهذا حال من أثبت المفاضلة في كلام الله و صفاته و من نفاها فإن المثبت معتصم بالكتاب و السنة و الآثار و معه من المعقولات الصريحة التي تبين صحة قوله و فساد قول منازعه ما لا يتوجه إليها طعن صحيح و أما النافي فليس معه آية من كتاب الله و لا حديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا قول أحد من سلف الأمة و إنما معه مجرد رأي يزعم أن عقله دل عليه و منازعه يبين أن العقل إنما دل على نقيضه و أن خطأه معلوم بصريح المعقول كما هو معلوم بصحيح المنقول و إحتجاج المحتج على نفي التفاضل بقوله {جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} {الحجر 91} في غاية الفساد فإن الآية لا تدل على هذا بوجه من الوجوه

سواء أريد بها من آمن ببعضه و كفر ببعضه أو أريد بها من عضه فقال هو سحر و شعر و نحو ذلك بل من نفي فضل قل هو الله أحد على تبت يدا أبي لهب فهو أولى بأن يكون ممن جعله عضين إن دلت الآية على هذه المسألة و ذلك أن من آمن بما وصف الله به كلامه فأقر بأنه جميعه كلام الله و علم أن كلام الله أفضل من كل كلام و أن خير الكلام كلام الله و أنه لا أحسن من الله حديثا و لا أصدق منه قیلا و أقر بما أخبر الله به و رسوله من فضل بعض كلامه كفضل فاتحة الكتاب و آية الكرسي و قل هو الله أحد و نحو ذلك بل و تفضيل يس و تبارك و الأيتين من آخر سورة البقرة بل و تفضيل البقرة و آل عمران و غير ذلك من السور و الآيات التي نطقت النصوص بفضلها و أقر بأنه كلام الله ليس منه شيء كلاما لغيره لا معانيه و لا حروفه فهو أبعد عن جعله عضين ممن لم يؤمن بما فضل الله به بعضه على بعض بل آمن بفضله من جهة المتكلم و لم يؤمن بفضله من جهة المتكلم فيه فإن هذا في الحقيقة آمن به من و جه دون و جه وكذلك من قال إنه معنى و احد و أن القرآن العربي لم يتكلم الله به بل هو مخلوق خلقه الله في الهواء أو أحدثه جبريل أو محمد فهذا أولى بأن يكون داخلا فيمن عضه القرآن و رماه بالإفك و جعل القرآن العربي كلام مخلوق إما بشر و إما ملك و إما غيرهما فمن جعل القرآن كله كلام الله ليس بمخلوق و لا هو من إحداث مخلوق لا جبريل و لا محمد و لا شيء منه بل جبريل رسول ملك و محمد رسول بشر و الله يصطفي من الملائكة رسلا و من الناس فأصطفى لكلامه الرسول الملكى فنزل به على الرسول البشري الذي إصطفاه و قد أضافه إلى كل من الرسولين لأنه بلغه و أداه لا لأنه أنشأه و ابتدأه قال تعالى { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ {19} ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ {20} مُطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٍ {21} التكوير 19-21 فهذا نعت جبريل الذي قال فيه {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيْلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} {البقرة 97} و قال { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ {193} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ {194} بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ {195} الشعراء 193-195 } و قال { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {101} قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ {102} النحل 101-102 } و قال في الآية الأخرى { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ {40} وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ {41} وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدْكُرُونَ {42} تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {43} وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ {44} لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ {45} ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ {46} فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ {47} } الحاقة 40-47 فهذه صفة محمد صلى الله عليه و سلم المجدد و أضاف القول إلى كل منهما بإسم الرسول فقال { لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } { الحاقة 40 } لأن الرسول يدل على المرسل فدل على أنه قول رسول بلغه عن مرسل لم يقل إنه لقول ملك و لا بشر بل كفر من جعله قول بشر بقوله { دَرَنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا {11} وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا {12} وَبَنِينَ شُهُودًا {13}

وَمَهَّدَتْ لَهُ تَمْهِيداً {14} ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ {15} كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً {16} سَأَرْهُقُهُ
صَعُوداً {17} إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ {18} فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ {19} ثُمَّ قَاتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ {20} ثُمَّ نَظَرَ {21} ثُمَّ
عَبَسَ وَبَسَرَ {22} ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ {23} فَقَالَ إِنَّ هَذَا لِلْأَسْحَرِ يُؤْتِرُ {24} إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ
الْبَشَرِ {25} المذثر 11-25 فمن قال إنه قول بشر أو قول مخلوق غير البشر فقد كفر و من جعله
قول رسول من البشر فقد صدق لأن الرسول ليس له فيه إلا التبليغ و الأداء كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} المائدة 67 و فى سنن أبي داود عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى
الله عليه و سلم كان يعرض نفسه على الناس فى الموسم و يقول ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ
كلام ربي فإن قریشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي و الذي إتفق عليه السلف أن القرآن كلام الله
غير مخلوق و قال غير و احد منهم منه بدأ و إليه يعود قال أحمد بن حنبل و غيره منه بدأ أي
هو المتكلم به لم يبتد من غيره كما قالت الجهمية القائلون بأن القرآن مخلوق قالوا خلقه في غيره فهو
مبتدأ من ذلك المحل المخلوق و يلزمهم أن يكون كلاما لذلك المحل المخلوق لا لله

تعال لا سيما و الجهمية كلهم يقولون بأن الله خالق أفعال العباد و هم غلاة فى الجبر و لكن المعتزلة
توافقهم على نفي الصفات و القول بخلق القرآن و تخالفهم فى القدر و الأسماء و الأحكام فإذا كان الله
خالق كل ما سواه لزمهم ان يكون كل كلام كلامه لأنه هو الذي خلقه و لذلك قال ابن عربى الطائى و
كان من غلاة هؤلاء الجهمية يقول بوحدة الوجود قال و كل كلام فى الوجود كلامه سواء علينا
نثره و نظامه و لهذا قال سليمان بن داود الهاشمي نظير أحمد بن حنبل الذي قال الشافعي ما
رأيت أعدل من رجلين أحمد بن حنبل و سليمان بن داود الهاشمي قال من قال {إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنَا} طه 14 مخلوق فهو كافر و إن كان القرآن مخلوقا كما زعموا فلم صار فرعون أولى بأن
يخلد فى النار إذ قال {أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى} النازعات 24 و زعموا أن هذا مخلوق و معنى ذلك
كون قول فرعون {أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى} النازعات 24 كلاما قائما بذات فرعون فإن كان قوله
{إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا} طه 14 كلاما خلقه فى الشجرة كانت الشجرة هي القائلة لذلك كما كان
فرعون هو القائل لذلك و حينئذ فيكون جعل الشجرة إليها أعظم كفرا من جعل فرعون إليها و الجهمية
و المعتزلة لم يقيم عندهم بذات الله لا طلب و لا إرادة و لا محبة و لا رضا و لا غضب و لا غير ذلك
مما يجعل مدلول الأصوات المخلوقة و لا قام بذاته عندهم إيجاب و إلزام و لا تحريم و حظر فلم يكن
للكلام المخلوق فى غيره معنى قائم بذاته يدل عليه ذلك المخلوق حتى يفرق بين ما خلقه فى الجمد و
ما خلقه فى الحيوان و كان مقصود السلف رضوان الله عليهم أن الله هو المتكلم بالقرآن و سائر كلامه
و أنه منه نزل لم ينزل من غيره كما قال تعالى {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ
بِالْحَقِّ} الأنعام 114 و قال تعالى {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ} النحل 102 لم يقل احد من
السلف إن القرآن قديم و إنما قالوا هو كلام الله غير مخلوق و قالوا لم يزل الله متكلم إذا شاء و متى
شاء و كيف شاء و كما شاء و لا قال أحد منهم إن الله فى الأزل نادى موسى و لا قال إن الله لم يزل
لا يزال يقول يا آدم يا نوح يا موسى يا إبليس و نحو ذلك مما أخبر أنه قال المجلد و لكن
طائفة ممن إتبع السلف إعتقدوا أنه إذا كان غير مخلوق فلا بد أن يكون قديما إذ ليس عندهم إلا هذا و
هذا و هؤلاء ينكرون أن يكون الله يتكلم بمشيئته و قدرته أو يغضب على الكفار إذا عصوه أو يرضى
عن المؤمنين إذا أطاعوه أو يفرح بتوبة التائبين إذا تابوا أو يكون نادى موسى حين أتى الشجرة و
نحو ذلك مما دل عليه الكتاب و السنة كقوله {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرَّهُوا رِضْوَانَهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} محمد 28 و قوله تعالى {فَلَمَّا أَسْفَوْنا انْتَفَقْنَا مِنْهُمْ} الزخرف 55 و قوله {فَلَمَّا
آتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى} طه 11 و قال تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

لآدَمَ {الأعراف11} و قال تعالى {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} آل عمران59 و قد أخبر أن كلماته لا نفاذ لها بقوله {لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} الكهف109 و قال تعالى {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} لقمان27 و أتباع السلف يقولون إن كلام الله قديم أي لم يزل متكلما إذا شاء لا يقولون أن نفس الكلمة المعينة قديمة كدائه لموسى و نحو ذلك لكن هؤلاء إعتقدوا أن القرآن و سائر كلام الله قديم العين و إن الله لا يتكلم بمشيئته و قدرته ثم إختلفوا فمنهم من قال القديم هو معنى و احد هو جميع معانى التوراة و الإنجيل و القرآن و أن التوراة إذا عبر عنها بالعربية صارت قرآنا و القرآن إذا عبر عنه بالعربية صار توراة قالوا و القرآن العربي لم يتكلم الله به بل إما أن يكون خلقه فى بعض الأجسام و إما أن يكون أحدثه جبريل أو محمد فيكون كلاما لذلك الرسول ترجم به عن المعنى الواحد القائم بذات الرب الذي هو جميع معانى الكلام و منهم من قال بل القرآن القديم هو حروف أو حروف و أصوات و هي قديمة أزلية قائمة بذات الرب أزلا و أبدا و هي متعاقبة فى ذاتها و ماهيتها لا فى و جودها فإن القديم لا يكون بعضه متقدما على بعض ففرقوا بين ذات الكلام و بين وجوده وجعلوا التعاقب فى ذاته لا فى وجوده كم يفرق بين وجود الأشياء بأعيانها و ماهياتها من يقول بذلك من المعتزلة و المتفلسفة وكلا الطائفتين تقول إنه إذا كلم موسى او الملائكة أو العباد يوم القيامة فإنه لا يكلمه بكلام يتكلم به بمشيئته و قدرته حين يكلمه و لكن يخلق له إدارا كما يدرك ذلك الكلام القديم اللازم لذات الله أزلا و أبدا و عندهم لم يزل ولا يزال يقول {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ {الأعراف19} و {يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ} {هود48} و {يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي} {ص75} و نحو ذلك و قد بسط الكلام على هذه الأقوال و غيرها فى مواضع و المقصود أن هذين القولين لا يقدر أحد أن ينقل و احدا منهما عن أحد من السلف أعني الصحابة و التابعين لهم بإحسان و سائر أئمة المسلمين المشهورين بالعلم و الدين الذين لهم فى الأمة لسان صدق فى زمن أحمد بن حنبل و لا زمن الشافعي و لا زمن أبي حنيفة و لا قبلهم و أول من أحدث هذا الأصل هو أبو محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب و عرف أن الحروف متعاقبة فيمتنع أن تكون قديمة الأعيان فإن المتأخر

قد سبقه غيره و القديم لا يسبقه غيره و الصوت المعين لا يبقى زمانين فكيف يكون قديما فقال بأن القديم هو المعنى ثم جعل المعنى و احدا لا يتعدد و لا يتبعض لإمتناع إختصاصه بعدد معين و إمتناع معان لا نهاية لها فى آن و احد و جعل القرآن العربي ليس هو كلام الله فلما شاع قوله و عرف جمهور المسلمين فساده شرعا و عقلا قالت طائفة أخرى ممن و اففته على مذهب السلف إن القرآن كلام الله غير مخلوق و على الأصل الذي أحدثه من القول بقدم القرآن إن القرآن قديم و هو مع ذلك الحروف المتعاقبة و الأصوات المؤلفة فصار قول هؤلاء مركبا من قول المعتزلة و قول الكلابية فإذا ناظروا المعتزلة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ناظروهم بطريقة إبن كلاب و اذا ناظرهم الكلابية على أن القرآن العربي كلام الله و أن القرآن الذي يقرأه المسلمون كلام الله ناظروهم بحجج المعتزلة و ليس شيء من هذه الأقوال قول أحد من السلف كما بسط فى غير هذا الموضع و لا قال شيئا من هذه الأقوال لا الأئمة الأربعة و لا أصحابهم الذين أدركوهم و إنما قاله ممن ينتسب إليهم بعض المتأخرين الذين تلقوها عن قائلها من أهل الكلام و لم يكن لهم خبرة لا بأقوال السلف التى دل عليها الكتاب و السنة و العقل الصريح

و لا بحقائق أقوال أهل الكلام الذي ذمه السلف و لم قالو هذا و ما الذي ألجأهم إلى هذا و قد شاع عند العامة و الخاصة أن القرآن ليس بمخلوق و القول بأنه مخلوق قول مبتدع مذموم عند السلف و الأئمة فصار من يطالع كتب الكلام التي لا يجد فيها إلا قول المعتزلة و قول من رد عليهم و إنتسب إلى السنة يظن أنه ليس في المسألة إلا هذا القول و هذا و ذاك قد عرف أنه قول مذموم عند السلف فيظن القول الآخر قول السلف كما يقع مثل ذلك في كثير من المسائل في غير هذه لا يعرف الرجل في المسألة إلا قولين أو ثلاثة فيظن الصواب و احدا منها و يكون فيها قول لم يبلغه و هو الصواب دون تلك و هذا باب و اسع في كثير من المسائل و الله يهديننا و سائر إخواننا المسلمين إلى ما يحبه و يرضاه من القول و العمل و من إجتهد بقصد طاعة الله و رسوله بحسب إجتهاده لم يكلفه الله ما يعجز عنه بل يثيبه الله على ما فعله من طاعته و يغفر ما أخطأ فيه فعجز عن معرفته المجلد فصل والنصوص و الآثار في تفضيل كلام الله بل و تفضيل بعض صفاته على بعض متعددة و قول القائل صفات الله كلها فاضلة في غاية التمام و الكمال ليس فيها نقص كلام صحيح لكن توهمه أنه إذا كان بعضها أفضل من بعض كان المفضل معيبا منقوصا خطأ منه فإن النصوص تدل على أن بعض أسمائه أفضل من بعض و لهذا يقال دعا الله بإسمه الأعظم و تدل على أن بعض صفاته أفضل من بعض و بعض أفعاله أفضل من بعض ففي الآثار ذكر إسمه العظيم و إسمه الأعظم و إسمه الكبير و الأكبر كما في السنن و رواه أحمد و ابن حبان في صحيحه عن ابن بريدة عن أبيه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم المسجد فإذا رجل يصلي يدعو اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد فقال النبي صلى الله عليه و سلم و الذي نفسي بيده لقد سألت الله بإسمه الأعظم الذي إذا سئل أعطى و إذا دعي به أجاب و عن أنس قال كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في الحلقة و رجل قائم يصلي فلما ركع و سجد تشهد و دعا فقال في دعائه اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات و الأرض يا ذا الجلال و الإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي صلى الله عليه و سلم و الذي نفسي بيده لقد دعا بإسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب و إذا سئل به أعطى و قد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال إن الله كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي و في رواية سبقت رحمتي غضبي فوصف رحمته بأنها تغلب و تسبق غضبه و هذا يدل على فضل رحمته على غضبه من جهة سبقها و غلبتها و قد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يقول في سجوده اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك و أعوذ بك منك و روى الترمذي أنه كان يقول ذلك في و تراه لكن هذا فيه نظر و قد ثبت في الصحيح و السنن و المساند من غير و جه الإستعاذة بكلماته التامات كقوله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه و عقابه و من شر عباده و من همزات الشياطين و أن يحضرون و في صحيح مسلم عن خولة أنه قال صلى الله عليه و سلم من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامة لم يضره شيء حتى يرتحل منه و في الصحيح أنه قال لعثمان بن أبي العاص قل أعوذ بعزة الله و قدرته من شر ما أجد و أحاذر و معلوم أن المستعاذ به أفضل من المستعاذ منه فقد إستعاذ برضاه من سخطه و بمعافاته من عقوبته و أما إستعاذته به منه فلا بد أن يكون بإعتبار جهتين يستعيز به بإعتبار تلك الجهة و منه بإعتبار تلك الجهة ليتغير المستعاذ به و المستعاذ منه إذ أن المستعاذ منه مخوف مرهوب منه و المستعاذ به مدعو مستجار به ملتجأ إليه و الجهة الواحدة لا تكون مطلوبة مهروبا منها لكن بإعتبار جهتين تصح كما في الحديث الذي في الصحيحين عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه و سلم علم رجلا أن يقول عن النوم اللهم أسلمت نفسي إليك و وجهت و جهي إليك و ألجأت ظهري إليك و فوضت

أمري إليك رغبة ورهبة إليك لا منجا و لا ملجأ منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت و بنبيك الذي أرسلت فبين أنه لا ينجى منه إلا هو و لا يلتجأ منه إلا إليه و أعمل الفعل الثاني لما تنازع الفعلان في العمل و معلوم أن جهة كونه منجيا غير جهة كونه منجيا منه و كذلك جهة كونه ملتجأ إليه غير كونه ملتجأ منه سواء قيل إن ذلك يتعلق بمفعولاته أو أفعاله القائمة به أو صفاته أو بذاته باعتبارين و في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن و كلنا بيده يمين الذين يعدلون في حكمهم و أهلهم و ما و لوا و قد جاء ذكر اليمين في عدة أحاديث و يذكر فيها أن كلتاهما يمين مع تفضيل اليمين قال غير و احد من العلماء لما كانت صفات المخلوقين متضمنة للنقص فكانت يسار أحدهم ناقصة في القوة ناقصة في الفعل بحيث تفعل بمياسرها كل ما يذم كما يبشر بيده اليسرى النجاسات و الأقدار بين النبي صلى الله عليه و سلم أن كلتا يمين الرب مباركة ليس فيها نقص و لا عيب بوجه من الوجوه كما في صفات المخلوقين مع أن اليمين أفضلهما كما في حديث آدم قال إخرت يمين ربي و كلتا يدي ربي يمين مباركة فإنه لا نقص في صفاته و لا ذم في أفعاله بل أفعاله كلها إما فضل و إما عدل و في الصحيحين عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه و سلم قال يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل و النهار أريتم ما أنفق منذ خلق السموات و الأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه و القسط بيده الأخرى يرفع و يخفض فبين صلى الله عليه و سلم أن الفضل بيده اليمنى و العدل بيده الأخرى و معلوم أنه مع أن كلتا يديه يمين فالفضل أعلى من العدل و هو سبحانه كل رحمة منه فضل و كل نقمة منه عدل و رحمته أفضل من نقمته و لهد كان المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن و لم يكونوا عن يده الأخرى و جعلهم عن يمين الرحمن تفضيل لهم كما فضل في القرآن أهل اليمين و أهل الميمنة على أصحاب الشمال و أصحاب المشأمة و إن كانوا إنما عذبهم بعدله و كذلك الأحاديث و الآثار جاءت بأن أهل قبضة اليمين هم أهل السعادة و أهل القبضة الأخرى هم أهل الشقاوة

و مما يبين هذا أن الشر لم يرد في أسمائه و إنما و رد في مفعولاته و لم يصف إليه إلا على سبيل العموم و أضافه إلى السبب المخلوق أو بحذف فاعله و ذلك كقوله تعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} {الزمر 62} و {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} {الفلق 2} و كأسمائه المقترنة مثل المعطى المانع الضار النافع المعز المذل الخافض الرافع و كقوله {وَإِذَا مَرَضَتْ فَهُوَ يَشْفِينِ} {الشعراء 80} و كقوله {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} {7} {الفتح 7} و كقول الجن {وَإِنَّا لَأَنْدَرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} {الجن 10} و قد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يقول في دعاء الإستفتاح و الخير بيدك و الشر ليس إليك و سواء أريد به أنه لا يضاف إليك و لا يتقرب به إليك أو قيل إن الشر إما عدم و إما من لوازم العدم و كلاهما ليس إلى الله فهذا يبين أنه سبحانه إنما يضاف إليه الخير و أسماؤه تدل على صفاته و ذلك كله خير حسن جميل ليس فيه شر و إنما وقع الشر في المخلوقات قال تعالى {نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ} {49} {وَ أَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} {50} {الحجر 49-50} و قال تعالى {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ} {المائدة 98} وقال تعالى {إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} {الأنعام 165} فجعل المغفرة و الرحمة من معاني أسمائه الحسنى التي يسمى بها نفسه فتكون المغفرة و الرحمة من صفاته و أما العقاب الذي يتصل بالعباد فهو مخلوق له و ذلك هو الأليم فلم يقل و إني أنا المعذب و لا في أسمائه الثابتة عن النبي صلى الله عليه و سلم إسم المنتقم و إنما جاء المنتقم في القرآن مقيدا كقوله {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} {السجدة 22} و

جاء معناه مضافاً إلى الله في قوله { إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ } إبراهيم 47 و هذه نكرة في سياق الإثبات و النكرة في سياق الإثبات مطلقة ليس فيها عموم على سبيل الجمع و ذلك أن الله سبحانه حكيم رحيم و قد أخبر أنه لم يخلق المخلوقات إلا بحكمته كما قال في قوله تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا } ص 27 و قال تعالى { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ } 190 { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } 191 { آل عمران 190-191 و قال تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَآعِينَ } 16 { لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَّآتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ } 17 { الانبياء 16-17 و قال و هذا يبين أن معنى قوله في سائر الآيات بالحق هو لهذا المعنى الذي يتضمن حكمته كما قال { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ } الأنعام 73 و قوله { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } الحجر 85

{ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلِ } 85 { إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ } 86 { الحجر 85-86 و بعض الناس يظن أن قوله { هُوَ الْخَلَّاقُ } الحجر 86 إشارة إلى أنه خالق أفعال العباد فلا ينبغي التشديد في الإنكار عليهم بل يصفح عنهم الصَّفْحَ الْجَمِيلَ لأجل القدر و هذا من أعظم الجهل فإنه سبحانه قد عاقب المخالفين له و لرسله و غضب عليهم و أمر بمعاقبتهم و أعد لهم من العذاب ما ينافى قول هؤلاء المعطلين لأمره و نهيه و وعده و وعيده و قوله { فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلِ } الحجر 85 تعلق بما قبله و هو قوله { وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلِ } الحجر 85 فإن لهم موعداً يجزون فيه ن كما قال تعالى في نظائر ذلك { فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } الرعد 40 { فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ } 21 { لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ } 22 { إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ } 23 { فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ } 24 { إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ } 25 { ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ } 26 { الغاشية 21-26 و قوله { فَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ } الصافات 174 و قوله { فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } الزخرف 89 ولم يعذر الله أحداً قط بالقدر و لو عذر به لكان أنبيأؤه و أوليأؤه أحق بذلك و آدم إنما حج موسى لأنه لأمه على المصيبة التي أصابت الذرية فقال له لماذا أخرجتنا و نفسك من الجنة و ما أصاب العبد من المصائب فعليه أن يسلم فيها لله و يعلم أنها مقدورة عليه كما قال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ } التغابن 11 قال علقمة و قد روى عن ابن مسعود هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى و يسلم فالعبد مأمور بالتقوى و الصبر فالتقوى فعل ما أمر به و من الصبر على ما أصابه و هذا هو صاحب العاقبة المحمودة كما قال يوسف عليه السلام { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } يوسف 90 و قال تعالى { وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } آل عمران 186 و قال { وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا } آل عمران 120 و قال { بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ } آل عمران 125 لا بد لكل عبد من أن يقع منه ما يحتاج معه إلى التوبة و الإستغفار و يبتلى بما يحتاج معه إلى الصبر فلهذا يؤمر بالصبر و الإستغفار كما قيل لأفضل الخلق { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ } غافر 55 و قد بسط الكلام في غير هذا الموضوع على مناظرة آدم و موسى فإن كثيراً من الناس حملوها على محامل مخالفة للكتاب و السنة و إجماع الأمة و منهم من كذب بالحديث لعدم فهمه له و الحديث حق يوجب

أن الإنسان إذا جرت عليه مصيبة بفعل غيره مثل أبيه أو غير أبيه لا سيما إذا كان أبوه قد تاب منها فلم يبق عليه من جهة الله تبعة كما جرى لآدم صلوات الله عليه قال تعالى { وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى } {121} ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى {122} طه 121-122 وقال { فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ } البقرة 37 و كان آدم و موسى أعلم بالله من أن يحتج أحدهما لذنبه بالقدر و يوافقه الآخر و لو كان كذلك لم يحتج آدم إلى توبة و لا أهبط من الجنة و موسى هو القائل { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } القصص 16 و هو القائل { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } الأعراف 151 و هو القائل { أَنْتَ وَلِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } الأعراف 155 و هو القائل لقومه { فَتَوَبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ } البقرة 54 فلو كان المذنب يعذر بالقدر لم يحتج إلى هذا بل كان الاحتجاج بالقدر لما حصل من موسى ملام على ما قدر عليه من المصيبة التي كتبها الله و قدرها و من الإيمان بالقدر أن يعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه و ما أخطأه لم يكن ليصيبه فالمؤمن يصبر على المصائب و يستغفر من الذنوب و المعائب و الجاهل الظالم يحتج بالقدر على ذنوبه و سيئاته و لا يعذر بالقدر من أساء إليه و لا يذكر القدر عند ما يبسره الله له من الخير فعكس القضية بل كان الواجب عليه إذا عمل حسنة أن يعلم أنها نعمة من الله هو يسرها و تفضل بها فلا يعجب بها و لا يضيفها إلى نفسه كأنه الخالق لها و إذا عمل سيئة استغفر و تاب منها و إذا أصابته مصيبة سماوية أو بفعل العباد يعلم أنها كانت مقدرة مقضية عليه و هذا مبسوط في موضعه و المراد هنا أنه سبحانه بين أنه إنما خلق المخلوقات لحكمته و هذا معنى قوله بالحق و قد نم من ظن أنه خلق ذلك باطلا و عبثا فقال { أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } المؤمنون 115 و قال { أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى } القيامة 36 و قال { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ } {190} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } آل عمران 190-191 فلا بد من جزاء العباد على أعمالهم فلهذا قيل { فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ } الحجر 85 و لله سبحانه في كل ما يخلقه حكمة يحبها و يرضاها و هو سبحانه أحسن كل شيء خلقه و أتقن كل ما صنع فما وقع من الشر الموجود في المخلوقات فقد وجد لأجل تلك الحكمة المطلوبة المحبوبة المرضية فهو من الله حسن جميل و هو سبحانه محمود عليه و له الحمد على كل حال و إن كان شرا بالنسبة إلى بعض الأشخاص و هذا موضوع عظيم قد بسط في غير هذا الموضوع فإن الناس في باب خلق الرب و أمره و لم فعل ذلك على طرفين و وسط فالقدرية من المعتزلة و غيرهم قصدوا تعظيم الرب و تنزيهه عما ظنوه قبيحا من الأفعال و ظلما فأنكروا عموم قدرته و مشيئته و لم يجعلوه خالقا لكل شيء و لا أنه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن بل قالوا يشاء ما لا يكون و يكون ما لا يشاء ثم إنهم و وضعوا لربهم شريعة فيما يجب عليه و يحرم بالقياس على أنفسهم و تكلموا في التعديل و التجويز بهذا القياس الفاسد الذي شبهوا فيه الخالق بالمخلوق فضلوا و أضلوا و قابلهم الجهمية الغلاة في الجبر فأنكروا حكمة الله و رحمته و قالوا لم يخلق لحكمة و لم يأمر بحكمة و ليس في القرآن لام كي لا في خلقه و لا في أمره و زعموا أن قوله { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ } الجاثية 13 و { خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا } البقرة 29 و قوله { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى } النجم 31 و قوله { وَلِتُكْمَلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ } البقرة 185 و قوله { لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } النساء 165 و أمثال ذلك إنما اللام فيه لام العاقبة كقوله { فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا }

{القصص8 و قول القائل لدوا للموت و ابنوا للخراب و لم يعلموا أن لام العاقبة إنما تصح ممن يكون جاهلاً بعاقبة فعله كفرعون الذي لم يكن يدري ما ينتهي إليه أمر موسى أو ممن يكون عاجزاً عن رد عاقبة فعله كعجز بني آدم عن دفع الموت عن أنفسهم و الخراب عن ديارهم فأما من هو بكل شيء عليم و على كل شيء قدير و هو مرید لكل

ما خلق فيمتنع في حقه لام العاقبة التي تتضمن نفي العلم أو نفي القدرة و أنكر هؤلاء محبة الله و رضاه لبعض الموجودات دون بعض و قالوا المحبة و الرضا هو من معنى الإردة و الله مرید لكل ما خلقه فهو راض بذلك محب له و زعموا أن ما في القرآن من نفي حبه و رضاه بالكفر و المعاصي كقوله { وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ } البقرة205 { وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ } الزمر7 محمول على عباده الذين لم يقع ذلك منهم أو أنه لم يرده دينا يثيبهم عليه و زعموا أن الله لا يحب و لا يرضي ما أمر به من العبادات إلا إذا وقع فيريده كما يريد حينئذ ما وقع من الكفر و المعاصي إلى غير ذلك من قوالهم المبسوطه في غير هذا الموضع و كثير من المتأخرين يظن أن هذا قول أهل السنة و هذا مما لم يقله أحد من سلف الأمة و أئمتها بل جميع مثبته القدر المتقدمين كانوا يفرقون بين المحبة و الرضا و بين الإرادة و لكن أبو الحسن الأشعري إتبع جهما في ذلك قال أبو المعالي الجويني و مما اختلف أهل الحق في إطلاقه و عدم إطلاقه المحبة و الرضا فصار المتقدمون إلى أنه سبحانه لا يحب الكفر و لا يرضاه و كذلك كل معصية و قال شيخنا أبو الحسن المحبة هي الإرادة نفسها و كذلك الرضا و الإصطفاء و هو سبحانه يريد الكفر و يرضاه كفرا معاقبا عليه و هو كما قال أبو المعالي فإن المتقدمين من جميع أهل السنة على ما دل عليه الكتاب و السنة من أنه سبحانه لا يرضي ما نهى عنه و لا يحبه و على ذلك قدماء أصحاب الأئمة الأربعة أصحاب أبي حنيفة و مالك و الشافعي أحمد كأبي بكر عبدالعزيز و غيره من قدمائهم و لكن من المتأخرين من سوى الجميع كما قاله أبو الحسن و هو في الأصل قول لجهم فهو الذي قال في القدر بالجبر و بما يخالف أهل السنة و انكر رحمة الله تعالى و كان يخرج إلى الجذمي فيقول أرحم الراحمين يفعل هذا فنفي أن يكون الله أرحم الراحمين و قد قال الصادق المصدوق **الله أرحم بعباده من الوالدة بولده** و هذه مسائل عظيمة ليس هذا موضع بسطها و إنما المقصود هنا التنبية على الجمل فإن كثيرا من الناس يقرأ كتباً مصنفة في أصول الدين و أصول الفقه بل في تفسير القرآن و الحديث و لا يجد فيها القول الموافق للكتاب و السنة الذي عليه سلف الأمة و أئمتها و هو الموافق لصحيح المنقول و صريح المعقول بل يجد أقوالاً كل منها فيه نوع من الفساد و التناقض فيحار ما الذي يؤمن به في هذا الباب و ما الذي جاء به الرسول و ما هو الحق و الصدق إذ لم يجد في تلك الأقول ما يحصل به ذلك و إنما الهدى فيما جاء به الرسول الذي قال الله فيه {وَإِنَّكَ لَنَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} {52} صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} {53} الشورى52-53¹

أنه إذا كانت قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن لم يلزم من ذلك أنها أفضل من الفاتحة و لا أنها يكتفى بتلاوتها ثلاث مرات عن تلاوة القرآن بل قد كره السلف أن تقرأ إذا قرئ القرآن كله إلا مرة واحدة كما كتبت في المصحف فإن القرآن يقرأ كما كتبت في المصحف لا يزداد على ذلك و لا ينقص منه و التكبير المأثور عن ابن كثير ليس هو مسندا عن النبي صلى الله عليه و سلم ولم يسنده أحد إلى النبي صلى الله عليه و سلم إلا البزي و خالف بذلك سائر من نقله فإنهم إنما نقلوه إختياراً ممن هو دون

¹مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 102-6 ref_

النبى صلى الله عليه و سلم وإنفرد هو برفعه وضعفه نقلة أهل العلم بالحديث و الرجال من علماء القراءة و علماء الحديث كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء فالمقصود أن من السنة فى القرآن أن يقرأ كما فى المصاحف و لكن إذا قرئت قل هو الله أحد مفردة تقرأ ثلاث مرات و أكثر من ذلك و من قرأها من الأجر ما يعدل ثلث أجر القرآن لكن عدل الشيء بالفتح يكون من غير جنسه كما سنذكره إن شاء الله و الثواب أجناس مختلفة كما أن الأموال أجناس مختلفة من مطعوم و مشروب و ملبوس و مسكون و نقد و غير ذلك و إذا ملك الرجل من أحد أجناس المال ما يعدل ألف دينار مثلاً لم يلزم من ذلك أن يستغنى عن سائر أجناس المال بل إذا كان عنده مال و هو طعام فهو محتاج إلى لباس و مسكن و غير ذلك و كذلك إن كان من جنس غير النقد فهو محتاج إلى غيره و إن لم يكن معه إلا النقد فهو محتاج إلى جميع الأنواع التى يحتاج إلى أنواعها و منافعها و الفاتحة فيها من المنافع ثناء و دعاء مما يحتاج الناس إليه ما لا تقوم قل هو الله أحد مقامه فى ذلك و إن كان أجرها عظيماً فذلك الأجر العظيم إنما ينتفع به صاحبه مع أجر فاتحة الكتاب و لهذا لو صلى بها و حدها بدون الفاتحة لم تصح صلاته و لو قدر أنه قرأ القرآن كله إلا الفاتحة لم تصح صلاته لأن معاني الفاتحة فيها الحوائج الأصلية التى لا بد للعباد منها و قد بسط الكلام عليها فى غير هذا الموضع و بين أن ما فى الفاتحة من الثناء و الدعاء و هو قول { اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } {7} الفاتحة 6-7 هو أفضل دعاء دعا به العبد ربه و هو أوجب دعاء دعا به العبد ربه و أنفع دعاء دعا به العبد ربه فإنه يجمع مصالح الدين و الدنيا و الآخرة و العبد دائماً محتاج إليه لا يقوم غيره مقامه فلو حصل له أجر تسعة أعشار القرآن دع ثلثه و لم يحصل له مقصود هذا الدعاء لم يقيم مقامه و لم يسد مسده و هذا كما لو قدر أن الرجل تصدق بصدقات عظيمة و جاهد جهاداً عظيماً يكون أفضل من قراءة القرآن مرات و هو لم يصل ذلك اليوم الصلوات الخمس لم يقيم ثواب هذه الأعمال مقام هذه كما لو كان عند الرجل من الذهب و الفضة و الرقيق و الحيوان و العقار أموال عظيمة و ليس عنده ما يتغذى به و يتعشى من الطعام فإنه يكون جائعاً متألماً فاسد الحال و لا يقوم مقام الطعام الذى يحتاج إليه تلك الأموال العظيمة و لهذا قال الشيخ أبو مدين رحمه الله أشرف العلوم علم التوحيد و أنفع العلم أحكام العبيد فليس الأفضل الأشرف هو الذى ينفع فى وقت بل الأنفع فى كل وقت ما يحتاج إليه العبد فى ذلك الوقت و هو فعل ما أمر الله به و ترك ما نهى الله عنه و لهذا يقال المفضول فى مكانه و زمانه أفضل من الفاضل إذ دل الشرع على أن الصلاة أفضل من القراءة و القراءة أفضل من الذكر و الذكر أفضل من الدعاء فهذا أمر مطلق و قد تحرم الصلاة فى أوقات فتكون القراءة أفضل منها فى ذلك الوقت و التسبيح فى الركوع و السجود هو المأمور به و القراءة منهى عنها و نظائر هذا كثيرة فهكذا يعلم الأمر فى فضل قل هو الله أحد و غيرها فقراءة الفاتحة فى أول الصلاة أفضل من قراءتها بل هو الواجب و الاجتزاء بها و حدها لا يمكن بل تبطل معه الصلاة و لهذا وجب التقرب بالفرائض قبل النوافل و التقرب بالنوافل إنما يكون تقرباً إذا فعلت الفرائض¹

[عد الى الفهرس](#)

¹مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 130-133 ref_

الناسخ والمنسوخ

فيتوجه الاحتجاج بهذه الآية قوله { مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا } البقرة 106 على أنه لا ينسخ القرآن إلا قرآن كما هو مذهب الشافعي و هو أشهر الروايتين عن الإمام أحمد بل هي المنصوصة عنه صريحا أن لا ينسخ القرآن إلا قرآن يجيء بعده و عليها عامة أصحابه و ذلك لأن الله قد وعد أنه لا بد للمنسوخ من بدل مماثل أو خير و وعد بأن ما أنسأه المؤمنين فهو كذلك و أن ما أخره فلم يأت و قد نزوله فهو كذلك و هذا كله يدل على أنه لا يزال عند المؤمن القرآن الذي رفع أو أخر مثله أو خير منه و لو نسخ بالسنة فإن لم يأت قرآن مثله أو خير منه فهو خلاف ما وعد الله و إن قيل بل يأتى بعد نسخه بالسنة كان بين نسخه و بين الإتيان بالبدل مدة خالية عن ذلك و هو خلاف مقصود الآية فإن مقصودها أنه لا بد من المرفوع أو مثله أو خير منه و أيضا فقوله { نَأْتِ

{ البقرة 106 لم يرد به بعد مدة فإن الذي نسأه و هو يريد إزالة قد علم أنه ينزله بعد مدة فلما أخبر أن ما أخره يأتى بمثله أو خير منه قبل نزوله علم أنه لا يؤخر الأمر بلا بدل فلو جاز أن يبقى مدة بلا بدل لكان ما لم ينزل أحق بأن لا يكون له بدل من المنسوخ فلما كان ذلك قد حصل له بدل قبل و قد نزوله لتكميل الأنعام فلأن يكون البديل لما نسخ من حين نسخ بعد أولى و أخرى و لأنه قد علم أن القرآن نزل شيئا بعد شيء فلو كان ما ينزله بدلا عن المنسوخ يؤخره لم يعرف أنه بدل و لم يتميز البديل من غيره و لم يكن لقوله { نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا } البقرة 106 فائدة إلا كالفائدة المعلومة لو لم ينسخ شيء غاية ما يقال أنه لو لم ينسخ شيء لجاز أن لا ينزل بعد ذلك شيء و إذا نسخ شيء فلا بد من بدله و لو بعد حين و هذا مما يعتقدونه فإنهم قد اعتادوا نزول القرآن عند الحوادث و المسائل و الحاجة فما كانوا يظنونهم إذا نسخت آية أن لا ينزل بعدها شيء فإنها لو لم تنسخ لم يظنوا ذلك فكيف يظنون إذا نسخت الثاني أنه إذا كان قد ضمن لهم الإتيان بالبديل عن المنسوخ علم أن مقصوده أنه لا ينقصهم شيء مما أنزله بل لا بد من مثل المرفوع أو خير منه و لو بقوا مدة بلا بدل لنقصوا و أيضا فإن هذا و عد معلق بشرط و الوعد المعلق بشرط يلزم عقبه فإنه من جنس المعاوضة و ذلك مما يلزم فيه أداء العوض على الفور إذا قبض المعوض كما إذا قال ما ألقيت من متاعك في البحر فعلي بدله و ليس هذا و عدا مطلقا كقوله { لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ } الفتح 27 و لهذا يفرق بين قوله و الله لأعطينك مائة و بين قوله و الله لا آخذ منك شيئا إلا أعطيتك بدله فإن هذا و اجب على الفور و مما يدل على المسألة أن الصحابة و التابعين الذين أخذ عنهم علم الناسخ و المنسوخ إنما يذكرون نسخ القرآن بقرآن لا يذكرون نسخه بلا قرآن بل بسنة و هذه كتب الناسخ و المنسوخ المأخوذة عنهم إنما تتضمن هذا و كذلك قول علي رضي الله عنه للقاص هل تعرف الناسخ من المنسوخ في القرآن فلو كان ناسخ القرآن غير القرآن لوجب أن يذكر ذلك أيضا و أيضا الذين جوزوا نسخ القرآن بلا قرآن من أهل الكلام و الرأي إنما عمدتهم أنه ليس في العقل ما يحيل ذلك و عدم المانع الذي يعلم بالعقل لا يقتضي الجواز الشرعي فإن الشرع قد يعلم بخبره ما لا علم للعقل به و قد يعلم من حكمة الشارع التي علمت بالشرع ما لا يعلم بمجرد العقل و لهذا كان الذين جوزوا ذلك عقلا مختلفين في وقوعه شرعا و إذا كان كذلك فهذا الخبر الذي في الآية دليل على إمتناعها شرعا و أيضا فإن الناسخ مهيمن على المنسوخ قاض عليه مقدم عليه فينبغي أن

يكون مثله أو خيرا منه كما أخبر بذلك القرآن و لهذا لما كان القرآن مهيمنا على ما بين يديه من الكتاب بتصديق ما فيه من حق و إقرار ما أقره و نسخ ما نسخه كان أفضل منه فلو كانت السنة ناسخة للكتاب لزم أن تكون مثله أو أفضل منه و أيضا فلا يعرف في شيء من آيات القرآن أنه نسخه إلا قرآن و الوصية للوالدين و الأقربين منسوخة بأية المواريث كما إتفق على ذلك السلف قال تعالى { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } {13} وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ } {14} النساء 13-14 و الفرائض المقدره من حدوده و لهذا ذكر ذلك عقب ذكر الفرائض فمن أعطى صاحب الفرائض أكثر من فرضه فقد تعدى حدود الله بأن نقص هذا حقه و زاد هذا على حقه فدل القرآن على تحريم ذلك و هو الناسخ فصل والناس في هذا المقام و هو مقام حكمة الأمر و النهي على ثلاثة أصناف فالمعتزلة القدرية يقولون إن ما أمر به و نهى عنه كان حسنا و قبيحا قبل الأمر و النهي و الأمر و النهي كاشف عن صفته التي كان عليها لا يكسبه حسنا و لا قبحا و لا يجوز عندهم أن يأمر و ينهى لحكمة تنشأ من الأمر نفسه و لهذا أنكروا جواز النسخ قبل التمكن من فعل العبادة كما في قصة الذبيح و نسخ الخمسين صلاة التي أمر بها ليلة المعراج إلى خمس و وافقهم على منع النسخ قبل و قت العبادة طائفة من أهل السنة المثبتين للقدر لظنهم أنه لا بد من حكمة تكون في المأمور به و المنهى عنه فلا يجوز أن ينهى عن نفس ما أمر به و هذا قياس من يقول إن النسخ تخصيص في الزمان فإن التخصيص لا يكون برفع جميع مدلول اللفظ لكنهم تناقضوا و الجهمية الجبرية يقولون ليس للأمر حكمة تنشأ لا من نفس الأمر و لا من نفس و لا من نفس المأمور به و لا يخلق الله شيئا لحكمه ولكن نفس المشيئة أوجبت وقوع ما وقع و تخصيص أحد المتماثلين بلا مخصص وليست الحسنات سببا للثواب و لا السيئات سببا للعقاب و لا لو احد منهما صفة صار بها حسنة و سيئة بل لا معنى للحسنة إلا مجرد تعلق الامر بها و لا معنى للسيئة إلا مجرد تعلق النهي بها فيجوز أن يأمر بكل أمر حتى الكفر و الفسوق و العصيان و يجوز أن ينهى عن كل أمر حتى الكفر و الفسوق و العصيان و يجوز أن ينهى عن كل أمر حتى التوحيد و الصدق و العدل و هو لو فعل لكان كما لو أمر بالتوحيد و الصدق و العدل و نهى عن الشرك و الكذب و الظلم هكذا يقل بعضهم و بعضهم يقول يجوز الأمر بكل ما ينافي معرفة الأمر بخلاف ما ينافي معرفته و ليس في الوجود عندهم سبب ولكن إذا اقترن أحد الشئان بالآخر خلقا أو شرعا صار علامة عليه فالأعمال مجرد علامات محضة لا أسباب مقتضية و قالوا أمر من لم يؤمن بالإيمان معناه أني أريد أن أعذبكم و عدم إيمانكم علامة على العذاب وكذلك أمره بالإيمان من علم أنه يؤمن معناه إنني أريد أن أثيبك و الإيمان علامة و هؤلاء منهم من ينفي القياس في الشرع و التعليل للأحكام و من أثبت القياس منهم لم يجعل العلل إلا مجرد علامات ثم إنه مع هذا قد علم أن الحكم في الأصل ثابت في النص و الإجماع و ذلك دليل عليه فأبي الحاجة إلى العلة وكيف يتصور أن تكون العلة على الحكم في الأصل ثابتة في النص و الإجماع و ذلك دليل عليه يعلم ثبوت الحكم و حينئذ فلا فائدة في العلامة و أما الفرع فلا يكون علة له حتى يكون علة للأصل و هؤلاء منهم من ينكر العلل المناسبة ويقول المناسبة ليست طريقا لمعرفة العلل و هم أكثر أصحاب هذا القول و من قال بالمناسبة من متأخريهم يقول يقول إنه قد اعتبر في الشرع المناسب فيستدل بمجرد الإقتران لا لأن فإن عندهم أنه ليس في خلقه و لا أمره لا كي فجهم رأس الجبرية و اتباعه في طرق و القدرية في الطرف الآخر و أما الصحابة و التابعون لهم بإحسان و أئمة الإسلام كالفقهاء المشهورين و غيرهم و من سلك سبيلهم من أهل الفقه و الحديث و المتكلمين في أصول الدين و أصول الفقه فيقرون بالقدر و يقرون بالشرع و يقرون بالحكمة لله في خلقه و أمره لكن قد يعرف أحدهم لحكمه

وقد لا يعرفها ويقرون بما جعله من الأسباب وما في خلقه وأمره من المصالح التي جعلها رحمة بعباده مع أنه خالق كل شيء وربهم ومليكه أفعال العباد وغير أفعال العباد وإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأن كل ما وقع من خلقه وأمره فعدل وحكمه سواء عرف العبد وجهه ذلك أو لم يعرفه والحكمة الناشئة من الأمر ثلاثة أنواع أحدها أن تكون في نفس الفعل وإن لم يؤمر به كما في الصدق والعدل ونحوهما من المصالح الحاصلة لمن فعل ذلك وإن لم يؤمر به والله يأمر بالصلاح وينهى عن الفساد والنوع الثاني أن ما أمر به ونهى عنه صار متصفا بحسن إكتسابه من الأمر وقبح إكتسابه من النهي كالخمر التي كانت لم تحرم ثم حرمت فصارت خبيثة والصلاة إلى الصخرة التي كانت حسنة فلما نهى عنها صارت قبيحة فأما ما أمر به يحبه ويرضاه وما نهى عنه يبغضه ويسخطه وهو إذا أحب عبداً ووالاه أعطاه من الصفات الحسنة ما يمتاز بها على من أبغضه وعاداه وكذلك المكان والزمان الذي يحبه ويعظمه كالكعبة وشهر رمضان يخصه بصفات يميزه بها على ما سواه بحيث يحصل في ذلك الزمان والمكان من رحمته وإحسانه ونعمته ما لا يحصل في غيره فإن قيل الخمر قبل التحريم وبعده سواء فتخصيصها بالخبث بعد التحريم ترجيح بلا مرجح قيل ليس كذلك بل إنما حرمها في الوقت الذي كانت الحكمة تقتضي تحريمها وليس معنى كون الشيء حسناً وسيئاً مثل كونه أسود وأبيض بل هو من جنس كونه نافعا وضارا وملئماً ومنافرا وصديقا وعدوا ونحو هذا من الصفات القائمة بالموصوف التي تتغير بتغير الأحوال فقد يكون الشيء نافعا في وقت ضارا في وقت والشيء الضار قد يترك تحريمه إذا كانت مفسدة التحريم أرجح كما لو حرمت الخمر فيأول الإسلام فإن النفوس كانت قد اعتادتها عادة شديدة ولم يكن حصل عندهم من قوة الإيمان ما يقبلون ذلك التحريم ولا كان إيمانهم ودينهم تاما حتى لم يبق فيه نقص إلا ما يحصل بشرب الخمر من صدها عن ذكر الله وعن الصلاة فلماذا وقع التدرج في تحريمها فأنزل الله أولا فيها {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} البقرة 219 ثم أنزل فيها لما شربها طائفة وصلوا فغلط الإمام في القراءة آية النهي عن الصلاة سكارى ثم أنزل الله آية التحريم

والنوع الثالث أن تكون الحكمة ناشئة من نفس الأمر وليس في الفعل ألبتة مصلحة لكن المقصود ابتلاء العبد هل يطيع أو يعصي فإذا اعتقد الوجوب وعزم على الفعل حصل المقصود بالأمر فينسخ حينئذ كما جرى للخليل في قصة الذبح فإنه لم يكن الذبح مصلحة ولا كان هو مطلوب الرب في نفس الأمر بل كان مراد الرب ابتلاء إبراهيم ليقدم طاعة ربه ومحبته على محبة الولد ولا يبقى في قلبه التفتات إلى غير الله فإنه كان يحب الولد محبة شديدة وكان قد سأل الله أن يهبه إياه وهو خليل الله فأراد تعالى تكميل خلته الله بأن لا يبقى في قلبه ما يزاحم به محبة ربه { فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ } 103 { وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ } 104 { قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } 105 { إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ } 106 { الصافات 103-106 } ومثل هذا الحديث الذي في صحيح البخاري حديث أبرص وأقرع وأعمى كان المقصود ابتلاءهم لأنفس الفعل وهذا الوجه الذي قبله مما خفى على المعتزلة فلم يعرفوا وجه الحكمة الناشئة من الأمر ولا من المأمور لتعلق الأمر به بل لم يعرفوا إلا الأول والذين أنكروا الحكمة عندهم الجميع سواء لا يعتبرون حكمة ولا تخصيص فعل بأمر ولا غير ذلك كما قد عرف من أصلهم ثم إن كثيرا من هؤلاء هؤلاء يتكلمون في تفسير القرآن والحديث والنقح فيبينون على تلك الأصول التي لهم ولا يعرف حقائق أقوالهم

إلا من عرف مأخذهم فقول القائل إن قل هو الله أحد و فاتحة الكتاب قد تكون كل واحدة منهما في نفسها مماثلة لسائر السور وآية الكرسي مماثلة لسائر الآيات وإنما خصت بكثرة ثواب

قارئها أو لم تتعين الفاتحة في الصلاة و نحو ذلك إلا لمحض المشيئة من غير أن يكون فيها صفة تقتضي التخصيص هو مبنى على أصول جهم في الخلق و الأمر و إن كان و افقه عليه أبو الحسن و غيره و كتب السنة المعروفة التي فيها آثار السلف يذكر فيها هذا و هذا و يجعل هذا القول قول الجبرية المتبعين لجهم في أقوال القدرية الجبرية المبتدعة و السلف كانوا ينكرون قول الجبرية الجهمية كما ينكرون قول المعتزلة القدرية و هذا معروف عن سفيان الثوري و الأوزاعي و الزبيدي و عبدالرحمن بن مهدي و أحمد بن حنبل و غيرهم و قد ذكر ذلك غير واحد من أتباع الأئمة من الحنفية و المالكية و الشافعية و الحنبلية و سائر أهل السنة في كتبهم كما قد بسط في مواضعه و ذكرت أقوال السلف و الأئمة في ذلك و إنما نبهنا هنا على الأصل لأن كثيرا من الناس لا يعرف ذلك و لا يظن قول أهل السنة في القدر إلا القول الذي هو عند أهل السنة قول جهم و أتباعه المجبرة أو ما يشبه ذلك كما أن منهم من يظن أن قول أهل السنة في مسائل الأسماء و الأحكام و الوعد و الوعيد هو أيضا القول المعروف عند أهل السنة بقول جهم و هذا يعرفه من يعرف

أقوال الصحابة و التابعين و أئمة الإسلام المشهورين في هذه الأصول و ذلك موجود في الكتب المصنفة التي فيها أقوال جمهور الأئمة التي يذكر فيها أقوالهم في الفقه كثيرا و العلماء الأكابر من أتباع الأئمة الأربعة على مذهب السلف في ذلك و كثير من الكتب المصنفة التي يذكر فيها أقوال السلف على وجه الإتيان من تصنيف أصحاب مالك و الشافعي و أبي حنيفة و أحمد بن حنبل و غيرهم يذكرون ذلك فيها و ينبغي للعاقل أن يعرف أن مثل هذه المسائل العظيمة التي هي من أعظم مسائل الدين لم يكن السلف جاهلين بها و لا معرضين عنها بل من لم يعرف ما قالوه فهو الجاهل بالحق فيها و بأقوال السلف و بما دل عليه الكتاب و السنة و الصواب في جميع مسائل النزاع ما كان عليه السلف من الصحابة و التابعين لهم بإحسان و قولهم هو الذي يدل عليه الكتاب و السنة و العقل الصريح و قد بسط هذا في مواضع كثيرة و الله سبحانه أعلم¹

معرفة ما جاء به الرسول و ما أراده بألفاظ القرآن و الحديث هو أصل العلم و الإيمان

* أن معرفة ما جاء به الرسول و ما أراده بألفاظ القرآن و الحديث هو أصل العلم و الإيمان و السعادة و النجاة ثم معرفة ما قال الناس في هذا الباب لينظر المعاني الموافقة للرسول و المعاني المخالفة لها و الألفاظ نوعان نوع يوجد في كلام الله و رسوله و نوع لا يوجد في كلام الله و رسوله فيعرف معنى الأول و يجعل ذلك المعنى هو الأصل و يعرف ما يعنيه الناس بالثاني و يرد إلى الأول هذا طريق أهل الهدى و السنة و طريق أهل الضلال و البدع بالعكس يجعلون الألفاظ التي أحدثوها و معانيها هي الأصل و يجعلون ما قاله الله و رسوله تبعاً لهم فيردونها بالتأويل و التحريف إلى معانيهم و يقولون نحن نفسر القرآن بالعقل و اللغة يعنون أنهم يعتقدون معنى بعقلهم و رأيهم ثم يتأولون القرآن عليه بما يمكنهم من التأويلات و التفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه و

¹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 195-205 ref_

لهذا قال الإمام أحمد أكثر ما يخطيء الناس من جهة التأويل والقياس وقال يجتنب المتكلم في الفقه هذين الأصلين المجمل والقياس وهذه الطريق يشترك فيها جميع أهل البدع الكبار والصغار فهي طريق الجهمية والمعتزلة ومن دخل في التأويل من الفلاسفة والباطنية الملاحدة وأما حذاق الفلاسفة فيقولون ان المراد بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هو أن يخيل إلى الجمهور ما ينتفعون به في مصالح دنياهم وان لم يكن ذلك مطابقاً للحق قالوا وليس مقصود الرسول صلى الله عليه وسلم بيان الحق وتعريفه بل مقصوده أن يخيل إليهم ما يعتقدونه ويجعلون خاصة النبوة قوة التخيل فهم يقولون أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين ولم يفهم بل ولم يقصد ذلك وهم منتازعون هل كان يعلم الأمور على ما هي عليه على قولين منهم من قال كان يعلمها لكن ما كان يمكنه بيانها وهؤلاء قد يجعلون الرسول أفضل من الفيلسوف ومنهم من يقول بل ما كان يعرفها أو ما كان حاذقاً في معرفتها وإنما كان يعرف الأمور العملية وهؤلاء يجعلون الفيلسوف أكمل من النبي صلى الله عليه وسلم لأن الأمور العملية أكمل من العلمية فهؤلاء يجعلون خبر الله وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم إنما فيه التخيل وأولئك يقولون لم يقصد به التخيل ولكن قصد معنى يعرف بالتأويل وكثير من أهل الكلام الجهمية يوافق أولئك على أنه ما كان يمكنه أن يبوح بالحق في باب التوحيد فخطب الجمهور بما يخيل لهم كما يقولون إنه لو قال

إن ربكم ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا يشار إليه ولا هو فوق العالم ولا كذا ولا كذا لنفرت قلوبهم عنه وقالوا هذا لا يعرف قالوا فخطبهم بالتجسيم حتى يثبت لهم ربا يعبدونه وان كان يعرف أن التجسيم باطل وهذا يقوله طوائف من أعيان الفقهاء المتأخرين المشهورين الذين ظنوا أن مذهب النفاة هو الصحيح واحتجوا أن يعتذروا عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الإثبات كما يوجد في كلام غير واحد وتارة يقولون إنما عدل الرسول صلى الله عليه وسلم عن بيان الحق ليجتهدوا في معرفة الحق من غير تعريفه ويجتهدوا في تأويل ألفاظه فتعظم أجورهم على ذلك وهم اجتهدوا في عقلياتهم وتأويلاتهم ولا يقولون إنه قصد به إفهام العامة الباطل كما يقول أولئك المتفلسفة وهذا قول أكثر المتكلمين النفاة من الجهمية والمعتزلة ومن سلك مسلكهم حتى ابن عقيل وأمثلة وأبو حامد وابن رشد الحفيد وأمثالهما يوجد في كلامهم المعنى الأول وأبو حامد إنما ذم التأويل في آخر عمره وصنف الجام العوام عن علم الكلام محافظة على هذا الأصل لأنه رأى مصلحة الجمهور لا تقوم إلا بإبقاء الظواهر على ما هي عليه وإن كان هو يرى ما ذكره في كتبه المضمون بها أن النفي هو الثابت في نفس الأمر فلم يجعلوا مقصوده بالخطاب البيان والهدى كما وصف الله به كتابه ونبيه حيث قال { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 وقال { هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ } آل عمران 138 وقال { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } يوسف 2 وقال { وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } العنكبوت 18 وقال { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } إبراهيم 1 وقال النبي صلى الله عليه وسلم تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك وقال تعالى { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ } الأنعام 153 وقال { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ } 15 { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } 16 { المائدة 15-16 } وقال { مَا كُنْتُ نَذِيرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الشورى 52 و

قال { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }
{ الأعراف 157¹

كلمات القرآن والحديث قواعد عامة

فان القرآن والحديث فيهما كلمات جامعة هي قواعد عامة وقضايا كلية تتناول كل ما دخل فيها وكل ما دخل فيها فهو مذكور في القرآن والحديث باسمه العام وإلا فلا يمكن ذكر كل شيء باسمه الخاص فان الله بعث محمدا الى جميع الخلق وقال { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } الأعراف 158 وقال { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ } سبأ 28 وقال تعالى { الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } الفرقان 1 وقال { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء 107 فاسم الناس و العالمين يدخل فيه العرب وغير العرب من الفرس والروم والهند والبربر فلو قال قائل إن محمدا ما أرسل الى الترك والهند والبربر لأن الله لم يذكرهم في القرآن كان جاهلا كما لو قال ان الله لم يرسله الى بنى تميم وبنى أسد و غطفان وغير ذلك من قبائل العرب فان الله لم يذكر هذه القبائل باسماءها الخاصة وكما لو قال ان الله لم يرسله الى أبى جهل وعتبة وشيبة وغيرهم من قريش لأن الله لم يذكرهم باسماءهم الخاصة في القرآن وكذلك لما قال { إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ } المائدة 90 دخل في الميسر الذي لم تعرفه العرب ولم يعرفه النبي وكل الميسر حرام باتفاق المسلمين وان لم يعرفه النبي كاللعب بالشطرنج وغيره بالعوض فانه حرام باجماع المسلمين وهو الميسر الذي حرمه الله ولم يكن على عهد النبي والنرد أيضا من الميسر الذي حرمه الله وليس في القرآن ذكر النرد والشطرنج باسم خاص بل لفظ الميسر يعمها وجمهور العلماء على أن النرد والشطرنج محرمان بعوض وغير عوض وكذلك قوله { لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِالَّذِينَ آمَنُوا وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ } المائدة 89 الى قوله { إِذَا حَلَقْتُمْ } المائدة 89 وقوله { قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ } التحريم 2 تناول كل أيمان المسلمين التي كانوا يحلفون بها على عهد النبي والتي صاروا يحلفون بها بعد فلو حلف بالفارسية والتركية والهندية والبربرية باسم الله تعالى بتلك اللغة انعقدت يمينه ووجب عليه الكفارة اذا حنث باتفاق العلماء مع أن اليمين بهذه اللغات لم تكن من ايمان المسلمين على عهد رسول الله وهذا بخلاف من حلف بالمخلوقات كالحلف بالكعبة والملائكة والمشايخ والملوك وغير ذلك فان هذه ليست من ايمان المسلمين بل هي شرك كما قال من حلف بغير الله فقد أشرك وكذلك قال تعالى { فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا } النساء 43 يعم كل ما يسمى صعيدا ويعم كل ماء سواء كان من المياه الموجودة في زمن النبي أو مما حدث بعده فلو استخرج قوم عيونا وكان فيها ماء متغير اللون والريح والطعم وأصل الخلقة وجب الاغتسال به بلا نزاع نعرفه بين العلماء وان لم تكن تلك المياه معروفة عند المسلمين على عهد النبي كما قال تعالى { فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ } التوبة 5 فدخل فيه كل مشرك من العرب وغير العرب كمشركى الترك والهند والبربر وان لم يكن هؤلاء ممن قتلوا على عهد النبي وكذلك

¹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 373 ref_

قوله تعالى { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } التوبة 29 يدخل فيه جميع أهل الكتاب وان لم يكونوا ممن قتلوا على عهد النبي فان الذين قتلوا على زمانه كانوا من نصارى العرب والروم وقاتل اليهود قبل نزول هذه الآية وقد دخل فيها النصارى من القبط والحبشة والجرس والال واللاص والكرج وغيرهم فهذا وأمثاله نظير عموم القرآن لكل ما دخل في لفظه ومعناه وان لم يكن باسمه الخاص ولو قدر بان اللفظ لم يتناوله وكان في معنى ما في القرآن والسنة الحق به بطريق الاعتبار والقياس كما دخل اليهود والنصارى والفرس في عموم الآية و دخلت جميع المسكرات في معنى خمر العنب وأنه بعث محمدا بالكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط و الكتاب القرآن و الميزان العدل والقياس الصحيح هو من العدل لأنه لا يفرق بين المتماثلين بل سوى بينهما فاستوت السيئات في المعنى الموجب للتحريم لم يخص أحدها بالتحريم دون الآخر بل من العدل أن يسوى بينهما ولو لم يسو بينهما كان تناقضا وحكم الله ورسوله منزله عن التناقض ولو أن الطبيب حمى المريض عن شيء لما فيه من الضرر وأباحه له لخرج عن قانون الطب والشرع طب القلوب والأنبياء أطباء القلوب والأديان ولا بد إذا أحل الشرع شيئا منه أن يخص هذا بما يفرق به بينه وبين هذا حتى يكون فيه معنى خاص بما حرمه دون ما أحله والله أعلم¹

* (معرفة الحدود الشرعية من الدين)

* أن الأسماء جاءت في كتاب الله و سنة رسوله معلقا بها أحكام شرعية و كل اسم فلا بد له من حد فمنه ما يعلم حده باللغة كالشمس و القمر و البر و البحر و السماء و الأرض و منه ما يعلم بالشرع كالمؤمن و الكافر و المنافق و كالصلاة و الزكاة

و الصيام و الحج و ما لم يكن له حد في اللغة و لا في الشرع فالمرجع فيه إلى عرف الناس كالقبض المذكور في قوله صلى الله عليه و سلم من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يقبضه²

* وهذه الحدود معرفتها من الدين في كل لفظ هو كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قد تكون معرفتها فرض عين و قد تكون فرض كفاية ولهذا ذم الله تعالى من لم يعرف هذه الحدود بقوله تعالى { الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ } التوبة 97 والذي أنزله على رسوله فيه ما قد يكون الاسم غريبا بالنسبة إلى المستمع كلفظ ضيزى وقسورة و عسعس وأمثال ذلك وقد يكون مشهورا لكن لا يعلم حده بل يعلم معناه على سبيل الاجمال كاسم الصلوة والزكاة والصيام والحج فان هذه وإن كان جمهور المخاطبين يعلمون معناها على سبيل الاجمال فلا يعلمون مسماها على سبيل التحديد الجامع المانع إلا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي التي يقال لها الأسماء الشرعية كما إذا قيل صلوة الجنازة وسجدة السهو وسجود

¹ مجموع الفتاوى ج: 34 ص: 210-208 ref_

² مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 21 ref_

الشكر والطواف هل تدخل في مسمى الصلوة في قوله صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلوة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم فقول هل كل ذلك صلوة تجب فيها الطهارة وهل لا تجب الطهارة لمثل ذلك فهل تجب لما تحريمه التكبير وتحليله التسليم وهي كصلوة الجنابة وسجد السهو دون الطواف سجود التلاوة وكذلك اسم الخمر والربوا والميسر ونحو ذلك يعلم أشياء من مسمياتها ومنها ما لا يعلم إلا ببيان آخر فانه قد يكون الشيء داخلا في اسم الربوا والميسر والانسان لا يعلم ذلك إلا بدليل يدل على ذلك شرعي أو غيره ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن حد الغيبة فقال ذكرك أخاك بما يكره فقال له أرأيت إن كان في أخي ما أقول فقال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته وكذلك قوله لما قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا أفمن الكبر ذلك فقال لا الكبر بطر الحق وغمط الناس وكذلك لما قيل له ما الإسلام وما الإيمان وما الإحسان ولما سئل عن أشياء أهي من الخمر وغير ذلك بالجملة فالحاجة إلى معرفة هذه الحدود ماسة لكل أمة وفي كل لغة فان معرفتها من ضرورة التخاطب الذي هو النطق الذي لا بد منه لبني آدم أقسام الحدود اللفظية وهذا الذي يقال له حد بحسب الاسم والمقول في جواب ما هو من هذا النوع وقد يكون اسما مرادفا وقد يكون مكافيا غير مرادف بحيث يدل على الذات مع صفة أخرى كما إذا قال ما الصراط المستقيم فقال هو الاسلام واتباع القرآن أو طاعة الله ورسوله والعلم النافع والعمل الصالح وما الصارم فقيل هو المهند وما أشبه ذلك وقد يكون الجواب ب المثال كما إذا سئل عن لفظ الخبز ورأى رغيفا فقال هذا فان معرفة الشخص يعرف منه النوع وإذا سئل عن المقتصد والسابق والظالم فقال المقتصد الذي يصلي الفريضة في وقتها ولا يزيد والظالم الذي يؤخرها عن الوقت والسابق الذي يصلها في أول الوقت ويزيد عليها النوافل الراتبة ونحو ذلك من التفسير الذي هو تمثيل يفيد تعريف المسمى ب المثال لا خطاره بالبال لأن السائل لم يكن يعرف المصلي في أول الوقت وفي أثناءه والمؤخر عن الوقت لكن لم يكن يعرف أن هذه الثلاثة أمثلة الظالم والمقتصد والسابق فاذا عرف ذلك قاس به ما يماثله من المقتصر على الواجب والزائد عليه والناقص عنه ثم إن معرفة حدود هذه الأسماء في الغالب تحصل بغير سؤال لمن يياشر المتخاطبين بتلك اللغة أو يقرأ كتبهم فان معرفة معاني اللغات تقع كذلك وهذه الحدود قد يظن بعض الناس أنها حدود لغوية يكفي في معرفتها العلم باللغة والكتب المصنفة في اللغة وكتب الترجمة وليس كذلك على الاطلاق بل الأسماء المذكورة في الكتاب والسنة ثلاثة أصناف ألف منها ما يعرف حده ب اللغة كالشمس والقمر والكوكب ونحو ذلك ب ومنها ما لا يعرف إلا ب الشرع كأسماء الواجبات الشرعية والمحرمات الشرعية كالصلوة والحج والربوا والميسر ج ومنها ما يعرف ب العرف العادي وهو عرف الخطاب باللفظ كاسم النكاح والبيع والقبض وغير ذلك هذا في معرفة حدودها التي هي مسمياتها على العموم وأما معرفة دخول الأعيان الموجودة في هذه الأسماء والألفاظ فهذا قد يكون ظاهرا وقد يكون خفيا يحتاج إلى اجتهاد وهذا هو التأويل في لفظ الشارع الذي يتفاضل الفقهاء وغيرهم فيه فانهم قد اختلفوا في حفظ الألفاظ الشرعية بما فيها من الأسماء أو حفظ كلام الفقهاء أو النحاة أو الأطباء وغيرهم ثم يتفاضلون بأن يسبق أحدهم إلى أن يعرف أن هذا المعنى الموجود هو المراد أو مراد هذا الاسم كما يسبق الفقيه الفاضل إلى حادثة فينزل عليها كلام الشارع أو كلام الفقهاء وكذلك الطبيب يسبق إلى مرض لشخص معين فينزل عليه كلام الأطباء إذ الكتب والكلام المنقول عن الأنبياء والعلماء إنما هو مطلق بذكر الأشياء لصفاتها وعلاماتها فلا بد يعرف أن هذا المعين هو ذاك وإذا كان خفيا فقد يسميه بعض الناس تحقيق المناط فان الشارع قد ناط الحكم بوصف كما ناط قبول الشهادة بكونه ذا عدل وكما ناط العشرة بالمأمور بها بكونها بالمعروف وكما ناط النفقة

الواجبة بالمعروف وكما ناط الاستقبال في الصلوة بالتوجه شطر المسجد الحرام يبقى النظر في هذا المعين هل هو شطر المسجد الحرام وهل هذا الشخص ذو عدل وهل هذه النفقة نفقة بالمعروف وأمثال ذلك لا بد فيه من نظر خاص لا يعلم ذلك بمجرد الاسم وقد يكون الاجتهاد في دخول بعض الأنواع في مسمى ذلك الاسم كدخول الأشربة المسكرة من غير العنب والنخل في مسمى الخمر ودخول الشطرنج والنرد ونحوهما في مسمى الميسر ودخول السبق بغير محلل في سباق الخيل ورمى النشاب في ذلك ودخول الرمل ونحوه في الصعيد الذي في قوله تعالى {فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً} النساء 43 ودخول من خرج منه منى فاسد في قوله { وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا } المائدة 6 ودخول الساعد في قوله { فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ } المائدة 6 ودخول البياض الذي بين العذار والأذن في قوله { فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ } المائدة 6 ودخول الماء المتغير بالطهارات أو ما أوقعت به نحاسة ولم تغيره في قوله { فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً } المائدة 6 ودخول المائع الذي لم يغيره ما مات فيه من الطيبات أو الخبائث ودخول سارق الأموال الرطبة في قوله { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ } المائدة 38 ودخول النباش في ذلك ودخول الحلفة بما يلزم الله في مسمى الأيمان ودخول بنات البنات والجدات في قوله { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ } النساء 23 ومثل هذا الاجتهاد متفق عليه بين المسلمين ممن يثبت القياس ومن ينفيه فان بعض الجهال يظن أن من نفى القياس يكفيه في معرفة مراد الشارع مجرد العلم ب اللغة وهذا غلط عظيم جدا ولهذا قال ابن عباس التفسير على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله والتفسير الذي يعلمه العلماء فيتضمن الأنواع التي لا تعلم بمجرد اللغة كالأسماء الشرعية ويتضمن أعيان المسميات وأنواعها التي يفتقر دخولها في المسمى إلى اجتهاد العلماء¹

*واعلم أن من لم يحكم دلالات اللفظ ويعلم أن ظهور المعنى من اللفظ تارة يكون بالوضع اللغوي أو العرفي أو الشرعي إما في الألفاظ المفردة وإما في المركبة وتارة بما اقترن باللفظ المفرد من التركيب الذي تتغير به دلالاته في نفسه وتارة بما اقترن به من القرائن اللفظية التي تجعله مجازا وتارة بما يدل عليه حال المتكلم والمخاطب والمتكلم فيه وسيأتي الكلام الذي يعين أحد احتمالات اللفظ أو يبين أن المراد به هو مجازه الى غير ذلك من الأسباب التي تعطي اللفظ صفة الظهور وإلا فقد يتخبط في هذه المواضع نعم إذا لم يقترن باللفظ قط شيء من القرائن المتصلة التي تبين مراد المتكلم بل علم مراده بدليل آخر لفظي منفصل فهنا أريد به خلاف الظاهر كالعوم المخصوص بدليل منفصل وإن كان الصارف عقليا ظاهرا ففي تسمية المراد خلاف الظاهر خلاف مشهور في أصول الفقه²

*أن الألفاظ نوعان أحدهما ما معناه مفرد كلفظ الأسد والحمار والبحر والكلب فذه إذا قيل أسد الله وأسد رسوله أو قيل للبليد حمار أو للعالم أو السخى أو الجواد من الخيل بحر أو قيل للأسد كلب فهذا مجاز

1 الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 53-49 ref_

2 مجموع الفتاوى ج: 33 ص: 181 ref_

ثم إن قرنت به قرينة تبين المراد كقول النبي صلى الله عليه وسلم لفرس أبي طلحة إن وجدناه لبحرا وقوله إن خالدا سيف من سيوف الله سلة الله على المشركين وقوله لعثمان إن الله يقمصك قميصا وقول ابن عباس الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن استلمه وصافحه فكأنما بايع ربه أو كما قال ونحو ذلك فهذا اللفظ فيه تجوز وإن كان قد ظهر من اللفظ مراد صاحبه وهو محمول على هذا الظاهر في استعمال هذا المتكلم لا على الظاهر في الوضع الأول وكل من سمع هذا القول علم المراد به وسبق ذلك الى ذهنه بلا حال إرادة المعنى الأول وهذا يوجب أن يكون نصا لا محتملا وليس حمل اللفظ على هذا المعنى من التأويل الذي هو صرف اللفظ عن الإحتمال الراجح الى الإحتمال المرجوح في شيء وهذا أحد مثرات غلط الغالطين في هذا الباب حيث يتوهم أن المعنى المفهوم من هذا اللفظ مخالف للظاهر وأن اللفظ متنول النوع الثاني من الألفاظ ما في معناه إضافة إما بأن يكون المعنى إضافة محضة كالعلو والسفول وفوق وتحت ونحو ذلك أو أن يكون معنا ثبوتيا فيه إضافة كالعلم والحب والقدرة والعجز والسمع والبصر فهذا النوع من الألفاظ لا يمكن أن يوجد له معنى مفرد بحسب بعض موارد لوجهين أحدهما أنه لم يستعمل مفردا قط الثاني أن ذلك يلزم منه الإشتراك أو المجاز بل يجعل حقيقة في القدر المشترك بين موارد وما نحن فيه من هذا الباب فان لفظ استوى لم تستعمله العرب في خصوص جلوس الأدمى مثلا على سرية حقيقة حتى يصير في غيره مجازا كما أن لفظ العلم لم تستعمله العرب في خصوص العرف القائم بقلب البشر المنقسم الى ضرورى ونظرى حقيقة واستعملته في غيره مجازا بل المعنى تارة يستعمل بلا تعدية كما في قوله {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى} القصص 14 وتارة يعدى بحرف الغاية كما في قوله {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ} فصلت 11 وتارة يعدى بحرف الإستعلاء ثم هذا تارة يكون صفة الله وتارة يكون صفة لخلق فلا يجب أن يجعل في أحد الموضوعين حقيقة وفي الآخر مجازا ولا يجوز أن يفهم من استواء الله الخاصية التي تثبت للمخلوق دون الخالق كما في قوله تعالى {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} الذاريات 47 وقوله تعالى {مِمَّا عَمِلْتُمْ أَيْدِينَا} يس 71 وقوله تعالى {صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} النمل 88 وقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور {وَكُنْتُنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} الأعراف 145 فهل يستحل مسلم أن يثبت لربه خاصية الأدمى البانى الصانع الكاتب العامل أم يستحل أن ينفى عنه حقيقة العمل والبناء كما يختص به ويليق بجلاله أم يستحل أن يقول هذه الألفاظ مصروفة عن ظاهرها أم الذى يجب أن يقول عمل كل أحد بحسبه فكما أن ذاته ليست مثل ذوات خلقه فعمله وصنعه وبنائه ليس مثل عملهم وصنعهم وبنائهم ونحن لم نفهم من قولنا بنى فلان وكتب فلان ما فى عمله من المعالجة والتأثر إلا من جهة علمنا بحال البانى لا من جهة مجرد اللفظ الذى هو لفظ الفعل وما يدل عليه بخصوص إضافته الى الفاعل المعين وبهذا ينكشف لك كثير مما يشكل على كثير من الناس وترى مواقع اللبس فى كثير من هذا الباب والله يوفقنا وسائر إخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل ويجمع قلوبنا على دينه الذى ارتضاه لنفسه وبعث به رسوله والحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين صلى الله على محمد صاحب الحوض المورود وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا¹

¹ مجموع الفتاوى ج: 33 ص: 183 ref_

*اختلاف مقصود اللفظ عند الاطلاق وعند التقييد

يسمى الحلف بالنذر نذر اللجاج والغضب فيسمى نذرا مقيدا لأن لفظه لفظ النذر وهو في الحقيقة من الإيمان لا من النذور عند الصحابة وجمهور السلف والشافعي وأحمد وغيرهما وكذلك لفظ الماء عند الاطلاق لا يتناول المني وإن كان يسمى ماء مع التقييد كقوله تعالى { خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ } {6} يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ {7} الطارق 6-7 وكذلك لفظ الخف لا يتناول عند الاطلاق المقطوع وإن كان يقال خف مقطوع فلا يدخل المقطوع في لفظ المسح على الخفين ولا فيما نهى عنه المحرم من لبس الخف على الاصح من أقوال العلماء فلهذا أمر النبي المحرم أولا بقطع الخفين لأن المقطوع ليس بخف ثم رخص في عرفات في لبس السراويل ولبس الخفاف ولم يشترط فتق السراويل ولا قطع الخفاف والسراويل المفتوق والخف المقطوع لا يدخل في مسمى الخف والسراويل عند الإطلاق وكذلك لفظ البيع المطلق لا يتناول بيع الخمر والميتة والخنزير وإن كان يسمى بيعا مع التقييد وكذلك الإيمان عند الإطلاق إنما يتناول الإيمان بالله ورسوله وأما مع التقييد فقد قال الله تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ } النساء 51 لا يدخل في مطلق الإيمان وكذلك لفظ البشارة عند الإطلاق إنما تتناول الإخبار بما يسر وأما مع التقييد فقد قال تعالى { فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } الانشقاق 24 وأمثال ذلك كثيرة¹

* الأسماء التي علق الله بها الأحكام في الكتاب والسنة منها ما يعرف حده ومسماه بالشرع فقد بينه الله ورسوله كاسم الصلاة والزكاة والصيام والحج والإيمان والاسلام والكفر والنفاق ومنه ما يعرف حده باللغة كالشمس والقمر والسماء والأرض والبر والبحر ومنه ما يرجع حده الى عادة الناس وعرفهم فيتنوع بحسب عاداتهم كاسم البيع والنكاح والقبض والدرهم والدينار ونحو ذلك من الأسماء التي لم يحددها الشارع بحد ولا لها حد واحد يشترك فيه جميع أهل اللغة بل يختلف قدره وصفته باختلاف عادات الناس فما كان من النوع الأول فقد بينه الله ورسوله وما كان من النوع الثاني والثالث فالصحابه والتابعون المخاطبون بالكتاب والسنة قد عرفوا المراد به لمعرفة مسماه المحدود في اللغة أو المطلق في عرف الناس وعاداتهم من غير حد شرعي ولا لغوي وبهذا يحصل التفقه في الكتاب والسنة والاسم اذا بين النبي حد مسماه لم يلزم أن يكون قد نقله عن اللغة أو زاد فيه بل المقصود أنه عرف مراده بتعريفه هو كيف ما كان الأمر فان هذا هو المقصود وهذا كاسم الخمر فانه قد بين أن كل مسكر خمر فعرف المراد بالقرآن وسواء كانت العرب قبل ذلك تطلق لفظ الخمر على كل مسكر أو تخص به عصير العنب لا يحتاج الى ذلك اذ المطلوب معرفة ما أراد الله ورسوله بهذا الاسم وهذا قد عرف ببيان الرسول وبأن الخمر في لغة المخاطبين بالقرآن كانت تتناول نبيذ التمر وغيره ولم يكن عندهم بالمدينة خمر غيرها وإذا كان الامر كذلك فما أطلقه الله من الأسماء وعلق به الأحكام من الأمر والنهي والتحليل والتحريم لم يكن لأحد أن يقيده لا بدلالة من الله ورسوله فمن ذلك اسم الماء مطلق في الكتاب السنة ولم يقسمه النبي صلى الله عليه وسلم الى قسمين طهور وغير طهور فهذا التقسيم مخالف للكتاب والسنة وإنما قال الله { فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً } المائدة 6 وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضوع وبيننا ان كل ما وقع عليه اسم الماء فهو طاهر طهور سواء كان

¹مجموع الفتاوى ج: 32، ص: 306 ref_

مستعملا في طهر واجب أو مستحب أو غير مستحب وسواء وقعت فيه نجاسة أو لم تقع إذا عرف أنها قد استحالت فيه واستهلكت وأما أن ظهر أثرها فيه فإنه يحرم استعماله لأنه استعمال للمحرم¹

*ف قوله تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} البقرة 186 يتناول نوعي الدعاء وبكل منها فسرت الآية قيل أعطيه إذا سألتني وقيل أثيبه إذا عبدني والقولان متلازمان وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معينه كليهما أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعا فتأمله فإنه موضوع عظيم النفع وقل ما يفتن له وأكثر آيات القرآن دالة على معنيين فصاعدا فهي من هذا القبيل مثال ذلك قوله تعالى {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ} الإسراء 78 فسر الدلوك بالزوال وفسر بالغروب وليس بقولين بل اللفظ يتناولهما معا فإن الدلوك هو الميل ودلوك الشمس ميلها ولهذا الميل مبتدأ ومنتهى فمبتداه الزوال ومنتهاه الغروب واللفظ متناول لهما بهذا الاعتبار ومثاله أيضا تفسيره {وَمَنْ شَرَّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} الفلق 3 الغاسق بالليل وتفسيره بالقمر فإن ذلك ليس باختلاف بل يتناولهما لتلازمهما فإن القمر آية الليل ونظائره كثيرة²

* وتنازع الناس في الأسماء والأحكام أي في أسماء الدين مثل مسلم ومؤمن وكافر وفاسق وفي أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم في الآخرة دون الدنيا فلم يستحلوا من دمائهم وأموالهم ما استحلته الخوارج وفي الأسماء أحدثوا المنزلة بين المنزلتين وهذه خاصة المعتزلة التي انفردوا بها وسائر أقوالهم قد شاركهم فيها غيرهم وحدثت المرجئة وكان أكثرهم من أهل الكوفة ولم يكن أصحاب عبدالله من المرجئة ولا إبراهيم النخعي وامثاله فصاروا نقيض الخوارج والمعتزلة فقالوا ان الأعمال ليست من الايمان وكانت هذه البدعة أخف البدع فان كثيرا من النزاع فيها نزاع في الاسم واللفظ دون الحكم اذ كان الفقهاء الذين يضاف اليهم هذا القول مثل حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما هم مع سائر أهل السنة متفقين على أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة كما جاءت الاحاديث الصحيحة بذلك وعلى انه لا بد في الايمان أن يتكلم بلسانه وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والعقاب فكان في الأعمال هل هي من الايمان وفي الاستثناء ونحو ذلك عامته نزاع لفظي فان الايمان اذا أطلق دخلت فيه الأعمال لقول النبي الايمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان واذا عطف عليه العمل كقوله {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} البقرة 277 فقد ذكر مقيدا بالعطف فهنا قد يقال الأعمال دخلت فيه وعطفت عطف الخاص على العام وقد يقال لم تدخل فيه ولكن مع العطف كما في اسم الفقير والمسكين اذا أفرد أحدهما تناول الآخر واذا عطف أحدهما على الآخر فهما صنفان كما في آية الصدقات كقوله {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ} التوبة 60 وكما في آية الكفارة كقوله {فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ} المائدة 89 وفي قوله {وَإِنْ تُخْفُوا وَتُؤْتُواهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} البقرة 271 فالفقير والمسكين شيء واحد وهذا التفصيل في الايمان هو كذلك في لفظ البر والتقوى والمعروف وفي الاثم والعدوان والمنكر تختلف دلالتها في

¹¹ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 235-237 ref_

² مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 12-11 ref_

الافراد والاقتران لمن تدبر القرآن وقد بسط هذا بسطا كبيرا فى الكلام على الايمان وشرح حديث جبريل الذى فيه بيان أن الايمان أصله فى القلب وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله كما فى المسند عن النبى أنه قال الاسلام علانية والايمان فى القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ألا ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسدت لها سائر الجسد ألا وهى القلب فإذا كان الايمان فى القلب فقد صلح القلب فيجب أن يصلح سائر الجسد فلذلك هو ثمرة ما فى القلب فلهذا قال بعضهم الأعمال ثمرة الايمان وصحته لما كانت لازمة لصلاح القلب دخلت فى الاسم كما نطق بذلك الكتاب والسنة فى غير موضع¹

*ان الاسم المشتق من معنى لا يتحقق بدون ذلك المعنى فاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعال التفضيل يمتنع ثبوت معناها دون معنى المصدر التى هى مشتقة منه والناس متفقون على أنه لا يكون متحرك ولا متكلم إلا بحركة وكلام فلا يكون مرید إلا بارادة وكذلك لا يكون عالم إلا بعلم ولا قادر إلا بقدرة ونحو ذلك ثم هذه الأسماء المشتقة من المصدر إنما يسمى بها من قام به مسمى المصدر فانما يسمى بالحقى من قامت به الحياة وبالمتحرك من قامت به الحركة وبالعالم من قام به العلم وبالقادر من قامت به القدرة فأما من لم يقم به مسمى المصدر فيمتنع أن يسمى بإسم الفاعل ونحوه من الصفات وهذا معلوم بالاعتبار فى جميع النظائر وذلك لأن إسم الفاعل ونحوه من المشتقات هو مركب يدل على الذات وعلى الصفة والمركب يمتنع تحققه بدون تحقق مفرداته وهذا كما أنه ثابت فى الأسماء المشتقة فكذلك فى الأفعال مثل تكلم وكلم ویتكلم ويكلم وعلم ويعلم وسمع ويسمع ورأى ويرى ونحو ذلك سواء قيل ان الفعل المشتق من المصدر أو المصدر مشتق من الفعل لا نزاع بين الناس ان فاعل الفعل هو فاعل المصدر فإذا قيل كلم أو علم أو تكلم أو تعلم ففاعل التكليم والتعليم هو المكلم والمعلم وكذلك التعلم والتكلم والفاعل هو الذى قام به المصدر الذى هو التكليم والتعليم والتكلم والتعلم فإذا قيل تكلم فلان أو كلم فلان فلانا فلان هو المتكلم والمكلم قوله تعالى { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } النساء 164 تكلما وقوله { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ } البقرة 253 وقوله { وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ } الأعراف 143 يقتضى ان الله هو المكلم فكما يمتنع ان يقال هو متكلم بكلام قائم بغيره يمتنع أن يقال كلم بكلام قائم بغيره²

المقصود ببعض الالفاظ تكرر ذكرها

والمكلم معناه الرسول واصله ملاك على وزن مفعول ولكن القيت حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذفت وهذه المادة معناها الرسالة سواء تقدمت اللام على الهمزة كما فى صيغة الملك او تقدمت الهمزة على اللام³

¹مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 40 ref_

²مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 520 ref_

³الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 500 ref_

* ولفظ السماء في اللغة والقرآن اسم لكل ما علا فهو اسم جنس للعالي لا يتعين في شيء إلا بما يضاف إلى ذلك { فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ } {الحج15} وقال { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } {الأنعام99} وقال { أَمْ نَمُنُّ مِنْ فِي السَّمَاءِ } {الملك16} والمراد بالجميع العلو ثم يتعين هنا بالسقف ونحوه وهنا بالسحاب وهناك بما فوق العالم كله¹

*فإن لفظ كل شيء يعم في كل موضع بحسب ما سيقته له كما في قوله { بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } {البقرة29} { عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } {البقرة20} وقوله {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} {الزمر62} و {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ} {الأحقاف25} { وَأَوْتَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ } {النمل23} و { فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ } {الأنعام44} { وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ } {الذاريات49} وأخبرت الرسل بتقدم أسمائه وصفاته كما في قوله { وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } {النساء158} { وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } {النساء134} { وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } {النساء96} وامثال ذلك قال ابن عباس كان ولا يزال ولم يفيد كونه بوقت دون وقت²

*أن النهي عن الشيء لا يدل على وقوعه بل يدل على أنه ممنوع منه لئلا يقع فيما بعد كقوله تعالى { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ } {الأحزاب1} فهذا لا يدل على أنه كان يطيعهم وكذلك قوله { وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ } {القصص88} أو { لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ } {الاسراء22} فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكن مشركاً قط لا سيما بعد النبوة فالأمة متفقة على أنه معصوم من الشرك بعد النبوة وقد نهى عن ذلك بعد النبوة ونظائره كثيرة³

مُتَشَابِهًا مَثَانِي

*و من تدبر القرآن و جد بعضه يفسر بعضا فإنه كما قال ابن عباس في رواية الوالى مشتمل على الأقسام و الأمثال و هو تفسير

{ مُتَشَابِهًا مَثَانِي } {الزمر23} و لهذا جاء كتاب الله جامعا كما قال صلى الله عليه و سلم أعطيت جوامع الكلم و قال تعالى { كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي } {الزمر23} فالتشابه يكون في الأمثال و المثاني في الأقسام فإن التثنية في مطلق التعديد كما قد قيل في قوله { ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ } {الملك4} و كما في قول حذيفة كنا نقول بين السجدين رب اغفر لي رب اغفر لي و كما يقال فعلت هذا مرة بعد مرة فتثنية اللفظ يراد به التعديد لأن العدد ما زاد على الواحد و هو أول التثنية و كذلك تثبت الثوب أعم من أن يكون مرتين فقط أو مطلق العدد فهو جميعه متشابه يصدق بعضه بعضا ليس مختلفا بل كل خبر و أمر منه يشابه الخبر لإتحاد مقصود الأمرين و لإتحاد الحقيقة التي إليها مرجع الموجودات فلما كانت الحقائق المقصودة و الموجودة ترجع إلى أصل و احد و هو الله

¹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 442 ref_

² مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 232 ref_

³ منهاج السنة النبوية ج: 8 ص: 457 ref_

سبحانه كان الكلام الحق فيها خبراً و أمراً متشابهاً ليس بمنزلة المختلف المتناقض كما يوجد في كلام أكثر البشر و المصنفون الكبار منهم يقولون شيئاً ثم ينقضونه و هو جميعه مثنى لأنه إستوفيت فيه الأقسام المختلفة فإن الله يقول { وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ } الذاريات 49 فذكر الزوجين مثنى و الإخبار عن الحقائق بما هي عليه بحيث يحكم على الشيء بحكم نظيره و هو حكم على المعنى الواحد المشترك خبراً أو طلباً خطاب متشابه فهو متشابه مثنى

و هذا في المعاني مثل الوجوه في الألفاظ فإن كل شيئين من الأعيان و الأعراض و غير ذلك إما أن يكون أحدهما مثل الآخر أو لا يكون مثله فهي الأمثال و جمعها هو التآليف و إذا جاءت بلفظ واحد كانت نظائر و إن لم يكن مثله فهو خلافه سواء كان ضداً أو لم يكن و قد يقال إما أن يجمعها جنس أو لا فإن لم يجمعها جنس فأحدهما بعيد عن الآخر و لا مناسبة بينهما و إن جمعها جنس فهي الأقسام و جمعها هو التصنيف و دلالة اللفظ الواحد على المعاني المختلفة تسمى الوجوه و الكلام الجامع هو الذي يستوفي الأقسام المختلفة و النظائر المتماثلة جمعاً بين المتماثلين و فرقاً بين المختلفين بحيث يبقى محيطاً و إلا فذكر أحد القسمين أو المثليين لا يفيد التمام و لا يكون الكلم محيطاً و لا الكلم جوامع و هو فعل غالب الناس في كلامهم و الحقائق في نفسها منها المختلف و منها المؤتلف و المختلفان بينهما إتفاق من وجه و إفتراق من وجه فإذا أحاط الكلام بالأقسام المختلفة و الأمثال المؤتلفة كان جامعاً و بإعتبار هذه المعاني كانت ضروب القياس العقلي المنطقي ثلاثة الحمليات و الشرطيات المتصلة و الشرطيات المنفصلة فالأول للحقائق المتماثلة الداخلة في القضية الجامعة و الثاني للمختلفات التي ليست متضادة بل تتلازم تارة و لا تتلازم أخرى و الثالث للحقائق المتضادة المتنافية إما وجوداً أو عدماً و هي النقيضان و إما وجوداً فقط و هو أعم من النقيضين و إما عدماً فقط و هو أخص من النقيضين فالحمليات للمثليين و الأمثال و الشرطيات المنفصلة للمتضادين و المتضادات و يسمى التقسيم و السبر و الترديد و البياني و المتصلة للخلافيين غير المتضادين و يسمى التلازم¹

[عد الى الفهرس](#)

الأقسام في القرآن

* فالاقسام التي في القرآن عامتها بالذوات الفاعلة و غير الفاعلة يقسم بنفس الفعل كقوله { وَالصَّافَّاتِ صَفًّا } 1 { فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا } 2 { فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا } 3 { الصافات 1-3 و كقوله { وَالنَّازِعَاتِ } النازعات 1 { وَالْمُرْسَلَاتِ } المرسلات 1 و نحو ذلك و هو سبحانه تارة يقسم بنفس

¹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 523-525 ref_

المخلوقات و تارة بربها و خالقها كقوله {فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} الذاريات23 و كقوله {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى} الليل3 و تارة يقسم بها و بربها¹

*وهو سبحانه يقسم بأمر على أمور وانما يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته واقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته فالقسم اما على جملة خبرية وهو الغالب كقوله تعالى {فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ} الذاريات23 وإما على جملة طلبية كقوله تعالى {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} {92} {عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {93} الحجر92-93 مع أن هذا القسم قد يراد به تحقيق المقسم عليه فيكون من باب الخبر وقد يراد به محض القسم والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية اذا أقسم على ثبوتها فأما الأمور المشهودة الظاهرة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها وما أقسم عليه الرب عز وجل فهو من آياته فيجوز أن يكون مقسما به ولا ينعكس وهو سبحانه يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب وتارة يحذفه كما يحذف جواب لو كثيرا كقوله تعالى {لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ} التكاثر5 وقوله {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ} الرعد31 {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ} الأنفال50 {وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلا فَوْتَ} سبأ51 {وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ} الأنعام27 {وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِم} الأنعام30 ومثل هذا حذفه من أحسن الكلام لأن المراد أنك لو رأيت لرأيت هو لا عظيما فليس في ذكر الجواب زيادة على ما دل المحرم وهو أيضا تنبيه فاذا أقسم به وفيه الحلال فاذا كان فيه الحرام كان أولى بالتعظيم وكذلك اذا أريد الحلو فانه هو السلبى فالمعنى واحد²

الأمثال في القرآن

* المثل في الأصل هو الشبيه و هو نوعان لأن القضية المعينة إما أن تكون شبيها معينا أو عاما كليا فإن القضايا الكلية التي تعلم و تقال هي مطابقة مماثلة لكل ما يندرج فيها وهذا يسمى قياسا في لغة السلف و اصطلاح المنطقيين و تمثيل الشيء المعين بشيء معين هو أيضا يسمى قياسا في لغة السلف و اصطلاح الفقهاء و هو الذي يسمى قياس التمثيل ثم من متأخري العلماء كالغزالي و غيره من ادعى أن حقيقة القياس إنما يقال على هذا و ما يسميه تأليف القضايا الكلية قياسا فمجاز من جهة أنه لم يشبه فيه شيء بشيء و انما يلزم من عموم الحكم تساوى افراده فيه و منهم من عكس كابي محمد بن حزم فانه زعم

أن لفظ القياس إنما ينبغي أن يكون في تلك الامور العامة و هو القياس الصحيح والصواب ما عليه السلف من اللغة الموافقة لما في القرآن كما سأذكره أن كلاهما قياس و تمثيل و اعتبار و هو في قياس التمثيل ظاهر و أما قياس التكميل و الشمول فلانه يقاس كل واحد من الافراد بذلك المقياس العام الثابت في العلم و القول و هو الأصل كما يقاس الواحد بالأصل الذي يشبهه فالأصل فيهما هو المثل و القياس هو ضرب المثل واصله والله أعلم تقديره فضرب المثل للشيء تقديره له كما أن القياس

¹مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 238 ref_

²مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 315 ref_

أصله تقدير الشيء بالشيء و منه ضرب الدرهم و هو تقديره و ضرب الجزية و الخراج و هو تقديرهما و الضريبة المقدره و الضرب في الأرض لأنه يقدر أثر الماشي بقدره و كذلك الضرب بالعصى لأنه تقدير الألم بالألة و هو جمعه و تأليفه و تقديره كما أن الضريبة هي المال المجموع و الضريبة الخلق و ضرب الدرهم جمع فضة مؤلفة مقدره و ضرب الجزية و الخراج إذا فرضه و قدره على مر السنين و الضرب في الأرض الحركات المقدره المجموعه إلى غاية محدوده و منه تضريب الثوب المحشو و هو تأليف خلله طرائق طرائق ولهذا يسمون الصورة القياسية الضرب كما يقال للنوع الواحد ضرب لتألفه و اتفاقه و ضرب المثل لما كان جمعا بين علمين يطلب منهما علم ثالث كان بمنزلة ضرب الفحل الذي يتولد عنه الولد و لهذا يقسمون الضرب إلى ناتج و عقيم كما ينقسم ضرب الفحل للأنثى الى ناتج و عقيم و كل واحد من نوعي ضرب المثل و هو القياس تارة يراد به التصوير و تفهيم المعنى و تارة يراد به الدلالة على ثبوته و التصديق به فقياس تصور و قياس تصديق فتدبر هذا و كثيرا ما يقصد كلاهما فإن ضرب المثل يوضح صورة المقصود و حكمه و ضرب الأمثال في المعاني نوعان هما نوعا القياس أحدهما الأمثال المعينة التي يقاس فيها الفرع باصل معين موجود أو مقدر و هي في القرآن بضع و اربعون مثلا كقوله {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} البقرة 17 الى آخره و قوله {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِثَّةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} البقرة 261 و قوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ ثَرَابٌ} البقرة 264 الآية {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ} البقرة 265 فان التمثيل بين الموصوفين الذين يذكرهم من المنافقين و المنفقين و المخلصين منهم و المرانين و بين ما يذكره سبحانه من تلك الأمثال

هو من جنس قياس التمثيل الذي يقال فيه مثل الذي يقتل بكودين القصار كمثل الذي يقتل بالسيف و مثل الهرة تقع في الزيت كمثل الفأرة تقع في السمن و نحو ذلك و مبناه على الجمع بينهما و الفرق في الصفات المعبرة في الحكم المقصود اثباته أو نفيه و قوله مثله كمثل كذا تشبيه للمثل العلمي بالمثل العلمي لأنه هو الذي بتوسطه يحصل القياس فان المعتبر ينظر في احدهما فيتمثل في علمه و ينظر في الآخر فيتمثل في علمه ثم يعتبر أحد المثليين بالآخر فيجدهما سواء فيعلم أنهما سواء في انفسهما لاستوائهما في العلم و لا يمكن اعتبار احدهما بالآخر في نفسه حتى يتمثل كل منهما في العلم فإن الحكم على الشيء فرع على تصوره و لهذا و الله أعلم يقال مثل هذا كمثل و بعض المواضع يذكر سبحانه الأصل المعتبر به ليستفاد حكم الفرع منه من غير تصريح بذكر الفرع كقوله {أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَاصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} البقرة 266 فإن هذا يحتاج الى تفكر و لهذا سأل عمر عنها من حضره من الصحابة فأجابه ابن عباس بالجواب الذي ارضاه و نظير ذلك ذكر القصص فإنها كلها أمثال هي أصول قياس و اعتبار و لا يمكن هناك تعديد ما يعتبر بها لأن كل إنسان له في حالة منها نصيب فيقال فيها {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَبْصَابِ} يوسف 111 و يقال عقب حكايتها { فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَابِ } الحشر 2 و يقال {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ التَّقَاتَا} آل عمران 13 الى قوله {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَابِ} آل عمران 13 و الاعتبار هو القياس بعينه كما قال ابن عباس لما سئل عن دية الأصابع فقال هي سواء و اعتبروا ذلك بالأسنان أي قيسوها بها فإن الأسنان مستوية الدية مع اختلاف المنافع فكذلك الأصابع و

يقال اعتبرت الدراهم بالصنجة إذا قدرتها بها النوع الثاني الأمثال الكلية و هذه التي أشكل تسميتها أمثالا كما أشكل تسميتها قياسا حتى اعترض بعضهم قوله {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ} {الحج73} فقال اين المثل المضروب و كذلك إذا سمعوا قوله {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} {الزمر27} يبقون حيارى لا يدرون ما هذه الأمثال و قد رأوا عدد ما فيه من تلك الأمثال المعينة بضعا و أربعين مثلا وهذه الأمثال تارة تكون صفات وهذه الأمثال تارة تكون صفات وتارة تكون أقيسة فإذا كانت أقيسة فلا بد فيها من خبرين هما قضيتان و حكمان و انه لا بد أن يكون احدهما كليا لأن الأخبار التي هي القضايا لما انقسمت الى معينة و مطلقة و كليه و جزئية و كل من ذلك انقسم الى خبر عن اثبات و خبر عن نفي فضرب المثل الذي هو القياس لا بد أن يشتمل على خبر عام و قضية كلية و ذلك هو المثل الثابت في العقل الذي تقاس به الأعيان المقصود حكمها فلولا عمومها لما أمكن الاعتبار لجواز أن يكون المقصود حكمه خارجا عن العموم و لهذا يقال لا قياس عن قضيتين جزئيتين بل لا بد أن تكون احدهما كلية و لا قياس أيضا عن سالتين بل لا بد أن تكون احدهما موجبة و الا السلبان لا يدخل احدهما في الآخر لا بد فيه من خبر يعم و جملة ما يضرب من الأمثال ستة عشر لأن الأولى اما جزئية و اما كلية مثبتة أو نافية فهذه أربعة إذا ضربتها في أربعة صارت ستة عشر تحذف منهما الجزئيتين سواء كانتا موجبتين أو سالتين أو احدهما سالبة و الأخرى موجبة فهذه ست من ستة عشر و السالتين سواء كانتا جزئيتين أو كليتين أو احدهما دون الأخرى لكن إذا كانتا جزئيتين سالتين فقد دخلت في الأول يبقى ضربان محذوفين من ستة عشر و يحذف منهما السالبة الكلية الصغرى مع الكبرى الموجبة الجزئية لأن الكبرى إذا كانت جزئية لم يجب أن يلاقيها السلب بخلاف الايجاب فان الايجابين الجزئيين يلتقيان و كذلك الايجاب الجزئي مع السلب الكلي يلتقيان لاندرج ذلك الموجب تحت السلب العام يبقى من الستة عشر ستة أضرب فإذا كانت احدهما موجبة كلية جاز في الأخرى الأقسام الأربعة و إذا كانت سالبة كلية جاز أن تقارنها الموجبتان لكن تقدم مقارنة الكلية لها و لا بد في الجزئية أن تكون صغرى و إذا كانت موجبة جزئية جاز أن تقارنها الكليتان و قد تقدمتا و إذا كانت سالبة جزئية لم يجز أن يقارنها الا موجبة كلية و قد تقدمت فيقر الناتج ستة و الملغى عشرة و بالاعتبارين تصير ثمانية فهذه الضروب العشرة مدار ثمانية منها على الايجاب العام و لا بد في جميع ضروبه من أحد أمرين إما إيجاب و عموم و إما سلب و خصوص فنقيضان لا يفيد اجتماعهما فائدة بل إذا اجتمع النقيضان من نوعين كسالبة كلية و موجبة جزئية فتفيد بشرط كون الكبرى هي العامة فظهر أنه لا بد في كل قياس من ثبوت و عموم إما مجتمعين في مقدمة و إما مفترقين في المقدمتين و أيضا مما يجب أن يعلم أن غالب الأمثال المضروبة و الأقيسة إنما يكون الخفي فيها احدى القضيتين و اما الأخرى فجلية معلومة فضارب المثل و ناصب القياس إنما يحتاج أن يبين تلك القضية الخفية فيعلم بذلك المقصود لما قاربها في الفعل من القضية السلبية و الجلية هي الكبرى التي هي أعم فإن الشيء كلما كان أعم كان أعرف في العقل لكثرة مرور مفرداته في العقل و خير الكلام ما قل و دل فلهذا كانت الأمثال المضروبة في القرآن تحذف منها القضية الجلية لأن في ذكرها تطويلا و عيا و كذلك ذكر النتيجة المقصودة بعد ذكر المقدمتين يعد تطويلا و اعتبر ذلك بقوله {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} {الأنبياء22} ما أحسن هذا البرهان فلو قيل بعده و ما فسدتا فليس فيهما آلهة إلا الله لكان هذا من الكلام الغث الذي لا يناسب بلاغة التنزيل و انما ذلك من تأليف المعاني في العقل مثل تأليف الأسماء من الحروف في الهجاء و الخط إذا علمنا الصبى الخط نقول با سين ميم صارت بسم فإذا عقل لم يصلح له بعد ذلك أن يقرأ تهجيا فيذهب ببهجة الكلام بل قد صار التأليف مستقرا و كذلك النحوى إذا

عرف أن محمد رسول الله مبتدأ وخير لم يلف كلما رفع مثل ذلك أن يقول لأنه مبتدأ و خبر فتأليف الأسماء من الحروف لفظا و معنى و تأليف الكلم من الأسماء و تأليف الأمثال من الكلم جنس و احد ولهذا كان المؤلفون للأقيسة يتكلمون أولا في مفردات الألفاظ و المعاني التي هي الأسماء ثم يتكلمون في تأليف الكلمات من الأسماء الذي هو الخبر و القصة و الحكم ثم يتكلمون في تأليف الأمثال المضروبة الذي هو القياس و البرهان و الدليل و الآية و العلامة فهذا مما ينبغي أن يتفطن له فإن من أعظم كمال القرآن تركه في أمثاله المضروبة و أقيسته المنصوبة لذكر المقدمة الجلية الواضحة المعلومة ثم اتباع ذلك بالأخبار عن النتيجة التي قد علم من أول الكلام أنها هي المقصود بل إنما يكون ضرب المثل بذكر ما يستفاد ذكره و ينتفع بمعرفته فذلك هو البيان هو البرهان و أما ما لا حاجة الى ذكره فذكره عي وبهذا يظهر لك خطأ قوم من البيانين الجهال و المنطقيين الضلال حيث قال بعض أولئك الطريقة الكلامية البرهانية في أساليب البيان ليست في القرآن إلا قليلا و قال الثاني انه ليس في القرآن برهان تام فهؤلاء من أجهل الخلق باللفظ و المعنى فإنه ليس في القرآن إلا الطريقة البرهانية المستقيمة لمن عقل و تدبر و أيضا فينبغي أن يعرف أن مدار ضرب المثل و نصب القياس على العموم و الخصوص و السلب و الايجاب فإنه ما من خبر الا و هو اما عام او خاص سالب أو موجب فالمعين خاص محصور و الجزئي أيضا خاص غير محصور و المطلق اما عام و اما في معنى الخاص فينبغي لمن أراد معرفة هذا الباب أن يعرف صيغ النفي و العموم فإن ذلك يجيء في القرآن على أبلغ نظام مثال ذلك أن صيغة الاستفهام يحسب من أخذ بباديء الرأي أنها لا تدخل في القياس المضروب لأنه لا يدخل فيه إلا القضايا الخبرية و هذه طلبية فإذا تأمل و علم أن أكثر استفهامات القرآن أو كثيرا منها انما هي استفهام انكار معناه الذم و النهي إن كان انكارا شرعيا أو معناه النفي و السلب ان كان انكار وجود و وقوع كما في قوله { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } يس78 ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مَنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ { الروم28 الآية و كذلك قوله { اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ } النمل59 و قوله في تعديد الآيات { أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ } النمل60 أي أفعل هذه إله مع الله و المعنى ما فعلها إلا الله و قوله { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ } الطور35 و ما معها وهذا الذي ذكرناه الذي جاء به القرآن هو ضرب الأمثال من جهة المعنى و قد يعبر في اللغة بضرب المثل أو بالممثل المضروب عن نوع من الألفاظ فيستفاد منه التعبير كما يستفاد من اللغة لك منه الدليل على الحكم كأمثال القرآن و هو أن يكون الرجل قد قال كلمة منظومة أو منثورة لسبب اقتضاه فشاعت في الاستعمال حتى يصار يعبر بها عن كل ما أشبه ذلك المعنى الأول و ان كان اللفظ في الأصل غير موضوع لها فكأن تلك الجملة المثلية نقلت بالعرف من المعنى الخاص الى العام كما تنتقل الألفاظ المفردة فهذا نقل في الجملة مثل قولهم يداك او كتا و فوك نفخ هو مواز لقولهم انت جنيت هذا لأن هذا المثل قيل ابتداء لمن كانت جنائته بالايكاء و النفخ ثم صار مثلا عاما و كذلك قولهم الصيف ضيعت اللبن مثل قولك فرطت و تركت الحزم و تركت ما يحتاج اليه و قت القدرة عليه حتى فات و اصل الكلمة قيلت للمعنى الخاص وكذلك عسى العويدا بؤسا أي أتخاف أن يكون لهذا الظاهر الحسن باطن ردىء فهذا نوع من البيان يدخل في اللغة و الخطاب فالمتكلم به حكمه حكم المبين بالعبارة الدالة سواء كان المعنى في نفسه حقا أو باطلا إذ قد يتمثل به في حق من ليس كذلك فهذا تطلبه في القرآن من جنس تطلب الالفاظ العرفية فهو نظر في دلالة اللفظ على المعنى لا نظر في صحة المعنى و دلالاته على الحكم و ليس هو المراد بقوله { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ

{ الروم 58 فتدبر هذا فانه يجلو عنك شبهة لفظية و معنوية و هذه الأمثال اللغوية أنواع موجود في القرآن منها أجناسها و هي معلنة ببلاغة لفظه و نظمه و براعة بيانه اللفظي و الذين يتكلمون في علم البيان و إعجاز القرآن يتكلمون في مثل هذا و من الناس من يكون أول ما يتكلم بالكلمة صارت مثلا و منهم من لا تصير الكلمة مثلا حتى يتمثل بها الضارب فيكون هذا أول من تمثل بها كقوله صلى الله عليه و سلم الآن حمى الوطيس و كقوله مسعر حرب و نحو ذلك لكن النفي بصيغة الاستفهام المضمن معنى الانكار هو نفي مضمن دليل النفي فلا يمكن مقابلته بمنع و ذلك أنه لا ينفي باستفهام الانكار الا ما ظهر بيانه أو ادعي ظهور بيانه فيكون ضاربه إما كاملا في استدلاله و قياسه و إما جاهلا كالذي قال { مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } يس78 إذا تبين ذلك فالامثال المضروبة في القرآن منها ما يصرح فيه بتسميته مثلا و منها ما لا يسمى بذلك { مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا } البقرة17 و الذي يليه { إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا } البقرة26 { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ } البقرة171 { وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ } البقرة214 { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } البقرة261 { لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ } البقرة264 الآية { وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ } البقرة265 و الذي بعده ليس فيه لفظ مثل { كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ } آل عمران11 في الثلاثة { فَقَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ } آل عمران13 { مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } آل عمران117 و قوله { أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ } الأنعام46 ومن هذا الباب قوله { وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ } هود31 الآية و يسمى جدالا { فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا } الأعراف176 { إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ } يونس24 الآية { مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى } هود24 { إِلَّا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ } الرعد14 و قول يوسف { أَرَأَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ } يوسف39 { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ } الأنعام50 الآية { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } الرعد17 إلى قوله { كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ } الرعد17 { مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } الرعد35 { مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ } إبراهيم18 { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً } إبراهيم24 إلى آخره { وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ } إبراهيم45 { لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى } النحل60 { فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ } النحل74 { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا } النحل75 و الذي بعده { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً } النحل112 { انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ } الإسراء48 { انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ } الفرقان9 في موضعين { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا } الإسراء89 بعد أدلة التوحيد و النبوة و التحدي بالقرآن { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ } الكهف32 القصة { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } الكهف45 { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا } الكهف54 ينبه على أنها براهين و حجج تفيد تصورا أو تصديقا { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ } الحج31 { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرِبْ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ } الحج73 { وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ } النور34 { مَثَلُ نُورِهِ } النور35 إلى قوله { وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ } النور35 { وَالَّذِينَ كَفَرُوا

أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ {النور 39} المثلين مثل نور المؤمنين في المساجد وأولئك في الظلمات {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} {الفرقان 33} ف التفسير يعم التصوير و يعم التحقيق بالدليل كما في تفسير الكلام المشروح {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} {العنكبوت 41} الآية {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ {العنكبوت 43} {وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ {الروم 27} {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ} {الروم 28} {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ} {الروم 58} الآية {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ {يس 13} {فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} {77} {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ} {78} {يس 77-78} و قوله {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً} {ص 23} {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} {الزمر 27} إلى قوله {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا} {الزمر 29} {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} {الزخرف 57} إلى آخره لما أوردوه نقضا على قوله {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} {الأنبياء 98} فهم الذين ضربوه جدلا {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا {محمد 1} إلى قوله {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ} {محمد 3} {كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا} {الحشر 15} {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ} {الحشر 16} {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} {الحشر 21} {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} {الجمعة 5} الآية {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا} {التحریم 10} {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا} {التحریم 11} {وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا} {المدثر 31} {كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبِ يُوفِضُونَ} {المعارج 43} {كَالْفَرَّاشِ} {القارعة 4} و {كَالْعِهْنِ} {المعارج 9} ¹

* الأمثال و التشبيهات كثيرة جدا و هي لا توجب التماثل من كل وجه بل فيما سيق الكلام له و لا يقتضي اختصاص المشبه بالتشبيه بل يمكن أن يشاركه غيره له في ذلك قال تعالى {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّنْهُ حَبَّةٌ} {البقرة 261} و قال تعالى {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ} {يس 13} و قال {مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ} {آل عمران 117} و قد قيل أن في القران اثنين و أربعين مثلا ²

الأمر والنهي في القرآن

وقد ذكر الله سبحانه في البقرة و النساء الأقسام الأربعة في العطاء إما أن لا يعطي فهو البخيل المذموم في النساء أو يعطى مع الكراهة و المن و الأذى فلا يكون بتثبيت و هو المذموم في البقرة أو مع الرياء فهو المذموم في السورتين فبقي القسم الرابع ابتغاء رضوان الله و تثبيتا من

¹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 66-54 ref_

² منهاج السنة النبوية ج: 7 ص: 334 ref_

أنفسهم ونظيره الصلاة أما أن لا يصلي أو يصلي رياء أو كسلان أو يصلي مخلصا و الأقسام الثلاثة الأول مذمومة وكذلك الزكاة و نظير ذلك الهجرة و الجهاد فإن الناس فيهما أربعة أقسام و كذلك { إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا } الأنفال 45 في الثبات و الذكر و كذلك { وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ } البقرة 177 في الصبر و المرحمة أربعة أقسام و كذلك { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ } البقرة 45 فهم في الصبر و الصلاة فعامة هذه الاشفاع التي في القرآن إما عملان و إما وصفان في عمل انقسم الناس فيها قسمة رباعية ثم ان كانا عمليين منفصلين كالصلاة و الصبر و الصلاة و الزكاة و نحو ذلك نفع احدهما و لو ترك الآخر و ان كانا شرطين في عمل كالاخلاص و الثبوت لم ينفع احدهما فإن المن و الأذى محبط كما أن الرياء محبط كما دل عليه القرآن و من هذا تقوى الله و حسن الخلق ف { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } النحل 128 و البر و التقوى و الحق و الصبر و أفضل الإيمان السماحة و الصبر بخلاف الاشفاع في الذم كاللافك و الاثم و الاختيال و الفخر و الشح و الجبن و الاثم و العدوان فإن الذم ينال احدهما مفردا و مقرونا لأن الخير من باب المطلوب وجوده لمنفعته فقد لا تحصل المنفعة الا بتمامه و الشر يطلب عدمه لمضرته و بعض المضار يضر في الجملة غالبا و لهذا فرق في الأسماء بين الأمر و النهي و الاثبات و النفي فإذا أمر بالشيء اقتضى كماله و إذا نهى عنه اقتضى النهي عن جميع أجزائه و لهذا حيث أمر الله بالنكاح كما في المطلقة ثلاثا حتى تنكح زوجا غيره و كما في الاحسان فلا بد من الكمال بالعقد و الدخول و حيث نهى عنه كما في ذوات المحارم فالنهي عن كل منهما على انفراده و هذا مذهب مالك و أحمد المنصوص عنه أنه إذا حلف ليتزوج لم يبرر الا بالعقدة و الدخول بخلاف ما إذا حلف لا يتزوج فإنه يحنث بالعقدة و كذلك إذا حلف لا يفعل شيئا حنث بفعل بعضه بخلاف ما إذا حلف ليفعله فإن دلالة الاسم على كل و بعض تختلف باختلاف النفي و الاثبات ولهذا لما أمر الله بالطهارة و الصلاة و الزكاة و الحج كان الواجب الاتمام كما قال تعالى { بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ } البقرة 124 و قال و ابراهيم الذي و في ولما نهى عن القتل و الزنا و السرقة و الشرب كان ناهيا عن ابعاض ذلك بل و عن مقدماته أيضا و أن كان الاسم لا يتناول في الاثبات و لهذا فرق في الأسماء النكرات بين النفي و الاثبات و الأفعال كلها نكرات و فرق بين الأمر و النهي بين التكرار و غيره و قال صلى الله عليه و سلم إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم و إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإنما اختلف في المعارف المنفية على روايتين كما في قوله لا تأخذ الدراهم و لا تكلم الناس¹

(فكرة عامة عن السور)

*ومن آياته نصر الرسل على قومهم وهذا على وجهين تارة يكون بإهلاك الامم وإنجاء الرسل و أتباعهم كقوم نوح و هود و صالح و شعيب و لوط و موسى ولهذا يقرن الله بين هذه القصص في سور الاعراف و هود و الشعراء ولا يذكر معها قصة ابراهيم وإنما ذكر قصة ابراهيم في سورة الانبياء و مريم و العنكبوت و الصافات فإن هذه السور لم يقتصر فيها على ذكر من أهلك من الامم بل في سورة الانبياء كان المقصود ذكر الانبياء ولهذا سميت سورة الانبياء فذكر فيها إكرامه للانبياء وإن لم يذكر قومهم كما ذكر قصة داود و سليمان و ايوب و ذكر آخر الكل إن هذه أمتكم أمة واحدة

¹مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 98 ref_

وبدا فيها بقصة إبراهيم إذ كان المقصود ذكر إكرامه للانبياء قبل محمد وإبراهيم أكرمهم على الله تعالى وهو خير البرية وهو أبو أكثرهم إذ ليس هو أب نوح ولوط لكن لوط من أتباعه وأيوب من ذريته بدليل قوله في سورة الانعام ومن ذريته داود وسليمان وأيوب وأما سورة مريم فذكر الله تعالى فيها انعامه على الانبياء المذكورين فيها فذكر فيها رحمته زكريا وهبته يحيى وأنه ورث نبوته وغيرها من علم آل يعقوب وأنه آتاه الحكم صبيا وذكر بدء خلق عيسى وما اعطاه الله تعالى من تعليم الكتاب وهو التوراة النبوة وأن الله تعالى جعله مباركا أينما كان وغير ذلك وذكر قصة إبراهيم وحسن خطابه لأبيه وأن الله تعالى وهبه اسحاق ويعقوب نبیین ووهبه من رحمته وجعل له لسان صدق عليا ثم ذكر موسى وأنه خصه الله تعالى بالتقريب والتكليم ووهبه أخاه وغير ذلك وذكر اسماعيل وأنه كان صادق الوعد وكأنه والله أعلم من ذلك أو أعظمه صدقه فيما وعد به أباه من صبره عند الذبح فوفى بذلك وذكر إدريس وأن الله تعالى رفعه مكانا عليا ثم قال أولئك الذين أنعم الله عليهم وأما سورة العنكبوت فإنه ذكر فيها امتحانه للمؤمنين ونصره لهم وحاجتهم الى الصبر والجهاد وذكر فيها حسن العقابة لمن صبر وعاقبة من كذب الرسل فذكر قصة إبراهيم لانها من النمط الاول ونصرة الله له على قومه وكذلك سورة الصافات قال فيها ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين وهذا يقتضي أنها عاقبة رديئة إما بكونهم غلبوا وذلوا وإما بكونهم أهلكوا ولهذا ذكر فيها قصة إيلياس ولم يذكرها في غيرها ولم يذكر هلاك قومه بل قال فكذبوه فإنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين وإيلياس قد روي ان الله تعالى رفعه وهذا يقتضي عذابهم في الآخرة فان إيلياس لم يبق فيهم وإيلياس المعروف بعد موسى من بني إسرائيل وبعد موسى لم يهلك المكذبين بعذاب الاستئصال وبعد نوح لم يهلك جميع النوع وقد بعث في كل أمة نذيرا والله تعالى لم يذكر قط عن قوم إبراهيم أنهم أهلكوا كما ذكر عن غيرهم بل ذكر أنهم ألقوه في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأرادوا به كيدا فجعلهم الله الأسفلين الأخسرين وفي هذا ظهور برهانه وآيته وأنه أظهره عليهم بالحجة والعلم وأظهره أيضا بالقدرة حيث أذلهم ونصره وهذا من جنس المجاهد الذي هزم عدوه وتلك من جنس المجاهد الذي قتل عدوه وإبراهيم بعد هذا لم يبق بينهم بل هاجر وتركهم وأولئك الرسل لم يزلوا مقيمين بين ظهراني قومهم حتى هلكوا فلم يوجد في حق قوم إبراهيم سبب الهلاك وهو إقامته فيهم وانتظار العذاب النازل وهكذا محمد مع قومه لم يبق فيهم بل خرج عنهم حتى أظهره الله تعالى عليهم بعد ذلك ومحمد وإبراهيم أفضل الرسل فإنهم إذا علموا الدعوة حصل المقصود وقد يتوب منهم من يتوب بعد ذلك كما تاب من قريش من تاب وأما حال إبراهيم فكانت الى الرحمة أميل فلم يسعى في هلاك قومه لا بالدعاء ولا بالمقام ودوام إقامة الحجة عليهم وقد قال تعالى وقال الذين كفروا لرسلكم لنخزجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكنكم الأرض من بعدهم وكان كل قوم لا يطلبون هلاك نبيهم الا عوقبوا وقوم إبراهيم أوصلوه الى العذاب لكن جعله الله عليه بردا وسلاما ولم يفعلوا بعد ذلك ما يستحقون به العذاب إذ الدنيا ليست دار الجزاء التام وانما فيها من الجزاء ما تحصل به الحكمة والمصلحة كما في العقوبات الشرعية فمن أراد أعداؤه من أتباع الانبياء أن يهلكوه فعصمه الله وجعل صورة الهلاك نعمة في حقه ولم يهلك أعداءه بل أخزاهم ونصره فهو أشبه بإبراهيم وإذا عصمه من كيدهم وأظهره حتى صارت الحرب بينه وبينهم سجالا ثم كانت العاقبة له فهو أشبه بحال محمد صلى الله عليه وسلم فان محمدا سيد الجميع وهو خليل الله كما أن إبراهيم خليله والخليلان هما أفضل الجميع وفي طريقتهما من الرأفة والرحمة ما ليس في طريقة غيرهما ولم يذكر الله عن قوم إبراهيم دينا غير الشرك وكذلك عن قوم نوح وأما عاد فذكر عنهم التجبر وعمارة الدنيا وقوم صالح ذكر عنهم الاشتغال بالدنيا عن الدين لم يذكر عنهم من التجبر ما ذكر عن عاد وإنما أهلكهم لما عقروا الناقة

وأما أهل مدين فذكر عنهم الظلم في الاموال مع الشرك قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد أبائنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء وقوم لوط ذكر عنهم استحلال الفاحشة ولم يذكروا بالتوحيد بخلاف سائر الامم وهذا يدل على أنهم لم يكونوا مشركين وانما ذنبهم استحلال الفاحشة وتوابع ذلك وكانت عقوبتهم أشد إذ ليس في ذلك تدين بل شر يعلمون أنه شر وهذه الامور تدل على حكمة الرب وعقوبته لكل قوم بما يناسبهم فان قوم نوح أغرقهم اذ لم يكن فيهم خير يرجى¹

السور القصار

مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 477-479

*السور القصار فى أواخر المصحف متناسبة فسورة اقرأ هي أول ما نزل من القرآن و لهذا إفتتحت بالأمر بالقراءة و ختمت بالأمر بالسجود و وسطت بالصلاة التى أفضل أقوالها و أولها بعد التحريم هو القراءة و أفضل أفعالها و آخرها قبل التحليل هو السجود و لهذا لما أمر بأن يقرأ أنزل عليه بعدها المدثر لأجل التبليغ فقبل له {فَمَّا نَذَرَ} المدثر 2 فبالأولى صار نبيا و بالثانية صار رسولا و لهذا خوطب بالمدثر و هو المتدفئ من برد الرعب و الفزع الحاصل بعظمة ما دهمه لما رجع إلى خديجة ترجف بوادره و قال دثرونى دثرونى فكانه نهي عن الإستدفاء و أمر بالقيام للإندار كما خوطب فى المزمل و هو المتلف للنوم لما أمر بالقيام إلى الصلاة فلما أمر فى هذه السورة بالقراءة ذكر فى التى تليها نزول القرآن ليلة القدر و ذكر فيها تنزل الملائكة و الروح و فى المعارج عروج الملائكة و الروح و فى النبأ قيام الملائكة و الروح فذكر الصعود و النزول و القيام ثم فى التى تليها تلاوته على المنذرين حيث قال {يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً} 2 {فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ} 3 {البينة 2-3 فهذه السور الثلاث منتظمة للقرآن أمرا به و ذكرا لنزوله و لتلاوة الرسول له على المنذرين ثم سورة الزلزلة و العاديات و القارعة و التكاثر متضمنه لذكر اليوم الآخر و ما فيه من الثواب و العقاب و كل و احد من القرآن و اليوم الآخر قيل هو النبأ العظيم ثم سورة العصر و الهمة و الفيل و لإيلاف و رأيت و الكوثر و الكافرون و النصر و تبت متضمنة لذكر الأعمال حسننها و سيئها و إن كان لكل سورة خاصة و أما سورة الإخلاص و المعوذتان ففي الإخلاص الثناء على الله و فى المعوذتين دعاء العبد ربه ليعيذه و الثناء مقرون بالدعاء كما قرن بينهما فى أم القرآن المقسومة بين الرب و العبد نصفها ثناء للرب و نصفها دعاء للعبد و المناسبة فى ذلك ظاهرة فإن أول الإيمان بالرسول الإيمان بما جاء به من الرسالة و هو القرآن ثم الإيمان بمقصود ذلك و غايته و هو ما ينتهي الأمر إليه من النعيم و العذاب و هو الجزاء ثم معرفة طريق المقصود و سببه و هو الأعمال خيرا ليفعل و شرها ليترك ثم ختم المصحف بحقيقة الإيمان و هو ذكر الله و دعاؤه كما بنيت عليه أم القرآن فإن حقيقة الإنسان المعنوية هو المنطق و المنطق قسمان خبر و إنشاء و أفضل الخبر و أنفعه و أوجه ما كان خبرا عن الله كنصف الفاتحة و سورة الإخلاص و أفضل الإنشاء الذى هو الطلب و أنفعه و أوجه ما كان طلبا من الله كالنصف الثانى من الفاتحة و المعوذتين

¹ الفتاوى ج: 1 ص: 28-30 ref_

المطلق والمقيد

*و الشبهة تنشأ في مثل هذا من جهة أن بعض الناس لا يفرق بين المطلق من الكلام والمقيد مثال ذلك أن الانسان يقول رأيت الشمس والقمر والهلال اذا رآه بغير واسطة وهذه الرؤية المطلقة وقد يراه في ماء أو مرآة فهذه رؤية مقيدة فإذا أطلق قوله رأيت أو ما رأيت حمل على مفهوم اللفظ المطلق وإذا قال لقد رأيت الشمس في الماء والمرآة فهو كلام صحيح مع التقييد واللفظ يختلف معناه بالاطلاق والتقييد فإذا وصل بالكلام ما يغير معناه كالشرط والاستثناء ونحوهما من التخصيصات المتصلة كقوله { أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا } العنكبوت 14 كان هذا المجموع دالا على تسعمائة وخمسين سنة بطريق الحقيقة عند جماهير الناس ومن قال أن هذا مجاز فقد غلط فان هذا المجموع لم يستعمل في غير موضعه وما يقترن باللفظ من القرائن اللفظية الموضوعية هي من تمام الكلام ولهذا لا يحتمل الكلام معها معنيين ولا يجوز نفي مفهومهما بخلاف استعمال لفظ الأسد في الرجل الشجاع مع ان قول القائل هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز نزاع لفظي وهو مستند من انكر المجاز في اللغة أو في القرآن ولم ينطق بهذا أحد من السلف والأئمة ولم يعرف لفظ المجاز في كلام أحد من الأئمة إلا في كلام الامام أحمد فانه قال فيما كتبه من الرد على الزنادقة والجهمية هذا من مجاز القرآن وأول من قال ذلك مطلقا أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه الذي صنفه في مجاز القرآن ثم أن هذا كان معناه عند الأولين مما يجوز في اللغة ويسوغ فهو مشتق عندهم من الجواز كما يقول الفقهاء عقد لازم وجائز وكثير من المتأخرين جعله من الجواز الذي هو العبور من معنى الحقيقة إلى معنى المجاز ثم أنه لا ريب أن المجاز قد يشيع ويشتهر حتى يصير حقيقة ولكن الرؤيا يظهر لكل احد من الفرق بينها وبين اليقظة مالا يظهر في غيرها فكما أن الرؤية تكون مطلقة وتكون مقيدة بواسطة المرآة والماء أو غير ذلك حتى ان المرئي يختلف باختلاف المرآة فإذا كانت كبيرة مستديرة رأى كذلك وان كانت صغيرة أو مستطيلة رأى كذلك¹

الألفاظ نوعان

* ومن الأصول الكلية أن يعلم أن الألفاظ نوعان نوع جاء به الكتاب والسنة فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك فيثبت ما أثبتته الله ورسوله وينفى ما نفاه الله ورسوله فاللفظ الذي أثبتته الله أو نفاه حق فان الله يقول الحق وهو يهdy السبيل والألفاظ

الشرعية لها حرمة ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها ليثبت ما أثبتته وينفى ما نفاه من المعاني فانه يجب علينا أن نصدقه في كل ما أخبر ونطيعه في كل ما أوجب وأمر ثم إذا عرفنا تفصيل ذلك كان ذلك من زيادة العلم والايان وقد قال تعالى { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } المجادلة 1 وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو

¹ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 276-278 ref
مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 276-278 ref

إثباتها فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده فان أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به وان أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره ثم التعبير عن تلك المعانى ان كان فى ألفاظه اشتباه او اجمال عبر بغيرها او بين مراده بها بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرع فان كثيرا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ومعان مشتبهة حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على اطلاق ألفاظ ونفيها ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره فضلا عن أن يعرف دليله ولو عرف دليله لم يلزم أن من خالفه يكون مخطئا بل يكون فى قوله نوع من الصواب وقد يكون هذا مصيبا من وجه وهذا مصيبا من وجه وقد يكون الصواب فى قول ثالث وكثيرا من الكتب المصنفة فى أصول علوم الدين وغيرها تجد الرجل المصنف فيها فى المسألة العظيمة كمسألة القرآن والرؤية والصفات والمعاد وحدث العالم وغير ذلك يذكر أقوالا متعددة والقول الذى جاء به الرسول وكان عليه سلف الأمة ليس فى تلك الكتب بل ولا عرفه مصنفوها ولا شعروا به وهذا من أسباب توكيد التفريق والاختلاف بين الأمة وهو مما نهيت الأمة عنه كما فى قوله تعالى { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } {105} يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ {106} ال عمران 105-106 قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وقد قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ } {الأنعام 159} وقال تعالى { وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ } {البقرة 176} وقد خرج النبى على أصحابه وهم يتنازعون فى القدر وهذا يقول ألم يقل الله كذا وهذا يقول ألم يقل الله كذا فقال أبهذا أمرتم أم إلى هذا دعيتم إنما هلك من كان قبلكم بهذا أن ضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا ما أمرتم به فافعلوه وما نهيتم عنه فاجتنبوه ومما أمر الناس به أن يعملوا بمحكم القرآن ويؤمنوا بمتشابهه¹

الأرادة الكونية والأرادة الدينية

*وقد ذكر الله فى كتابه الفرق بين الارادة و الأمر و القضاء و الاذن و التحريم و البعث و الارسال و الكلام و الجعل بين الكونى الذى خلقه وقدره وقضاه وان كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثبت اصحابه ولا يجعلهم من اوليائه المتقين وبين الدينى الذى امر به وشرعه واثاب عليه واکرمهم وجعلهم من اوليائه المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين وهذا من أعظم الفروق التى يفرق بها بين اولياء الله واعدائه فمن استعمله الرب سبحانه وتعالى فيما يحبه ويرضاه ومات على ذلك كان من اوليائه ومن كان عمله فيما يبغضه الرب ويكرهه ومات على ذلك كان من اعدائه ف الارادة الكونية هى مشيئته لما خلقه وجميع المخلوقات داخله فى مشيئته وادته الكونية والارادة الدينية هى المتضمنة لمحبه ورضاه المتناولة لما امر به وجعله شرعا ودينا وهذه مختصة بالايمان والعمل الصالح وأما الأمر فقال فى الامر الكونى { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } يس 82 وقال تعالى { وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ } القمر 50 وقال تعالى { أَنَا هَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ } يونس 24 واما الامر الدينى فقال تعالى { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } النحل 90 وقال تعالى { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا } النساء 58 واما الاذن فقال فى الكونى لما ذكر السر { وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } البقرة 102 اى بمشيئته وقدرته والا فالسحر لم يبعه الله عز وجل وقال فى

¹ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 113-115 ref_

الاذن الديني { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ } الشورى 21 وقال تعالى { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } 45 { وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ } 46 { الاحزاب 45-46 } وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ } النساء 64 وقال تعالى { مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ } الحشر 5 واما القضاء فقال في الكوني { فَفَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ } فصلت 12 وقال سبحانه { وَإِذَا قَضَيْتَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ } البقرة 117 وقال في الديني { وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } الإسراء 23 اي امر وليس المراد به قدر ذلك فانه قد عبد غيره كما اخبر في غير موضع كقوله تعالى { وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَنَا شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } يونس 18 وقول الخليل عليه السلام لقومه { أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } 75 { أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ } 76 { فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ } 77 { الشعراء 75-77 } وقال تعالى { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَعْفِفَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ } { الممتحنة 4 } وقال تعالى { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } 1 { لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } 2 { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } 3 { وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ } 4 { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } 5 { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } 6 } وهذه كلمة تقتضى براءته من دينهم ولا تقتضى رضاه بذلك كما قال تعالى في الآية الأخرى { وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ } يونس 41

ومن ظن من الملاحدة ان هذا رضا منه بدين الكفار فهو من اكذب الناس واكفرهم كمن ظن ان قوله { وَقَضَىٰ رَبُّكَ } الإسراء 23 بمعنى قدر وان الله سبحانه ما قضى بشيء إلا وقع وجعل عباد الأصنام ما عبدوا إلا الله فان هذا من أعظم الناس كفرا بالكتب واما لفظ الارسال فقال في الارسال الكوني { أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرُهُمْ أَرَأَى } مريم 83 وقال تعالى { وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ } الفرقان 48 وقال في الديني { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } الفتح 8 وقال تعالى { إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ } نوح 1 وقال تعالى { إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا } المزمل 15 وقال تعالى { اللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا } الحج 75 واما لفظ الجعل فقال في الكوني { وَجَعَلْنَا هُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ } القصص 41 وقال في الديني { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } المائدة 48 وقال تعالى { مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ } المائدة 103 واما لفظ التحريم فقال في الكوني { وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاصِعَ مِن قَبْلُ } القصص 12 من قبل وقال تعالى { فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ } المائدة 26 وقال في الديني { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ } المائدة 3 وقال تعالى { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ } النساء 23 الآية

وأما لفظ البعث فقال تعالى في البعث الكوني { فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا } الإسراء 5 وقال في البعث الديني { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } الجمعة 2 قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل 36

واما لفظ الكلمات فقال في الكلمات الكونية { وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا } التحريم 12 وثبت في الصحيح عن النبي انه كان يقول اعوذ بكلمات الله التامة كلها من شر ما خلق ومن غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون وقال من نزل منزلا فقال اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك وكان يقول اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن و كلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر هي التي كون بها الكائنات فلا يخرج بر ولا فاجر عن تكوينه ومشينته وقدرته وأما كلماته الدينية وهي كتبه المنزلة وما فيها من امره ونهيه فأطاعها الأبرار وعصاها الفجار واولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية وجعله الديني واذنه الديني واراذه الدينية واما كلماته الكونية الى لا يجاوزها بر ولا فاجر فانه يدخل تحتها جميع الخلق حتى ابليس وجنوده وجميع الكفار وسائر من يدخل النار فالخالق وان اجتمعوا في شمول الخلق والمشينته والقدرة والقدر لهم فقد افترقوا في الأمر والنهي والمحبة والرضا والغضب واولياء الله المتقون هم الذين فعلوا الأمور وتركوا المحظور وصبروا على المقدر فأحبهم واحبوه ورضى عنهم ورضوا عنه واعداءه اولياء الشياطين وان كانوا تحت قدرته فهو يبغضهم ويغضب عليهم وبلعنهم ويعاديهم ملاحظة يرجع الى تفسير الأحزاب 33 لنقل الايات التي تكلمت عن الارادة الكونية والدينية ووضعها قبل (و اما الأمر فقال في الامر الكوني { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } يس 82) لمقدمة التفسير فقط¹

ذكر الخاص مع العام

¹ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 269- 271 ref_

*وانما ينجو العبد بملازمة امر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت كما قال الزهري كان من مضى من سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة وذلك ان السنة كما قال مالك رحمه الله مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك الاسماء مقصودها واحد ولها اصلان احدهما الا يعبد الا الله و الثاني اني يعبد بما امر وشرع لا بغير ذلك من البدع قال تعالى { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } الكهف110 وقال تعالى { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة112 وقال تعالى { وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } النساء125 فالعمل الصالح هو الاحسان وهو فعل الحسنات و الحسنات هي ما احبه الله ورسوله وهو ما امر به امر ايجاب او استحباب فما كان من البدع في الدين التي ليست مشروعة فان الله لا يحبها ولا رسوله فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح كما ان يعمل مالا يجوز كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح واما قوله { وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } الكهف110 وقوله { أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ } فهو اخلاص الدين لله وحده وكان عمر بن الخطاب يقول اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لاحد فيه شيئا وقال الفضيل بن عياض في قوله { لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } هود7 قال اخلصه واصوبه قالوا يا ابا علي ما اخلصه واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة فان قيل فاذا كان جميع ما يحبه الله داخلا في اسم العبادة لماذا عطف عليها غيرها كقوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة5 وقوله { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود123 وقول نوح { أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا } نوح3 وكذلك قول غيره من الرسل قيل هذا له نظائر كما في قوله { إِنْ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } العنكبوت45 والفحشاء من المنكر وكذلك قوله { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ } النحل90 وايتاء ذى القربى هو من العدل والاحسان كما ان الفحشاء والبغى من المنكر وكذلك قوله { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ } الأعراف170 واقامة الصلاة من اعظم التمسك بالكتاب وكذلك قوله { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا } الأنبياء90 ودعائهم رغبا ورهبا من الخيرات وامثال ذلك في القرآن كثير وهذا الباب يكون تارة مع كون احدهما بعض الاخر فيعطف عليه تخصيصا له بالذكر لكونه مطلوبا بالمعنى العام والمعنى الخاص وتارة تكون دلالة الاسم تتنوع بحال الانفراد والاقتران فاذا افرد عم واذا قرن بغيره خص كاسم الفقير و المسكين لما فرد احدهما في مثل قوله { لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } البقرة273 وقوله { إِطْعَمُوا عَشْرَةَ مَسَاكِينَ } المائدة89 دخل فيه الاخر ولما قرن بينهما في قوله { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينَ } التوبة60 صاروا نوعين وقد قيل ان الخاص المعطوف على العام لا يدخل في العام حال اقتران بل يكون من هذا الباب والتحقيق ان هذا ليس لازما قال تعالى { مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ } البقرة98 وقال تعالى { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ } الأحزاب7 وذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة تارة لكونه له خاصية ليست لسائر أفراد العام كما في نوح و ابراهيم وموسى وعيسى وتارة لكون العام فيه اطلاق قد لا يفهم منه العموم كما في قوله { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } {3} وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ } {4} البقرة2-4 فقوله {

يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ {3} البقرة 3 يتناول الغيب الذي يجب الايمان به لكن فيه اجمال فليس فيه دلالة على ان من الغيب ما انزل اليك وما انزل من قبلك وقد يكون المقصود انهم يؤمنون بالمخبر به وهو الغيب وبالاخبار بالغيب وهو ما انزل إليك وما انزل من قبلك ومن هذا الباب قوله تعالى { اَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ {العنكبوت 45} وقوله { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ {الأعراف 170} و تلاوة الكتاب هي اتباعه كما قال ابن مسعود في قوله تعالى { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ {البقرة 121} قال يخللون حلاله ويحرمون حرامه ويؤمنون بمتشابهة ويعملون بمحكمه فاتباع الكتاب يتناول الصلاة وغيرها لكن خصها بالذكر لمزيتها وكذلك قوله لموسى { إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي {طه 14} واقامة الصلاة لذكره من اجل عبادته وكذلك قوله تعالى { اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ {المائدة 35} وقوله { اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ {التوبة 119} فإن هذه الامور هي ايضا من تمام تقوى الله وكذلك قوله { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ {هود 123} فان التوكل والاستعانة هي من عبادة الله لكن خصت بالذكر ليقصدها المتعبد بخصوصها فانها هي العون على سائر انواع العبادة اذ هو سبحانه لا يعبد الا بمعونته اذا تبين هذا فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم ان المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه او ان الخروج عنها اكمل فهو من اجهل الخلق واضلهم قال تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} الانبياء 26-27 الى قوله { وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ {28} الانبياء 28¹

المعاني على قسمين مفردة ومضافة

* المعاني على قسمين مفردة ومضافة فالمعاني المفردة حدودها لا توجد فيها بتعلقاتها واما المعاني الاضافية فلا بد ان يوجد في

حدودها تلك الاضافات فانها داخله في حقيقتها ولا يمكن تصورها الا بتصور تلك المتعلقة فتكون المتعلقة جزءا من حقيقتها فتعين ذكرها في الحدود والحمد والشكر معلقان بالمحمود عليه والمشكور عليه فلا يتم ذكر حقيقتها إلا بذكر تعلقهما فيكون متعلقهما داخلا في حقيقتهما والقول ليس للمتعلق من المتعلق صفة ثبوتية ليس على العموم بل قد يكون للمتعلق من المتعلق صفة ثبوتية وقد لا يكون وإنما الذي يقوله أكثر المتكلمين ليس لمتعلق القول من القول صفة ثبوتية ثم الصفات المتعلقة نوعان احدهما اضافة محضة مثل الابوة والبنوة والفوقية والتحتية ونحوها فهذه الصفة هي التي يقال فيها هي مجرد نسبة وإضافة والنسب أمور عدمية والثاني صفة ثبوتية مضافة إلى غيرها

¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 177 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 375 ref_

كالحب والبغض والارادة والكراهة والقدرة وغير ذلك من الصفات فإن الحب صفة ثبوتية متعلقة بالمحبوب فالحب معروض للاضافة بمعنى أن الاضافة صفة عرضت له لا أن نفس الحب هو الاضافة ففرق بين ما هو إضافة وبين ما هو صفة مضافة فالإضافة يقال فيها إنها عدمية وأما الصفة المضافة فقد تكون ثبوتية كالحب والقول كون الحب والبغض والارادة والكراهة أمرا عدميا باطل بالضرورة وهو خلاف اجماع العقلاء ثم هو مذهب بعض المعتزلة في ارادة الله فانه زعم أنها صفة سلبية بمعنى أنه غير مغلوب ولا مستكره وأطبق الناس على بطلان هذا القول وأما ارادة المخلوق وحبه وبغضه فلم نعلم أحدا من العقلاء قال انه عدمي والمحبة هي الحب فانه يقال أحبه وحبه حبا ومحبة ولا فرق وكلاهما مصدر والكلام إذا انتهى إلى المقدمات الضرورية فقد انتهى وتم وكون الحب والبغض امرا وجوديا معلوم بالاضطرار فإن كل احد يعلم ان الحى ان كان خاليا عن الحب كان هذا الخلو صفة عدمية فإذا صار محبا فقد تغير الموصوف وصار له صفة ثبوتية زائدة على ما الذى يحصل فى اليقظة والمنام مثل سماع موسى كلام الله سواء لا فرق كان قبل ان يقوم به الحب ومن يحس ذلك من نفسه يجده كما يجد شهوته ونفرته ورضاه وغضبه ولذته وألمه ودليل ذلك أنك تقول أحب يحب محبة ونقيض احب لم يحب ولم يحب صفة عدمية ونقيض العدم الاثبات و الامتناع امر اعتبارى عقلى فان الممتنع ليس له وجود خارجى حتى تقوم به صفة وانما هو معلوم بالعقل وباعتبار كونه معلوما له ثبوت علمى وسلب هذا الثبوت العلمى عدم هذا الثبوت فلم ينقض هذا قولنا نقيض العدم ثبوت واما الحب فانه صفة قائمة بالمحب فانك تشير الى عين خارجة وتقول هذا الحى صار محبا بعد ان لم يكن محبا فتخبر عن الوجود الخارجى فإذا كان نقيضها عدما خارجيا كانت وجودا خارجيا وفى الجملة فكون الحب والبغض صفة ثبوتية وجودية معلوم بالضرورة فلا يقبل فيه نزاع ولا يناظر صاحبه الا مناظرة السوفسطائية¹

الأسماء ثلاثة أنواع

* ومما ينبغى أن يعلم أن الالفاظ الموجودة فى القرآن والحديث اذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبى لم يحتج فى ذلك الى الاستدلال بأقوال اهل اللغة ولا غيرهم ولهذا قال الفقهاء الأسماء ثلاثة أنواع نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض ولفظ المعروف فى قوله { وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ } النساء 19 ونحو ذلك وروى عن ابن عباس أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله من ادعى علمه فهو كاذب فاسم الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك قد بين الرسول ما يراد بها فى كلام الله ورسوله وكذلك لفظ الخمر وغيرها ومن هناك يعرف معناها فلو أراد أحد أن يفسرها بغير ما بينه النبى لم يقبل منه واما الكلام فى اشتقاقها ووجه دلالتها فذاك من جنس علم البيان وتعليل الأحكام هو زيادة فى العلم وبيان حكمة ألفاظ القرآن لكن معرفة المراد بها لا يتوقف على هذا واسم الايمان والاسلام والنفاق والكفر هى أعظم من هذا كله فالنبى قد بين المراد بهذه الألفاظ بيانا لا

¹ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 146 ref_

يحتاج معه الى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الاسماء الى بيان الله ورسوله فإنه شاف كاف بل معانى هذه الأسماء معلومة من حيث الجملة للخاصة والعامة¹

معرفة دلالة الألفاظ مطلقا وخصوصا

* ومن أنفع الأمور في معرفة دلالة الألفاظ مطلقا وخصوصا ألفاظ الكتاب والسنة وبه تزول شبهات كثيرة كثر فيها نزاع الناس من جملتها مسألة الايمان والاسلام فان النزاع في مسماهما أول اختلاف وقع افتقرت الأمة لأجله وصاروا مختلفين في الكتاب والسنة وكفر بعضهم بعضا وقاتل بعضهم بعضا كما قد بسطنا هذا في مواضع آخر اذ المقصود هنا بيان شرح كلام الله ورسوله على وجه يبين أن الهدى كله مأخوذ من كلام الله ورسوله باقامة الدلائل الدالة لا بذكر الأقوال التي تقبل بلا دليل وترد بلا دليل أو يكون المقصود بها نصر غير الله والرسول فان الواجب أن يقصد معرفة ما جاء به الرسول واتباعه بالأدلة الدالة على ما بينه الله ورسوله ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الايمان فتارة يقولون هو قول وعمل وتارة يقولون هو قول وعمل ونية وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة وتارة يقولون قول وباللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وكل هذا صحيح فاذا قالوا قول وعمل فانه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعا وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك اذا أطلق والناس لهم في مسمى الكلام والقول عند الاطلاق أربعة أقوال فالذى عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعا كما يتناول لفظ الانسان للروح والبدن جميعا وقيل بل مسماه هو اللفظ والمعنى ليس جزء مسماه بل هو مدلول مسماه وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين الى السنة وهو قول النحاة لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ وقيل بل مسماه هو المعنى واطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه وقيل بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتأخرين من الكلابية ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن انه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الأدميين لأن حروف الأدميين تقوم بهم فلا يكون الكلام قائما بغير المتكلم بخلاف الكلام القراني فانه لا يقوم عنده بالله فيمتنع أن يكون كلامه ولبسط هذا موضع آخر والمقصود هنا أن من قال من السلف الايمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه الا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ومن قال قول وعمل ونية قال القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله الا باتباع السنة واولئك لم يريدوا كل قول وعمل انما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط فقالوا بل هو قول وعمل والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبدالله التستري عن الايمان ما هو فقال قول وعمل ونية وسنة لأن الايمان اذا كان قولا بلا عمل فهو كفر واذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق واذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة²

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 286-287 ref_

² مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 169-171 ref_

تقسيم اللغة الى حقيقة ومجاز

*فلا مجاز في القرآن بل وتقسيم اللغة الى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث لم ينطق به السلف والخلف فيه على قولين وليس النزاع فيه لفظيا بل يقال نفس هذا التقسيم باطل لا يتميز هذا عن هذا ولهذا كان كل ما يذكره من الفروق تبين أنها فروق باطلة وكلما ذكر بعضهم فرقا أبطله الثاني كما يدعى المنطقيون أن الصفات القائمة بالموصوفات تنقسم اللازمة لها الى داخل في ماهيتها الثابتة في الخارج والى خارج عنها لازم للماهية ولازم خارج للوجود وذكروا ثلاثة فروق كلها باطلة لأن هذا التقسيم باطل لا حقيقة له بل ما يجعلونه داخلا يمكن جعله خارجا وبالعكس كما قد بسط في موضعه وقولهم اللفظ ان دل بلا قرينة فهو حقيقة وان لم يدل الا معها فهو مجاز قد تبين بطلانه وأنه ليس في الالفاظ الدالة ما يدل مجردا عن جميع القرائن ولا فيها ما يحتاج الى جميع القرائن وأشهر أمثلة المجاز لفظ الأسد و الحمار و البحر ونحو ذلك مما يقولون أنه استعير للشجاع والبليد والحواد وهذه لا تستعمل الا مؤلفة مركبة مقيدة بقيود لفظية كما تستعمل الحقيقة كقول أبي بكر الصديق عن أبي قتادة لما طلب غيره سلب القتل لاها الله اذا يعمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله وصف له بالقوة للجهد في سبيله وقد عينه تعيينا أزال اللبس وكذلك قول النبي ان خالدا سيف من سيوف الله سله الله على المشركين وأمثال ذلك وان قال القائل القرائن اللفظية موضوعة ودلالاتها على المعنى حقيقة لكن القرائن الحالية مجاز قيل اللفظ لا يستعمل قط الا مقيدا بقيود لفظية موضوعة والحال حال المتكلم والمستمع لا بد من اعتباره في جميع الكلام فانه اذا عرف المتكلم فهم من معنى كلامه ما لا يفهم اذا لم يعرف لأنه بذلك يعرف عاداته في خطابه واللفظ انما يدل اذا عرف لغة المتكلم التي بها يتكلم وهي عاداته وعرفه التي يعتادها في خطابه ودلالة اللفظ على المعنى دلالة قصدية ارادية اختيارية فالمتكلم يريد دلالة اللفظ على المعنى فاذا اعتاد أن يعبر باللفظ عن المعنى كانت تلك لغته ولهذا كل من كان له عناية بألفاظ الرسول ومراده بها عرف عاداته في خطابه وتبين له من مراده ما لا يتبين لغيره ولهذا ينبغي أن يقصد اذا ذكر لفظ من القرآن والحديث ان يذكر نظائر ذلك اللفظ ماذا عنى بها الله ورسوله فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث وسنة الله ورسوله التي يخاطب بها عباده وهي العادة المعروفة من كلامه ثم اذا كان لذلك نظائر في كلام غيره وكانت النظائر كثيرة عرف أن تلك العادة واللغة مشتركة عامة لا يختص بها هو بل هي لغة قومه ولا يجوز أن يحمل كلامه على عادات حدثت بعده في الخطاب لم تكن معروفة في خطابه وخطاب أصحابه كما يفعله كثير من الناس وقد لا يعرفون انتفاء ذلك في زمانه ولهذا كان استعمال القياس في اللغة وان جاز في الاستعمال فانه لا يجوز في الاستدلال فانه قد يجوز بلانسان أن يستعمل هو اللفظ في نظير المعنى الذي استعملوه فيه مع بيان ذلك على ما فيه من النزاع لكن لا يجوز أن يعمد الى ألفاظ قد عرف استعمالها في معان فيحملها على غير تلك المعانى ويقول انهم أرادوا تلك بالقياس على تلك بل هذا تبديل وتحريف فاذا قال الجار أحق بسقبة فالجار هو الجار ليس هو الشريك فان هذا لا يعرف في لغتهم لكن ليس في اللفظ ما يقتضى انه يستحق الشفعة لكن يدل على

ان البيع له اولى واما الخمر فقد ثبت بالنصوص الكثيرة والنقول الصحيحة انها كانت اسما لكل مسكر لم يسم النبيذ خمرا بالقياس وكذلك النباش كانوا يسمونه سارقا كما قالت عائشة سارق موتانا كسارق احيانا واللائط عندهم كان أغلظ من الزانى بالمرأة ولا بد فى تفسير القران والحديث من ان يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الالفاظ وكيف يفهم كلامة فمعرفة العربية التى خوطبنا بها مما يعين على ان نفقه مراد الله ورسوله بكلامه وكذلك معرفة دلالة الالفاظ على المعانى فان عامة ضلال اهل البدع كان بهذا السبب فانهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون انه دال عليه ولا يكون الامر كذلك ويجعلون هذه الدلالة حقيقة وهذه مجازا كما أخطأ المرجئة فى اسم الايمان جعلوا لفظ الايمان حقيقة فى مجرد التصديق وتناولة للاعمال مجازا فيقال ان لم يصح التقسيم الى حقيقة ومجازا فلا حاجة الى هذا وان صح فهذا لا ينفككم بل هو عليكم لا لكم لان الحقيقة هى اللفظ الذى يدل باطلاقه بلا قرينة والمجاز انما يدل بقرينة وقد تبين ان لفظ الايمان حيث اطلق فى الكتاب والسنة دخلت فىة الاعمال وانما يدعى خروجها منه عند التقييد وهذا يدل على أن الحقيقة قوله الايمان بضع وسبعون شعبة وأما حديث جبريل فان كان أراد بالايمان ما ذكر مع الاسلام فهو كذلك وهذا هو المعنى الذى أراد النبى قطعاً كما أنه لما ذكر الاحسان أراد الاحسان مع الايمان والاسلام لم يرد أن الاحسان مجرد عن ايمان واسلام ولو قدر أنه أريد بلفظ الايمان مجرد التصديق فلم يقع ذلك الا مع قرينة فيلزم أن يكون مجازا وهذا معلوم بالضرورة لا يمكننا المنازعة فيه بعد تدبر القران والحديث بخلاف كون لفظ الايمان فى اللغة مرادفا للتصديق ودعوى أن الشارع لم يغيره ولم ينقله بل أراد به ما كان يريد اهل اللغة بلا تخصيص ولا تقييد فان هاتين المقدمتين لا يمكن الجزم بواحدة منهما فلا يعارض اليقين كيف وقد عرف فساد كل واحدة من المقدمتين وانها من أفسد الكلام و أيضا فليس لفظ الايمان فى دلالاته على الأعمال المأمور بها بدون لفظ الصلاة والصيام والزكاة والحج فى دلالاته على الصلاة الشرعية والصيام الشرعى والحج الشرعى سواء قيل ان الشارع نقله أو أراد الحكم دون الاسم أو أراد الاسم وتصرف فيه تصرف أهل العرف أو خاطب بالاسم مقيدا لا مطلقا فان قيل الصلاة والحج ونحوهما لو ترك بعضها بطلت بخلاف الايمان فانه لا يبطل عند الصحابة وأهل السنة والجماعة بمجرد الذنب قيل أن اريد بالبطلان أنه لا تبرأ الذمة منها كلها فكذلك الايمان الواجب اذا ترك منه شيئا لم تبرأ الذمة منه كله وان أريد به وجوب الاعداء فهذا ليس على الاطلاق فان فى الحج واجبات اذا تركها لم يعد بل تجبر بدم وكذلك فى الصلاة عند أكثر العلماء اذا تركها سهوا أو مطلقا وجبت الاعداء فانما تجب اذا أمكنت الاعداء والا فما تعذرت اعادته يبقى مطالبا به كالجمعة ونحوها وان أريد بذلك أنه لا يثاب على ما فعله فليس كذلك بل قد بين النبى فى حديث المسىء فى صلاته أنه اذا لم يتمها يثاب على ما فعل ولا يكون بمنزلة من لم يصل وفى عدة أحاديث أن الفرائض تكمل يوم القيامة من النوافل فاذا كانت الفرائض مجبورة بثواب النوافل دل على أنه يعتدله بما فعل منها فكذلك الايمان اذا ترك منه شيئا كان عليه فعله ان كان محرما تاب منه وان كان واجبا فعله فاذا لم يفعله لم تبرأ ذمته منه وأثيب على ما فعله كسائر العبادات وقد دلت النصوص على أنه يخرج من النار من فى قلبه مثقال ذرة من الايمان وقد عدلت المرجئة فى هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم باحسان واعتمدوا على رأيهم وعلى ما تأولوه بفهمهم اللغة وهذه طريقة أهل البدع ولهذا كان الامام أحمد يقول أكثر ما يخطىء الناس من جهة التأويل والقياس ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القران برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبى والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فلا يعتمدون لا على السنة ولا على اجماع السلف وآثارهم وانما يعتمدون على العقل واللغة

وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم وهذه طريقة الملاحدة أيضا إنما يأخذون ما في كتب الفلسفة وكتب الأدب واللغة وأما كتب القرآن والحديث والآثار فلا يلتقون اليها هؤلاء يعرضون عن نصوص الانبياء اذ هي عندهم لا تفيد العلم وأولئك يتأولون القرآن برأيهم وفهمهم بلا آثار عن النبي وأصحابه وقد ذكرنا كلام أحمد وغيره في انكار هذا وجعله طريقة أهل البدع وإذا تدبرت حججهم وجدت دعاوى لا يقوم عليها دليل والقاضي أبو بكر الباقلاني نصر قول جهم في مسألة الايمان متابعة لأبي الحسن الأشعري وكذلك أكثر أصحابه فأما أبو العباس القلانسي وأبو علي الثقفى وأبو عبدالله بن مجاهد شيخ القاضي أبي بكر وصاحب أبي الحسن فانهم نصرُوا مذهب السلف وابن كلاب نفسه والحسين بن الفضل البجلي ونحوهما كانوا يقولون هو التصديق والقول جميعا موافقة لمن قاله من فقهاء الكوفيين كحماد بن أبي سليمان ومن اتبعه مثل أبي حنيفة وغيره فصل وأبو الحسن الأشعري نصر قول جهم في الايمان مع أنه نصر المشهور عن أهل السنة من أنه يستثنى في الايمان فيقول أنا مؤمن ان شاء الله لأنه نصر مذهب أهل السنة في أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة ولا يخلدون في النار وتقبل فيهم الشفاعة ونحو ذلك وهو دائما ينصر في المسائل التي فيها النزاع بين أهل الحديث وغيرهم قول أهل الحديث لكنه لم يكن خبيراً بما أخذهم فينصره على ما يراه هو من الأصول التي تلقاها عن غيرهم فيقع في ذلك من التناقض ما ينكره هؤلاء وهؤلاء كما فعل في مسألة الايمان ونصر فيها قول جهم من نصره للاستثناء ولهذا خالفه كثير من أصحابه في الاستثناء كما سنذكر مأخذه في ذلك واتبعه أكثر أصحابه على نصر قول جهم في ذلك ومن لم يقف الا على كتب الكلام ولم يعرف ما قاله السلف وأئمة السنة في هذا الباب فيظن أن ما ذكره هو قول أهل السنة وهو قول لم يقله أحد من أئمة السنة بل قد كفر أحمد بن حنبل ووكيعة وغيرهما من قال بقول جهم في الايمان الذي نصره أبو الحسن وهو عندهم شر من قول المرجئة ولهذا صار من يعظم الشافعي من الزيدية والمعتزلة ونحوهم يطعن في كثير ممن ينتسب اليه يقولون الشافعي لم يكن فيلسوفا ولا مرجئا وهؤلاء فلاسفة أشعرية مرجئة وغرضهم ذم الارزاء ونحن نذكر عمدتهم لكونه مشهورا عند كثير من المتأخرين المنتسبين الى السنة قال القاضي أبو بكر في التمهيد فان قالوا فخيرونا ما الايمان عندكم قيل الايمان هو التصديق بالله وهو العلم والصدق يوجد بالقلب فان قال فما الدليل على ما قلتم قيل اجماع أهل اللغة قاطبة على أن الايمان قبل نزول القرآن وبعثة النبي هو التصديق لا يعرفون في اللغة ايمانا غير ذلك ويدل على ذلك قوله تعالى { وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا } يوسف 17 أى بمصدق لنا ومنه قولهم فلان يؤمن بالشفاعة وفلان لا يؤمن بعذاب القبر أى لا يصدق بذلك فوجب أن الايمان في الشريعة هو الايمان المعروف في اللغة لأن الله ما غير اللسان العربي ولا قلبه ولو فعل ذلك لتواترت الأخبار بفعله وتوفرت دواعى الأمة على نقله ولغلب اظهاره على كتمانها وفي علمنا بأنه لم يفعل ذلك بل اقرار أسماء الاشياء والتخاطب بأسره على ما كان دليل على أن الايمان في الشريعة هو الايمان اللغوى ومما يبين ذلك قوله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ } إبراهيم 4 وقوله { إِنَّا جَعَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا } الزخرف 3 فأخبر أنه أنزل القرآن بلغة العرب وسمى الأسماء بمسمياتهم ولا وجه للعدول بهذه الآيات عن ظواهرها بغير حجة لا سيما مع القول بالعموم وحصول التوقيف على أن القرآن نزل بلغتهم فدل على ما قلناه من أن الايمان ما وصفناه دون ما سواه من سائر الطاعات من النوافل والمفروضات هذا لفظه وهذا عمدة من نصر قول الجهمية في مسألة الايمان وللجمهور من أهل السنة وغيرهم عن هذا أجوبة أحدهما قول من ينازعه في أن الايمان في اللغة مرادف للتصديق ويقول هو بمعنى

الاقرار وغيره و الثاني قول من يقول وان كان فى اللغة هو التصديق فالتصديق يكون بالقلب واللسان وسائر الجوارح كما قال النبى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه و الثالث أن يقال ليس هو مطلق التصديق بل هو تصديق خاص مقيد بقيود اتصل اللفظ بها وليس هذا نقلا للفظ ولا تغييرا له فان الله لم يأمرنا بايمان مطلق بل بايمان خاص وصفه وبينه و الرابع أن يقال وان كان هو التصديق فالتصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح فان هذه لوازم الايمان التام وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم ونقول ان هذه اللوازم تدخل فى مسمى اللفظ تارة وتخرج عنه أخرى الخامس قول من يقول أن اللفظ باق على معناه فى اللغة ولكن الشارع زاد فيه أحكاما السادس قول من يقول ان الشارع استعمله فى معناه المجازى فهو حقيقة شرعية مجاز لغوى السابع قول من يقول انه منقول فهذه سبعة أقوال الأول قول من ينازع فى أن معناه فى اللغة التصديق ويقول ليس هو التصديق بل بمعنى الاقرار وغيره قوله اجماع أهل اللغة قاطبة على أن الايمان قبل نزول القرآن هو التصديق فيقال له من نقل هذا الاجماع ومن أين يعلم هذا الاجماع وفى أى كتاب ذكر هذا الاجماع الثاني أن يقال أتعنى بأهل اللغة نقلتها كأبى عمرو والاصمعى والخليل ونحوهم أو المتكلمين بها فان عنيت الأول فهؤلاء لا ينقلون كل ما كان قبل الإسلام باسناد وانما ينقلون ما سمعوه من العرب فى زمانهم وما سمعوه فى دواوين الشعر وكلام العرب وغير ذلك بالاسناد ولا نعلم فيما نقلوه لفظ الايمان فضلا عن أن يكونوا أجمعوا عليه وان عنيت المتكلمين بهذا اللفظ قبل الإسلام فهؤلاء لم نشهدهم ولا نقل لنا أحد عنهم ذلك الثالث أنه لا يعرف عن هؤلاء جميعهم أنهم قالوا الايمان فى اللغة هو التصديق بل ولا عن بعضهم وان قدر أنه قاله واحد أو اثنان فليس هذا اجماعا الرابع أن يقال هؤلاء لا ينقلون عن العرب أنهم قالوا معنى هذا اللفظ كذا وكذا وانما ينقلون الكلام المسموع من العرب وأنه يفهم منه كذا وكذا وحينئذ فلو قدر أنهم نقلوا كلاما عن العرب يفهم منه أن الايمان هو التصديق لم يكن ذلك أبلغ من نقل المسلمين كافة للقرآن عن النبى واذا كان مع ذلك قد يظن بعضهم أنه أريد به معنى ولم يرده فظن هؤلاء ذلك فيما ينقلونه عن العرب أولى الخامس أنه لو قدر أنهم قالوا هذا فهم آحاد لا يثبت بنقلهم التواتر و التواتر من شرطه استواء الطرفين والواسطة وأين التواتر الموجود عن العرب قاطبة قبل نزول القرآن أنهم كانوا لا يعرفون للايمان معنى غير التصديق فان قيل هذا يقدر فى العلم باللغة قبل نزول القرآن قيل فليكن ونحن لا حاجة بنا مع بيان الرسول لما بعثه الله به من القرآن أن نعرف اللغة قبل نزول القرآن والقرآن نزل بلغة قريش والذين خوطبوا به كانوا عربا وقد فهموا ما أريد به وهم الصحابة ثم الصحابة بلغوا لفظ القرآن ومعناه الى التابعين حتى انتهى اليها فلم يبق بنا حاجة الى أن تتواتر عندنا تلك اللغة من غير طريق تواتر القرآن لكن لما تواتر القرآن لفظا ومعنى وعرفنا أنه نزل بلغتهم عرفنا أنه كان فى لغتهم لفظ السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر ونحو ذلك على ما هو معناها فى القرآن والا فلو كلفنا نقلا متواترا لأحاد هذه الألفاظ من غير القرآن لتعذر علينا ذلك فى جميع الألفاظ لا سيما اذا كان المطلوب أن جميع العرب كانت تريد باللفظ هذا المعنى فان هذا يتعذر العلم به والعلم بمعانى القرآن ليس موقوفا على شىء من ذلك بل الصحابة بلغوا معانى القرآن كما بلغوا لفظه ولو قدرنا أن قوما سمعوا كلاما أعجميا وترجموه لنا بلغتهم لم نحتج الى معرفة اللغة التى خوطبوا بها أولا السادس أنه لم يذكر شاهدا من كلام العرب على ما ادعاه عليهم وانما استدل من غير القرآن بقول الناس فلان يؤمن بالشفاعة وفلان يؤمن بالجنة والنار وفلان يؤمن بعذاب القبر وفلان لا يؤمن بذلك ومعلوم أن هذا ليس من ألفاظ العرب قبل نزول القرآن بل هو مما تكلم الناس به بعد عصر الصحابة لما صار من الناس أهل البدع يكذبون بالشفاعة وعذاب القبر ومرادهم

بذلك هو مرادهم بقوله فلان يؤمن بالجنة والنار وفلان لا يؤمن بذلك والقائل لذلك وان كان تصديق القلب داخلا في مراده فليس مراده ذلك وحده بل مراده التصديق بالقلب واللسان فان مجرد تصديق القلب بدون اللسان لا يعلم حتى يخبر به عنه السابع أن يقال من قال ذلك فليس مراده التصديق بما يرجى ويخاف بدون خوف ولا رجاء بل يصدق بعذاب القبر ويخافه ويصدق بالشفاعة ويرجوها والا فلو صدق بأنه يعذب في قبره ولم يكن في قلبه خوف من ذلك أصلا لم يسموه مؤمنا به كما أنهم لا يسمون مؤمنا بالجنة والنار الا من رجا الجنة وخاف النار دون المعرض عن ذلك بالكلية مع علمه بأنه حق كما لا يسمون ابليس مؤمنا بالله وان كان مصدقا بوجوده وربوبيته ولا يسمون فرعون مؤمنا وان كان عالما بأن الله بعث موسى وأنه هو الذى أنزل الآيات وقد استيفنت بها أنفسهم مع جدهم لها بألسنتهم ولا يسمون اليهود مؤمنين بالقرآن والرسول وان كانوا يعرفون أنه حق كما يعرفون أبناءهم فلا يوجد قط في كلام العرب أن من علم وجود شيء مما يخاف ويرجى ويجب حبه وتعظيمه وهو مع ذلك لا يحبه ولا يعظمه ولا يخافه ولا يرجوه بل يجحد به ويكذب به بلسانه أنهم يقولون هو مؤمن بل ولو عرفه بقلبه وكذب به بلسانه لم يقولوا هو مصدق به ولو صدق به مع العمل بخلاف مقتضاه لم يقولوا هو مؤمن به فلا يوجد في كلام العرب شاهد واحد يدل على ما ادعوه وقوله وما أنت بمؤمن لنا قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضوع فان هذا استدلال بالقرآن وليس في الآية ما يدل على أن المصدق مرادف للمؤمن فان صحة هذا المعنى بأحد اللفظين لا يدل على أنه مرادف للآخر كما بسطناه في موضعه الوجه الثامن قوله لا يعرفون في اللغة ايمانا غير ذلك من أين له هذا النفي الذى لا تمكن الاحاطة به بل هو قول بلا علم التاسع قول من يقول أصل الايمان مأخوذ من الأمن كما ستأتى أقوالهم ان شاء الله وقد نقلوا في اللغة الايمان بغير هذا المعنى كما قاله الشيخ أبو البيان في قول الآيات وقد استيفنت بها أنفسهم مع جدهم لها بألسنتهم ولا يسمون اليهود مؤمنين بالقرآن والرسول وان كانوا يعرفون أنه حق كما يعرفون أبناءهم فلا يوجد قط في كلام العرب أن من علم وجود شيء مما يخاف ويرجى ويجب حبه وتعظيمه وهو مع ذلك لا يحبه ولا يعظمه ولا يخافه ولا يرجوه بل يجحد به ويكذب به بلسانه أنهم يقولون هو مؤمن بل ولو عرفه بقلبه وكذب به بلسانه لم يقولوا هو مصدق به ولو صدق به مع العمل بخلاف مقتضاه لم يقولوا هو مؤمن به فلا يوجد في كلام العرب شاهد واحد يدل على ما ادعوه وقوله وما أنت بمؤمن لنا قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضوع فان هذا استدلال بالقرآن وليس في الآية ما يدل على أن المصدق مرادف للمؤمن فان صحة هذا المعنى بأحد اللفظين لا يدل على أنه مرادف للآخر كما بسطناه في موضعه الوجه الثامن قوله لا يعرفون في اللغة ايمانا غير ذلك من أين له هذا النفي الذى لا تمكن الاحاطة به بل هو قول بلا علم التاسع قول من يقول أصل الايمان مأخوذ من الأمن كما ستأتى أقوالهم ان شاء الله وقد نقلوا في اللغة الايمان بغير هذا المعنى كما قاله الشيخ أبو البيان في قول الوجه العاشر أنه لو فرض أن الايمان في اللغة التصديق فمعلوم أن الايمان ليس هو التصديق بكل شيء بل بشيء مخصوص وهو ما أخبر به الرسول وحينئذ فيكون الايمان في كلام الشارع أخص من الايمان في اللغة ومعلوم أن الخاص ينضم اليه قيود لا توجد في جميع العام كالحيوان اذا أخذ بعض أنواعه وهو الانسان كان فيه المعنى العام ومعنى اخص به وذلك المجموع ليس هو المعنى العام فالتصديق الذى هو الايمان أدنى أحواله أن يكون نوعا من التصديق العام فلا يكون مطابقا له في العموم والخصوص من غير تغيير اللسان ولا قلبه بل يكون الايمان في كلام الشارع مؤلفا من العام والخاص كالانسان الموصوف بأنه حيوان وأنه ناطق الوجه الحادى عشر أن القرآن ليس فيه ذكر ايمان مطلق غير مفسر بل لفظ الايمان فيه اما مقيد واما مطلق مفسر فالمقيد كقوله يؤمنون بالغيب وقوله فما آمن لموسى الا ذرية من

قومه و المطلق المفسر كقوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية وقوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ونحو ذلك وقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وأمثال هذه الآيات وكل إيمان مطلق في القرآن فقد يبين فيه أنه لا يكون الرجل مؤمنا الا بالعمل مع التصديق فقد بين في القرآن أن الايمان لا بد فيه من عمل مع التصديق كما ذكر مثل ذلك في اسم الصلاة والزكاة والصيام والحج فان قيل تلك الأسماء باقية ولكن ضم الى المسمى أعمالا في الحكم لا في الاسم كما يقوله القاضي أبو يعلى وغيره قيل ان كان هذا صحيحا قيل مثله في الايمان وقد أورد هذا السؤال لبعضهم ثم لم يجب عنه بجواب صحيح بل زعم أن القرآن لم يذكر فيه ذلك وليس كذلك بل القرآن والسنة مملوءان بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الايمان الا بالعمل مع التصديق وهذا في القرآن أكثر بكثير من معنى الصلاة والزكاة فان تلك انما فسرتها السنة والايمان بين معناه الكتاب والسنة واجماع السلف الثاني عشر أنه اذا قيل أن الشارع خاطب الناس بلغة العرب فانما خاطبهم بلغتهم المعروفة وقد جرى عرفهم أن الاسم يكون مطلقا وعمما ثم يدخل فيه قيد أخص من معناه كما يقولون ذهب الى القاضي والوالى والأمير يريدون شخصا معينا يعرفونه دلت عليه اللام مع معرفتهم به وهذا الاسم في اللغة اسم جنس لا يدل على خصوص شخص وأمثال ذلك فكذلك الايمان والصلاة والزكاة انما خاطبهم بهذه الأسماء بلام التعريف وقد عرفهم قبل ذلك أن المراد الايمان الذى صفته كذا وكذا والدعاء الذى صفته كذا وكذا فبتقدير أن يكون فى لغتهم التصديق فانه قد يبين أنى لا أكتفى بتصديق القلب واللسان فضلا عن تصديق القلب وحده بل لا بد أن يعمل بموجب ذلك التصديق كما فى قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم

لم يرتابوا انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وفى قوله لا تؤمنون حتى تكونوا كذا وفى قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وفى قوله ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ومثل هذا كثير فى الكتاب والسنة كقوله عليه السلام لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن وقوله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه وأمثال ذلك فقد بين لهم أن التصديق الذى لا يكون الرجل مؤمنا الا به هو أن يكون تصديقا على هذا الوجه وهذا بين فى القرآن والسنة من غير تغيير للغة ولا نقل لها الثالث عشر أن يقال بل نقل وغير قوله لو فعل لتواتر قيل نعم وقد تواتر أنه اراد بالصلاة والزكاة والصيام والحج معانيها المعروفة وأراد بالايمان ما بينه بكتابه وسنة رسوله من أن العبد لا يكون مؤمنا الا به كقوله انما المؤمنون وهذا متواتر فى القرآن والسنن ومتواتر أيضا أنه لم يكن يحكم لأحد بحكم الايمان الا أن يؤدى الفرائض ومتواتر عنه أنه أخبر أنه مات مؤمنا دخل الجنة ولم يعذب وان الفساق لا يستحقون ذلك بل هم معرضون للعذاب فقد تواتر عنه من معانى اسم الايمان وأحكامه ما لم يتواتر عنه فى غيره فأى تواتر أبلغ من هذا وقد توفرت الدواعى على نقل ذلك واطهاره والله الحمد ولا يقدر أحد أن ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلا يناقض هذا لكن أخبر أنه يخرج منها من كان معه شىء من الايمان ولم يقل ان المؤمن يدخلها ولا قال ان الفساق

مؤمنون لكن أدخلهم في مسمى الايمان في مواضع كما أدخل المنافقين في اسم الايمان في مواضع مع القيود واما الاسم المطلق الذي وعد أهله بالجنة فلم يدخل فيه لا هؤلاء ولا هؤلاء¹

دلالة العموم

*ومن الناس من أنكر دلالة العموم رأسا قلنا أما دلالة العموم المعنوى العقلى فما أنكره أحد من الأمة فيما أعلمه بل ولا من العقلاء ولا يمكن انكارها اللهم الا أن يكون فى أهل الظاهر الصرف الذين لا يلحظون المعانى كحال من ينكرها لكن هؤلاء لا ينكرون عموم الالفاظ بل هو عندهم العمدة ولا ينكرون عموم معانى الالفاظ العامة والا قد ينكرون كون عموم المعانى المجردة مفهوما من خطاب الغير فما علمنا أحدا جمع بين انكار العموميين اللفظى والمعنوى ونحن قد قررنا العموم بهما جميعا فيبقى محل وفاق مع العموم المعنوى لا يمكن انكاره فى الجملة ومن أنكره سد على نفسه اثبات حكم الاشياء الكثيرة بل سد على عقله اخص اوصافه وهو القضاء بالكلية العامة ونحن قد قررنا العموم من هذا الوجه بل قد اختلف الناس فى هذامثل العموم هل يجوز تخصيصه على قولين مشهورين و أما العموم اللفظى فما أنكره ايضا امام ولا طائفة لها مذهب مستقر فى العلم ولا كان فى القرون الثلاثة من ينكره وانما حدث انكاره بعد المائة الثانية وظهر بعد المائة الثالثة واكبر سبب انكاره اما من المجوزين للعفو من أهل السنة ومن أهل المرجئة من ضاف عطنه لما ناظره الوعيدية بعموم آيات الوعيد واحاديثه فاضطره ذلك الى ان جدد العموم فى اللغة والشرع فكانوا فيما فروا اليه من هذا الجدد كالمستجير من الرمضاء بالنار ولو اهتموا للجواب الشديد للوعيدية من أن الوعيد فى آية وان كان عاما مطلقا فقد خصص وقيد فى آية اخرى جريا على السنن المستقيمة اولى بجواز العفو عن المتوعد وان كان معينا تقييدا للوعيد المطلق وغير ذلك من الاجوبة وليس هذا موضع تقرير ذلك فان الناس قد قرروا العموم بما يضييق هذا الموضوع عن ذكره وان كان قد يقال بل العلم بحصول العموم من صيغته ضرورى من اللغة والشرع والعرف والمنكرون له فرقة قليلة يجوز عليهم جدد الضروريات او سلب معرفتها كما جاز على من جدد العلم بموجب الاخبار المتواترة وغير ذلك من المعالم الضرورية وأما من سلم أن العموم ثابت وانه حجة وقال هو ضعيف او اكثر العمومات مخصوصة وانه ما من عموم محفوظ الا كلمة او كلمات فيقال له أولا هذا سؤال لا توجيه له فان هذا القدر الذى ذكرته لا يخلو اما أن يكون مانعا من الاستدلال بالعموم او لا يكون فان كان مانعا فهو مذهب منكرى العموم من الواقعة والمخصصة وهو مذهب سخيى لم ينتسب اليه وان لم يكن مانعا من الاستدلال فهذا كلام ضائع غايته ان يقال دلالة العموم اضعف من غيره من الظواهر وهذا لا يقر فانه ما لم يقر الدليل المخصص وجب العمل بالعام ثم يقال له ثانيا من الذى سلم لكم أن العموم المجرد الذى لم يظهر له مخصص دليل ضعيف ام من الذى سلم أن اكثر العمومات مخصوصة ام من الذى يقول ما من عموم الا قد خص الا قوله {بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} البقرة 231 فان هذا الكلام وان كان قد يطلقه بعض السادات من المتفهمة وقد يوجد فى كلام بعض المتكلمين فى اصول الفقه فانه من أكذب الكلام وأفسده والظن بمن قاله أولا أنه انما عنى أن العموم من لفظ كل شىء مخصوص الا فى

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 113-130 ref_

مواضع قليلة كما قوله {تُدْمَرُ كُلُّ شَيْءٍ} {الأحقاف} 25 { وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ } {النمل} 23 {فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} {الأنعام} 44 والا فأى عاقل يدعى هذا فى جميع صيغ العموم فى الكتاب والسنة وفى سائر كتب الله وكلام انبيائه وسائر كلام الامم عربهم وعجمهم وأنت اذا قرأت القرآن من أوله الى آخره وجدت غالب عموماته محفوظة لا مخصوصة سواء عنيت عموم الجمع لافراده أو عموم الكل لاجزائه أو عموم الكل لاجزئياته فاذا اعتبرت قوله {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {2} الفاتحة 2 فهل تجد أحدا من العالمين ليس الله ربه { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } {4} الفاتحة 4 فهل فى يوم الدين شىء لا يملكه الله { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } {7} الفاتحة 7 فهل فى المغضوب عليهم ولا الضالين أحد لا يجتنب حاله التى كان بها مغضوبا عليه أو ضالا { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } {2} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } {3} البقرة 2-3 الآية فهل فى هؤلاء المتقين أحد لم يهتد بهذا الكتاب { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ } {4} البقرة 4 هل فيما أنزل الله ما لم يؤمن به المؤمنون لا عموما ولا خصوصا { أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } {5} البقرة 5 هل خرج أحد من هؤلاء المتقين عن الهدى فى الدنيا وعن الفلاح فى الآخرة ثم قوله { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا } {6} البقرة 6 قيل هو عام مخصوص وقيل هو لتعريف العهد فلا تخصيص فيه فان التخصيص فرع على ثبوت عموم اللفظ ومن هنا يغلط كثير من الغالطين يعتقدون أن اللفظ عام ثم يعتقدون أنه قد خص منه ولو امعنوا النظر لعملوا من اول الامر ان الذى اخرجوه لم يكن اللفظ شاملا له ففرق بين شروط العموم وموانعه وبين شروط دخول المعنى فى ارادة المتكلم وموانعه ثم قوله لا يؤمنون أليس هو عاما لمن عاد الضمير اليه عموما محظوظا { حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ } {7} البقرة 7 أليس هو عاما فى القلوب وفى السمع وفى الابصار وفى المضاف اليه هذه الصفة عموما لم يدخله تخصيص وكذلك ولهم وكذلك فى سائر الايات اذا تأملته الى قوله { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ } {21} البقرة 21 فمن الذين خرجوا من هذا العموم الثانى فلم يخلقهم الله له وهذا باب واسع وان مشيت على آيات القرآن كما تلقن الصبيان وجدت الامر كذلك فانه سبحانه قال (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ } {1} {مَلِكِ النَّاسِ} {2} {إِلَهِ النَّاسِ} {3} {النَّاسِ} 1-3 فأى ناس ليس الله ربهم أم ليس ملكهم أم ليس الههم ثم قوله {مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ} {4} {النَّاسِ} 4 ان كان المسمى واحدا فلا عموم فيه وان كان جنسا فهو عام فأى وسواس خناس لا يستعاذ بالله منه وكذلك قوله (بِرَبِّ الْفَلَقِ } {1} {الْفَلَقِ} 1 أى جزء من الفلق أم أى فلق ليس الله ربه {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} {2} {الْفَلَقِ} 2 أى شر من المخلوق لا يستعاذ منه { وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ } {4} {الْفَلَقِ} 4 أى نفاثة فى العقد لا يستعاذ منها وكذلك قوله {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ} {5} {الْفَلَقِ} 5 مع أن عموم هذا فيه بحيث دقيق ليس هذا موضعه ثم سورة الاخلاص فيها اربع عمومات { لَمْ يَلِدْ } {3} {الاخلاص} 3 فانه يعم جميع انواع الولادة وكذلك { لَمْ يُولَدْ } {3} {الاخلاص} 3 وكذلك { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } {4} {الاخلاص} 4 فانها تعم كل أحد وكل ما يدخل فى مسمى الكفو فهل فى شىء من هذا خصوص ومن هذا الباب كلمة الاخلاص التى هى اشهر عند أهل الاسلام من كل كلام وهى كلمة لا اله الا الله فهل دخل هذا العموم خصوص قط فالذى يقول بعد هذا ما من عام الا وقد خص الا كذا وكذا اما فى غاية الجهل واما فى غاية التقصير فى العبارة فان الذى أظنه انه انما عنى من الكلمات التى تعم كل شىء مع أن هذا الكلام ليس بمستقيم وان فسر بهذا لكنه اساء فى التعبير ايضا فان الكلمة العامة ليس معناها انها تعم كل شىء وانما المقصود ان تعم ما دلت عليه أى ما وضع

اللفظ له وما من لفظ في الغالب الا وهو اخص مما هو فوقه في العموم واعم مما هو دونه في العموم والجميع يكون عاما ثم عامة العرب وسائر الامم انما هو اسماء عامة والعموم اللفظي على وزان العموم العقلي وهو خاصة العقل الذي هو أول درجات التمييز بين الانسان وبين البهائم¹

مسألة القرآن وكلام الله

*وفي مسألة القرآن وكلام الله فنقول اذا تدبر الخبير ما احتج به من يقول ان القرآن قديم كالأشعري واتباعه ومن وافقهم كالقاضي أبي يعلى واتباعه وأبي المعالي وأبي الوليد الباجي وأبي منصور الماتريدي وغيرهم من الحنبلية والشافعية والمالكية والحنفية لم توجد عند التحقيق تدل الا على مذهب السلف والأئمة الذي يدل عليه الكتاب والسنة وكذلك اذا تدبر ما يحتج به من يقول ان القرآن مخلوق انما يدل على قول السلف والأئمة أما الأول فلأن عمدة القائلين بقدم الكلام من الأدلة العقلية حجتان عليهما اعتماد الأشعري وأصحابه ومن وافقهم كالقاضي أبي يعلى وأبي الحسن بن الزاغوني وأمثالهما وهذه هي عمدة أئمة النظار كابن كلاب والأشعري والقلانسي وأمثالهم في نفس الأمر من العقلات وهي عمدة من لا يعتمد في الأصول في مثل هذه المسألة وأمثالها الا على العقلات كأبي المعالي واتباعه الحجة الأولى أنه لو لم يكن الكلام قديما للزم أن يتصف في الأزل بضد من أضداده إما السكوت وإما الخرس ولو كان أحد هذين قديما لامتنع زواله وامتنع أن يكون متكلماً فيما لا يزال ولما ثبت أنه متكلم فيما لم يزل ثبت أنه لم يزل متكلماً وأيضا فالخرس أفة ينزه الله عنها والحجة الثانية أنه لو كان مخلوقا لكان قد خلقه اما في نفسه أو في غيره أو قائما بنفسه و الأول ممتنع لأنه يلزم أن يكون محلا للحوادث و الثاني باطل لأنه يلزم أن يكون كلاما للمحل الذي خلق فيه و الثالث باطل لأن الكلام صفة والصفة لا تقوم بنفسها فلما بطلت الأقسام الثلاثة تعين أنه قديم فيقال اما الحجة الأولى فهي تدل على مذهب السلف وأنه لم يزل متكلماً اذا شاء وكيف شاء فيدل على أن نوع الكلام قديم لا على أنه لم يتكلم بمشيئته وقدرته وان الكلام شيء واحد هو قديم اذا شاء وكيف شاء فيدل على أن نوع الكلام قديم لا على أنه لم يتكلم بمشيئته وقدرته وان الكلام شيء واحد هو قديم وكذلك احتجاج الفلاسفة القائلين بقدم العالم على قدم الفاعلية انما يدل على مذهب السلف أيضا فهؤلاء الذين احتجوا على قدم مفعول المعين وهو الفلك والذين احتجوا على قدم كلامه المعين كل ما احتجوا به من دليل صحيح فانه لا يدل على مطلوبهم بل انما يدل على مذهب السلف المتبعين للرسول فتبين أن الأدلة العقلية الصحيحة انما تدل على تصديق الرسول وتحقيق ما أخبر به لا على خلاف قوله وهي من آيات الله الدالة على تصديق الأنبياء التي قال الله فيها {سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} فصلت 53 وهي من الميزان الذي أنزله الله تعالى وكذلك أدلة المعتزلة والكرامية وغيرهما كما سنذكره ان شاء الله اذ المقصود هنا الكلام على ما تعتمد عليه أئمة النظار من الأشعرية ونحوهم والفلاسفة ونحوهم وهاتان الطائفتان كل طائفة

تقابل الأخرى بالمشرق والمغرب وكثير من الناس مع هؤلاء تارة ومع الأخرى تارة كالغزالي والرازي والآمدى ونحوهم والمقصود هنا بيان دلالة الأدلة العقلية على مذهب السلف الذى جاء به الكتاب والسنة فنقول أما الحجة الأولى وهى قولهم لو لم يكن متكلما فى الأزل لكان متصفا بضده اما السكوت واما الخرس لأنه حى والحي اذا لم يكن متكلما كان ساكنا أو أخرس كما أنه اذا لم يكن سميعا كان أصم واذا لم يكن بصيرا كان أعمى ولأن ذاته قابلة للكلام والقابل للشىء لا يخلو عنه وعن ضده هكذا يحتجون له وقد نوزعوا فى ذلك وخالفهم العقلاء حتى أصحابهم المتأخرون مثل الرازي والآمدى فان أولئك ادعوا أن الجسم لما كان قابلا للأعراض لم يخل من كل نوع من أنواع الاعراض من بعضها وقالوا ان الهواء له طعم ولون وريح فخالفهم الجمهور لكن تقرير الحجة بأن يقال لأن الرب تعالى اذا كان قابلا للاتصاف بشىء لم يخل منه أو من ضده و يقال بأنه اذا كان قابلا للاتصاف بصفة كمال لزم وجودها له لأن ما كان الرب قابلا له لم يتوقف وجوده له على غيره فان غيره لا يجعله لا متصفا ولا فاعلا بل ذاته وحدها هى الموجبة لما كان قابلا له واذا كانت ذاته هى الموجبة لما هو قابل له وذاته واجبة الوجود كان المقبول واجب الوجود له وهو اذا قدر أنه قابل للضدين لم يخل من أحدهما لأنه لو خلا من أحدهما لكان وجود أحدهما له متوقفا على سبب غير ذاته فان التقدير أنه قابل له ووجود المقبول له ممكن وقد عرف أنه لا يتوقف على غيره وان لم يكن موجدا له ولم تكن ذاته موجبة له والا امتنع وجوده فان غيره لا يجعله موجودا له واذا لم يوجد لا بنفسه ولا بغيره كان ممتنعا والتقدير أنه ممكن فما كان ممكنا له كان واجبا له فاذا قررت الحجة على هذا الوجه لم يحتج أن يقال كل قابل للشىء لا يخلو عنه وعن ضده فان هذه الدعوى الكليية باطلة بل يدعى ذلك فى حق الله خاصة لما ذكر من الدليل والفرق بينه وبين غيره فان غيره اذا كان قابلا للشىء كان وجود القبول فيه من غيره وهو الله تعالى واحداث الله لذلك القبول لا يجب أن يكون مقارنا للقابل بل يجوز أن يتوقف على شروط يحدثها الله وعلى موانع يزيلها فوجود القبول هنا ليس منه بل من غيره فلم تكن ذاته كافية فيه وأما الرب تعالى فلا يفتقر شىء من صفاته وأفعاله على غيره بل هو الأحد الصمد المستغنى عن كل ما سواه وكل ما سواه مفتقر اليه مصنوع له فيمتنع أن يكون الرب مفتقرا اليه فان ذلك هو الدور القبلى الممتنع بصريح العقل واتفاق العقلاء فهذا تقرير هذه الحجة الدالة على قدم الكلام وأنه لم يزل متكلما وهى تدل أيضا على قدم جميع صفاته وان ذاته القديمة مستلزمة لصفات الكمال الممكنة فكل صفة كمال لا نقص فيه فان الرب يتصف بها واتصافه بها من لوازم ذاته ولم يزل موصوفا بصفات الكمال وذاته هى المستلزمة لصفات كماله لا يجوز أن يحتاج فى ثبوت صفات الكمال له الى غيره والكلام صفة كمال فان من يتكلم أكمل ممن لا يتكلم كما أن من يعلم ويقدر أكمل ممن لا يعلم ولا يقدر والذى يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته وقدرته وأكمل ممن تكلم بغير مشيئته وقدرته ان كان ذلك معقولا ويمكن تقريرها على أصول السلف بأن يقال اما أن يكون قادرا على الكلام أو غير قادر فان لم يكن قادرا فهو الأخرس وان كان قادرا ولم يتكلم فهو الساكت وأما الكلابية فالكلام عندهم ليس بمقدور فلا يمكنهم أن يحتجوا بهذه فيقال هذه قد دلت على قدم الكلام لكن مدلولها قدم كلام معين بغير قدرته ومشيئته أم مدلولها أنه لم يزل متكلما بمشيئته وقدرته و الأول قول الكلابية و الثانى قول السلف والأئمة وأهل الحديث والسنة فيقال مدلولها الثانى لا الأول لأن اثبات كلام يقوم بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته غير معقول ولا معلوم والحكم على الشىء فرع عن تصوره فيقال للمحتج بها لا أنت ولا أحد من العقلاء يتصور كلاما يقوم بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته فكيف تثبت بالدليل المعقول شيئا لا يعقل وأيضا فقولك لو لم يتصف بالكلام لاتصف بالخرس والسكوت انما يعقل فى الكلام بالحروف

والأصوات فان الحى اذا فقدتها لم يكن متكلمها فاما أن يكون قادرا على الكلام ولم يتكلم وهو الساكت وإما ان لا يكون قادرا عليه وهو الأخرس وأما ما يدعونه من الكلام النفسانى فذاك لا يعقل ان من خلا عنه كان ساكتا أو أخرس فلا يدل بتقدير ثبوته على أن الخالى عنه يجب أن يكون ساكتا أو أخرس وايضا فالكلام القديم النفسانى الذى أثبتتموه لم تثبتوا ما هو بل ولا تصورتموه واثبات الشىء فرع تصوره فمن لم يتصور ما يثبتته كيف يجوز أن يثبتته ولهذا كان أبو سعيد بن كلاب رأس هذه الطائفة وامامها فى هذه المسألة لا يذكر فى بيانها شىء يعقل بل يقول هو معنى يناقض السكوت والأخرس والسكوت والأخرس انما يتصوران اذا تصور الكلام فالساكت هو الساكت عن الكلام والأخرس هو العاجز عنه أو الذى حصلت له آفة فى محل النطق تمنعه عن الكلام وحينئذ فلا يعرف الساكت والأخرس حتى يعرف الكلام ولا يعرف الكلام حتى يعرف الساكت والأخرس فتبين أنهم لم يتصوروا ما قالوه ولم يثبتوه بل هم فى الكلام يشبهون النصارى فى الكلمة وما قالوه فى الأقانيم و التثليث و الاتحاد فانهم يقولون ما لا يتصورونه ولا يبينونه و الرسل عليهم السلام اذا أخبروا بشىء ولم نتصوره وجب تصديقهم وأما ما يثبت بالعقل فلا بد أن يتصوره القائل به والا كان قد تكلم بلا علم فالنصار تتكلم بلا علم فكان كلامهم متناقضا ولم يحصل لهم قول معقول كذلك من تكلم فى كلام الله بلا علم كان كلامه متناقضا ولم يحصل له قول يعقل ولهذا كان مما يشنع به على هؤلاء أنهم احتجوا فى أصل دينهم ومعرفة حقيقة الكلام كلام الله وكلام جميع الخلق بقول شاعر نصرانى يقال له الاخطل ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا وقد قالت طائفة ان هذا ليس من شعره وبتقدير أن يكون من شعره فالحقائق العقلية أو مسمى لفظ الكلام الذى يتكلم به جميع بنى آدم لا يرجع فيه الى قول ألف شاعر فاضل دع ان يكون شاعرا نصرانيا اسمه الاخطل والنصارى قد عرف أنهم يتكلمون فى كلمة الله بما هو باطل والخطل فى اللغة هو الخطأ فى الكلام وقد أنشد فيهم المنشد قبحا لمن نبذ القرآن وراءه فاذا استدل يقول قال الأخطل ولما احتج الكلابية بهذه الحجة عارضتهم المعتزلة فقالوا الكلام عندنا كالفعل عندنا وعندكم وهو فى الأزل عندنا جميعا لم يكن فاعلا ثم صار فاعلا ولا نقول نحن وأنتم كان فى الأزل عاجزا أو ساكتا فكما أنه لم يكن فاعلا ولا يوصف بصد الفعل وهو العجز أو السكوت فكذلك لم يكن متكلما ولا يوصف بصد الكلام وهو السكوت أو الأخرس فاذا قال هؤلاء للمعتزلة والجهمية الفعل لا يقوم به عندنا وعندكم والكلام يقوم به فكان كالصفات منعتهم المعتزلة ذلك وقالوا الكلام عندنا كالفعل لا يقوم به لا هذا ولا هذا فاذا قالوا لو لم يقوم به الكلام لقام بغيره وكان الكلام صفة لذلك الغير انتقلوا الى الحجة الثانية ولم يمكن تقرير الأولى الا بالثانية فكان الاستدلال بالأولى وجعلها حجة ثانية باطلا ولهذا أعرض عنه كثير من متأخريهم وانما اعتمدوا على الثانية كأبى المعالى وأتباعه وهذا السؤال لا يلزم السلف فانهم اذا قالوا الكلام كالفعل وهو فى الأزل لم يكن فاعلا لا عندنا ولا عندكم منعهم السلف وجمهور المسلمين هذا وقالوا بل لم يزل خالقا فاعلا كما عليه السلف وجمهور طوائف المسلمين وهو الذى ذكره أصحاب ابن خزيمة مما كتبوه له وكانوا كلابية فاما ان يكون هذا قول ابن كلاب أو قول طائفة من أصحابه وبهذا تستقيم لهم هذه الحجة والا فمن سلم أنه صار فاعلا بعد أن لم يكن كانت هذه الحجة منتقضة على أصله وقال منازعه الكلام فى مقاله كالكلام فى فعاله والقول بأن الخلق غير المخلوق وأنه فعل يقوم بالرب هو قول أكثر المسلمين هو قول الحنفية وأكثر الحنبلية واليه رجع القاضى أبو يعلى أخيرا وهو الذى حكاه البغوى عن أهل السنة وهو الذى ذكره أبو بكر الكلاباذى عن الصوفية وذكره فى كتاب التعرف لمذهب التصوف وهو الذى ذكره البخارى فى كتاب أفعال العباد اجماعا من العلماء وهو الذى ذكره ابن عبدالبر وغيره عن أهل السنة لكن

الفعل هل هو شيء واحد قديم كالارادة أو هو حادث بذاته أو هو نوع لم يزل متصفا به فيه ثلاثة أقوال للمسلمين وكلهم متفقون على أن كل ما سوى الله محدث مخلوق كما تواتر ذلك عن الأنبياء ودلت عليه الدلائل العقلية والقول بأن مع الله شيئاً قديماً تقدمه من مفعولاته كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة باطل عقلا وشرعا كما قد بسط في فان قيل اذا قلت لم يزل متكلماً بمشيئته لزم وجود كلام لا ابتداء له واذا لم يزل متكلماً وجب أن لا يزال كذلك فيكون متكلماً بكلام لا نهاية له وذلك يستلزم وجود ما لا يتناهى من الحوادث فان كل كلمة مسبوقة بأخرى فهي حادثه ووجود ما لا يتناهى محال قيل له هذا الاستلزام حق وبذلك يقولون إن كلمات الله لا نهاية لها كما قال تعالى {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَاداً لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً} الكهف 109 وأما قولهم وجود ما لا يتناهى من الحوادث محال فهذا بناء على دليلهم الذي استدلوا به على حدوث العالم وحدوث الأجسام وهو أنها لا تخلو من الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وهذا الدليل باطل عقلا وشرعا وهو أصل الكلام الذي ذمه السلف والأئمة وهو أصل قول الجهمية نفاة الصفات وقد تبين فساده في مواضع ولكن سنبين ان شاء الله ان هذا الدليل اذا ميز بين حقه وباطله فانه يدل على حدوث ما سوى الله وعلى مذهب السلف وكان غلطة منهم وقولهم كل ما لا يخلو من الحوادث أى من الممكنات المفترقة فهو حادث فاخذوا هذا قضية كلية وقاسوا فيها الخالق على المخلوق قياسا فاسدا كما أن أولئك قالوا القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده أخذوها قضية كلية والغلط في القياس يقع من تشبيه الشيء بخلافه وأخذ القضية الكلية باعتبار القدر المشترك من غير تمييز بين نوعيها فهذا هو القياس الفاسد¹

[عد الى الفهرس](#)

###

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }

{ رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دَرْجَتِي إِنَّي نُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ }

¹ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 290 ref_